# مجلّة ضياء الفكر

مجلة ضياء الفكر للبحوث والدراسات

تصدر عن المركز العلمي للتّعاون والتّنميّة الثّقافيّة

Print ISSN: 3006-5356
Online ISSN: 3006-5364

مجلّة فصليّة محكّمة تُعنى بالعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة وفروعهما كافة

السّنة الثّانية – المجلّد الأول - العدد الثالث - ٢٠٢٤

جمعيّة المركز العلميّ للتّعاون والتّنميّة والثّقافيّة

# مجلّة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات

## دوريّة علميّة دوليّة محكّمة فصليّة

Print ISSN: 3006-5356
Online ISSN: 3006-5364

**السّنة الثّانية**

**العدد الثّالث – المجلّد الأوّل ٢٠٢٤**

©حقوق النّشر محفوظة

مجلة ضياء الفكر للبحوث والدراسات

## نبذة عن المجلة

مجلّة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات هي دوريّة علميّة دوليّة محكّمة فصليّة، تصدر عن المركز العلميّ للتّعاون والتّنميّة الثّقافيّة في لبنان، يرأس تحريرها الدكتورة فاتن علي بدران، ويُعنى بنشرها وتوزيعها:

دار النّهضة العربيّة / بيروت – لبنان.

وتُنشر عبر صفحاتها على الأنترنت www.diaalfekr.com

https://ojs.diaalfekr.com

وهي مرخصة من قبل المجلس الوطنيّ للإعلام المرئيّ والمسموع

التابع لوزارة الإعلام، تحت الرقم 23 /72

حائزة على الرّقم المعياريّ الدّوليّ

للطبعة الورقيّة Print ISSN: 3006-5356

وللنّسخة الإلكترونيّة Online ISSN: 3006-5364

وهي عضو في Crossref ولديها معرّف رقمي

https://doi.org/10.71090

دار النهضة العربية

بيروت – لبنان

# مجلّة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات

## دوريّة علميّة دوليّة محكّمة فصليّة

تصدر من بيروت – لبنان، عن المركز العلميّ
للتّعاون والتّنميّة الثّقافيّة

**رئيس التّحرير**

**الدكتورة فاتن علي بدران**

رئيس المركز العلميّ للتّعاون والتّنميّة الثّقافيّة

**مدير التّحرير**

**الدكتور حسين نايف نابلسي**

مدير الجامعة الأمريكيّة للثّقافة والتّعليم– فرع النّبطيّة

## الهيئة الإستشاريّة

**أ. د. محمّد توفيق أبو علي**، عميد كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة/ الجامعة اللّبنانيّة سابقًا، شاعر وكاتب، والأمين العامّ لاتّحاد الكتّاب اللّبنانيّين سابقًا – لبنان.

**أ. د. محمد حسين نزيه منصور**، خبير اقتصادي ومستشار في البنك الدّوليّ، مؤسّس المعهد الأوروبي لدراسات الشرق الأوسط، وأستاذ محاضر الجامعة الأمريكية في بيروت – لبنان.

**أ. د. يوسف خليل السبعاوي**، مستشار بجامعة الدّول العربيّة، ونائب رئيس المركز العربي للبحوث القانونيّة والقضائيّة – مجلس وزراء العدل العرب.

**أ. م. د. فاهم يحي أحمد بجاش**، عميد مركز التّطوير الأكاديمي وضمان الجودة/ جامعة البيضاء/ اليمن.

# الهيئة التّحريريّة والعلميّة

أ. د. **علي محمود علي شعيب**، عميد كلّية التّربية/ جامعة المنوفية سابقًا – مصر.

أ. د. **أحمد محمد رباح**، عميد كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة/ الجامعة اللّبنانيّة سابقًا – لبنان.

أ. د. **عقيل سرحان محمد**، رئيس جامعة ساوة الأهلية – العراق.

أ. د. **حاكمة توفيق أبو علي**، كليّة الفنون الجميلة والعمارة/ الجامعة اللّبنانيّة، مُخرجة ومُعدّة برامج تلفزيونيّة ومُشاركة في مهرجانات مسرحيّة عالميّة في فرنسا وعدّة دول عربيّة – لبنان.

أ. د. **أحمد أنور العلمي**، عميد كلّية التّربيّة/ جامعة طرابلس، وأستاذ مشرف على أطاريح الدّكتوراه في جامعة القدّيس يوسف بيروت – لبنان.

أ. د. **عطا مهدي فليح**، كلّية التّربيّة الأساسيّة/ الجامعة المستنصريّة – العراق.

أ. د. **جمانة توفيق أبو علي**، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة/ كلّية التّربيّة/ الجامعة اللّبنانيّة – لبنان.

أ. د. **بهاء أحمد يحيى**، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة/ الجامعة اللّبنانيّة – لبنان.

أ. د. **علي مجدي علاوي**، كلّية التّربيّة الأساسيّة/ الجامعة المستنصريّة – العراق.

أ. م. د. **تأثير عبد الجبار ناجي**، الجامعة المستنصريّة/ قسم ضمان الجودة وتقييم الأداء – العراق.

أ. م. د. **محمد إبراهيم قانصو**، كلّية الحقوق/ الجامعة الإسلاميّة، وكلّية إدارة الأعمال/ الجامعة اللّبنانيّة.

أ. م. د. **ثامر راشد شيال الزبيدي**، كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة/ جامعة واسط – العراق.

أ. م. د. **محمد فتيني محمد كنباش**، كلّية الآداب/ جامعة الحديدة – اليمن.

أ. م. د. **علي ناصر ناصر**، العميد التّنفيذي في كلّية العلوم والفنون/ الجامعة اللّبنانية الدّولية – لبنان.

أ. م. د. **أنور شرف مهيوب الزبيري**، عميد كلّية الآداب/ جامعة الحديدة سابقًا – اليمن.

د. **سعيد محمد عبد الكحلوت**، رئيس قسم التّدقيق السّريريّ بالإدارة العامّة للصّحّة النّفسيّة/ وزارة الصّحّة الفلسطينيّة – فلسطين.

د. **عبدالله علي الموسوي**، جامعة القديس يوسف بيروت – لبنان.

– التّدقيق اللّغوي للبحوث: أ. **هنادي محمد عوالي**، (اللّغة العربية وآدابها – تخصّص لغويّ).

**للاتّصال والمراسلات:**

هاتف المجلّة: 0096170820078

الموقع الإلكتروني: www.diaalfekr.com

وعلى منصة نظام المجلات المفتوحة: https://ojs.diaalfekr.com

البريد الإلكتروني: diaalfekr.sj.lb@hotmail.com

# شروط النّشر وقواعده في المجلّة

**قواعد عامّة:**

تنشر مجلّة "ضياء الفكر" البحوثَ والدّراساتِ العلميّة الأصيلة والمبتكرة المكتوبة باللّغة العربيَّة أو إحدى اللّغتين الإنجليزيَّة أو الفرنسيَّة، الَّتي لم يسبق نشرها في أيّة وسيلة نشرٍ أخرى سواء أكانت ورقيَّةً أم إلكترونيَّةً، أو أنّها مقدّمة للنّشر في مجلّة أخرى. وذلك في مجال العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، التّربويّة، النّفسيّة، الإداريّة، الاقتصاديَّة، القانونيّة، الجغرافيّة، التّاريخيّة وغيرها. كما وتقبل المجلَّة نشر البحوث والنّصوص المترجمة أو المحقّقة أو مراجعات الكتب.

ترحب المجلّة أيضًا بنشر وقائع المؤتمرات والمنتديات العلميّة والنّشاطات الأكاديميّة الأخرى في مجال تخصّصها، وملخصات الرّسائل وأطاريح الدّكتوراه على أن يكون الملخص من إعداد صاحب الرّسالة نفسه. تُعبّر البحوث المنشورة عن آراء كتّابها، ولا تعكس آراء المجلّة، ويخضع ترتيب الدّراسات فيها لمعايير فنّيّة خاصّة بالمجلّة.

يُعدُّ البحث، بعد قبوله للنَّشر، حقًّا محفوظًا للمجلَّة، فلا يجوز النَّقل منه إلّا بالإشارة إليها. حيث يوافق المؤلّف على نقل حقوق النّشر والطّباعة لمجلّة ضياء الفكر للبحوث والدّراسات بمجرد إرساله للبحث. ويحقّ له إعادة نشر بحثه بعد مرور سنتين في كتابٍ شريطة حصوله على موافقةٍ خطّيَّةٍ من هيئة التَّحرير، والإشارة إلى المجلَّة وفق الأصول المعتمدة.

**خطوات النَّشر:**

- يُرسِل الباحثُ بحثَهُ إلى هيئة التَّحرير عبر بريدها الإلكترونيّ بصيغة مايكروسوفت وورد (Word).
- يُرسِل رئيس التَّحرير إلى الباحث إشعارًا بوصول البحث ضمن مدَّةٍ لا تتعدّى الأسبوع الواحد.
- يُعرض البحث على برنامج خاص لكشف الاستلال، حيث يتم رفض نشر الأبحاث الّتي تزيد فيها نسبة (الاستلال) عن المعدل المقبول دوليًّا.
- تُعرَض البحوث المرسَلة على لجنة التَّحكيم، بعد حذف أسماء أصحابها وعناوينهم توخيًّا للموضوعيَّة والأمانة العلميَّة.
- يُبَلَّغ الباحث بقرار لجنة التَّحكيم بصلاحيَّة بحثه للنَّشر أو عدمها ضمن مدَّةٍ لا تتجاوز ستَّة أسابيع.
- تُرسل هيئة التَّحرير تقرير اللَّجنة التَّحكيميَّة إلى الباحث في حال تضمَّن ملحوظاتٍ تستلزم التَّعديل، على أن يردَّ إليها النَّسخة المعدَّلة في أقلّ من شهرٍ من تاريخ إرسال التَّقرير.
- معاودة عرض النَّسخة المعدَّلة على لجنة التَّحكيم، وإبلاغ الباحث بنتيجة التَّحكيم قبولًا أو اعتذارًا.

**تعليمات الكتابة في المجلَّة:**

يتّبع الباحث الخطوات الآتية في إعداد بحثه:

تنسيق البحث ضمن صيغة مايكروسوفت وورد (word) ، وضرورة أن يكون مراعيًا لشروط البحث العلميّ ومتطلّباته، ومكتوبًا بلغةٍ سليمةٍ مع مراعاة علامات الوقف المطلوبة.

تتضمّن الصّفحة الأولى من البحث كتابة العنوان وسط الصّفحة بخطّ غامق حجم (١٨) للبحوث المكتوبة باللغة العربيَّة، و(١٦) للمكتوبة باللّغة الأجنبيَّة، وتحته إلى اليسار اسم الباحث، وعنوان المراسلة بخطّ غامق (١٤). وملخَّص للبحث (Abstract) في حدود (١٥٠ كلمة) باللّغة العربيَّة واللّغة الإنجليزيَّة، على أن يكون حجم الخطّ (١٢). وإن كانت الدّراسة مكتوبة باللّغة الإنجليزيَّة أو الفرنسيَّة، فيكتفي بإضافة ملخّصٍ باللّغة العربيَّة، مع تذييل الملخَّص بكلمات مفتاحيَّة (Keywords) تُعبّر عن المحتوى الدّقيق للبحث، وتُكتَب بخطّ غامق حجم (١٢).

ضرورة ألّا تقلّ عدد صفحات البحث عن ١٢ صفحة، وألّا تزيد عن ٢٠ صفحة من الحجم العادي قياس (A4). ويكون نوع الخطّ وحجمه وفق شروط النّشر الآتية:

نوع الخطّ في البحوث باللّغة العربية هو (Simplified Arabic)، أمّا حجمه فهو ١٦ غامق (Bold) للعنوان الرّئيس، و١٤ غامق للعناوين الفرعيّة، و١٤ عاديّ للمتن وترقيم الصّفحات؛ على ألّا تقلَّ المسافة بين الأسطر عن ١.١٥. أمّا حجم الخطّ للجداول والأشكال والرّسوم التّوضيحيَّة فهو ١٢ عاديّ، في حين يكون حجمه ١٠ عاديًّا للملخّص والهوامش السّفلى.

نوع الخطّ في البحوث باللّغتين الإنجليزيّة والفرنسيّة هو (Times New Roman)، أمّا حجم الخطّ فهو ١٦ غامق للعنوان الرّئيس، و١٣ غامق للعناوين الفرعيَّة، و١٣ عاديّ للمتن وترقيم الصّفحات؛ على ألّا تقلَّ المسافة بين الأسطر عن ١.١٥. أمّا حجم الخطّ فهو ١١ عاديّ للجداول والأشكال والرّسوم التّوضيحيّة، في حين يكون حجمه ٩ عاديّاً للملخّص والهوامش السّفلى.

يُراعى عند تقديم البحث التّباعد المفرد مع ترك هوامش مناسبة (٢.٥ سم) من جميع الجهات (أعلى – أسفل – يمين – يسار).

ضرورة ترقيم كلٍّ من الأشكال والجداول على التوالي حسب ورودها في البحث بحجم ٨، وتزويدها بعناوين صغيرة في أسفلها بحجم ٩، على أن يشار إلى كلّ منها في متن البحث بأرقامها.

تُكتَب هوامش الصّفحات السّفليّة بخطّ عاديّ (١٠)، وتُستَخدَم لإيراد أيّ ملحوظة، أو لتوضيح أيّ معلومة واردة في متن البحث، ويستخدم للإحالة إليها نجمة مميّزة مرتفعة عن النَّصّ بالشّكل الآتي (*) .

تُوثَّق المصادر والمراجع في داخل المتن بالشّكل الآتي: (إسم المؤلّف، سنة النّشر: رقم الصّفحة)، وذلك للإحالة إلى مصدر المعلومات في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث ضمن قائمةٍ مرتَّبةٍ ترتيبًا ألفبائيًّا.

ويجب تنظيم قائمة المراجع بأسلوب APA .

# فهرس المحتويات:


| ت | عنوان البحث | اسم الباحث | الصفحات |
|---|---|---|---|
| ١ | الآثار النّفسيّة للإدمان. | د. رنا جميل الحلبي١ | ١٠ – ٣٣ |
| ٢ | الإشاريات التداولية نماذج مختارة من مرويات الثعالبي. | أ. عبير عبده حزام سفيان الفودعي١ | ٣٤ – ٦٠ |
| ٣ | التّصوّرات الذّهنية للمجتمع الطّرابلسي حول العلاج النّفسيّ (شمال لبنان). | أ. بتول إبراهيم الخليل شاهين١ | ٦١ – ٨٦ |
| ٤ | التّصوّرات الذّهنية للمجتمع الطّرابلسي حول العلاج النّفسيّ (شمال لبنان). | د. أحلام ديب رعد ١ | ٨٧ – ١١٠ |
| ٥ | رقابة الهيئات المستقلة على الموازنة الاتحاديّة: هيئة النّزاهة والكسب غير المشروع أنموذجًا. | ستار جبار حمد الزكيطى١<br>أ. د. علي زعلان٢ | ١١١ – ١٤٢ |
| ٦ | مكانة الأم في أحكام الحضانة لدى الطائفة الشيعية في لبنان وتأثيراتها على الأم وعلى معاش الأطفال. | أ. أمل صفوان هواري ١ | ١٤٣ – ١٦٠ |
| ٧ | قصيدة: يا دمع. | أ. د. محمد توفيق أبو علي١ | ١٦٢ – ١٦٤ |

# أبحاث

# العدد الثّالث ٢٠٢٤

**جميع ما ورد في هذه الأبحاث من مادّة علميّة تعبّر عن آراء أصحابها**

# الآثار النّفسيّة للإدمان

# Psychological Effects of Addictive

**الباحثة د. رنا جميل الحلبي***

**Rana Jamil Al-Halabi, PhD***

**الملخّص:**

طرحت الباحثة موضوعًا هامًا في دراستها المعنونة: "الآثار النّفسيّة للإدمان"، وانعكاسها على حياة الفرد والمجتمع ككل. وانطلقت من إشكالية التأثيرات النّفسيّة للإدمان على الصحة النفسيّة للمدمنين كما على صحتهم الجسدية باختلاف نوع الإدمان. وخرجت الدّراسة بتوصيات عديدة، أهمها: توعية المجتمع بالآثار النّفسية للإدمان من خلال حملات التّوعية والبرامج التّثقيفيّة. كما أكدت على أهمية تقديم الدّعم والعلاج النّفسي للأشخاص الذين يعانون من الإدمان، وبالتالي تشجيع الباحثين على إجراء البحوث العلميّة والنّفسيّة في هذا المجال.

وقد خلُصت الباحثة إلى عدة مقترحات أهمها: حث الحكومات والمؤسسات والمراكز الصّحية على وضع سياسات وبرامج علاجيّة لمعالجة الآثار النّفسيّة للإدمان وتحسين الرّعاية الصّحية النّفسيّة، وضرورة اتخاذ تدابير وقائيّة، ودعت إلى تشجيع البحث عن وسائل فعّالة للوقاية من الإدمان وخلق بيئة نفسيّة واجتماعية صحيّة تحدّ وتقلّل من انتشار الإدمان.

**الكلمات المفتاحيّة: الآثار النّفسيّة، الإدمان، المدمنين.**

## Abstract:

The researcher raised an important topic in her study entitled: “The psychological effects of addictive” and its impact on the life of the individual and society as a whole. It started from the problem of the psychological effects of addictive on the mental health of addicts as well as on their physical health, depending on the type of addictive. The study came up with many recommendations, the most important of which are: educating society about the psychological effects of addictive through awareness campaigns and educational programs. She also stressed the importance of providing support and psychological treatment to people suffering from addictive, thus encouraging researchers to conduct scientific and psychological research in this field.

* باحثة دكتوراه، المعهد العالي لإعداد الدكتوراه - علوم الإنسان والمجتمع، جامعة القديس يوسف، بيروت.

Email: rana.j.halaby@gmail.com / rana.alhalabi@net.usj.edu.lb

* PhD researcher in psychology at The EDSHS - Saint Joseph University in Beirut.

The researcher concluded several recommendations, the most important of which are: urging governments, institutions and health centers to develop policies and treatment programs to address the psychological effects of addictive and improve mental health care, and the necessity of taking preventive measures. She called for encouraging the search for effective means of preventing addictive and creating a healthy psychological and social environment that limits and reduces spread the addictive.

**Keywords: Psychological Effects, Addictive, Addicts.**

## المقدّمة:

إنَّ الإدمان بتعريفه الشامل يعني الاستسلام؛ فهو حالة تستعبد الشخص وتتحول إلى مرض يصيب الأفراد، وتظهر رغبة شديدة وملحّة في تناول مادّة معيّنة أو القيام ببعض السّلوكيّات على الرغم من احتمالية كافة العواقب. وقد يرتبط الإدمان إما بالمواد الكيميائيّة كالمخدّرات والكحول أو بتغيير السّلوكيات كإدمان الإنترنت أو الألعاب الإلكترونيّة.

اِرتبط الإدمان على المخدرات في كثير من الأحيان بأمور أكثر خطورة وفتكًا مثل تناقل الأمراض الخطيرة كالإيدز من شخص إلى آخر سواءً كان عبر الاتصال الجنسي أو عن طريق الحقن غير المعقمة؛ فظهرت على إثرها أمراضًا جديدة يتناقلها المدمنون فيما بينهم أو ينقلوها لأشخاص آخرين.

وللإدمان تأثيرات جسيمة جسديّة ونفسيّة واجتماعيّة سلبيّة على الفرد والمجتمع؛ فالمدمنون يعانون من عدم القدرة على التّوقف عن استخدام المادّة أو القيام بالسّلوكيّات المدّمرة، وهذا يؤثّر بشكل سلبي على حياتهم الشّخصيّة والاجتماعيّة والعلميّة؛ إذ أنه بسبب انحرافاتهم السلوكية كالشذوذ الجنسي والممارسات الأخرى التي يقومون بها تحت تأثير المخدر، يتناقلون فيما بينهم أمراضًا كالزهري والسيلان وغيرها.

على ضوء ذلك، يتم تصنيف الأدوية الأفيونيّة والبنزوديازيبين والكحول والكوكايين والهيروبين على أنها أكثر المواد المسببة للإدمان. بالإضافة إلى أن هناك نوعاً آخراً من الإدمان تقدّمه الألعاب الإلكترونيّة والإنترنت من خلال تجارب تعتبر ممتعة ومغرية ولكنها قد تؤدّي إلى تطوّرات إدمانيّة عند بعض الأفراد. لذلك يجب الإشارة إلى أنّ دور المجتمع الأساسي يبدأ من إطار المنزل والأسرة للقيام بالاحتياطات اللازمة للوقاية من أي خطر يوجه الأبناء نحو الإدمان.

من ناحية أخرى، يؤدّي الإدمان أيضًا إلى انعدام التّوازن الكيميائي في الدّماغ وتغيرات في وظائفه، ممّا يصعب على المدمن استعادة حياته الطّبيعية من دون العلاج المناسب؛ لذلك على الدولة اتخاذ الإجراءات المناسبة في مكافحة هذا الموضوع وتضييق الفرص على كل من يتاجر بأرواح أبنائها.

لذلك، من الضروري أن يقوم العلاج من الإدمان بشكل أساسيّ على العلاج النّفسي والدّعم الاجتماعي والتّوجيه الطّبي المتخصّص؛ فالتّغلب على الإدمان يتطلّب قوة الإرادة والمثابرة، والدّعم الصّحي المناسب. فمن الضّروري توفير بيئة داعمة وتعلّم استراتجيّات التّعامل مع المواقف الصّعبة لتجاوز الإدمان والحصول على حياة صحيّة مستقرة (شديفات، ٢٠١٧: ٨٠-٨١).

فهدفنا الأساسي هو التّعرّف على بعض آثار الإدمان السّلبية على الصّحة النّفسيّة، والتأكيد على التّغيرات الجسيمة الّتي تحدث سواء للعقل أو للعاطفة نتيجة الإدمان؛ كما أننا سنتناول العلاقة بين الإدمان والقلق والاكتئاب وأثرهم على الذاكرة والانتباه. وسنتطرق في المبحث الثاني لدراسة الصّحة النّفسيّة للمدمن وكيفية علاجها والتعامل معها.

## أهداف الدّراسة:

تسعى هذه الدّراسة ميدانيًّا إلى تسليط الضّوء على مشكلة الإدمان، والتّعرف إلى أنواعه (المخدرات، الكحول، الأنترنت، القمار) وآثاره النفسيّة على المدمنين، والتّحقّق من وجود فروق في مستوى التأثيرات النّفسّيّة لدى المدمنين بمختلف أنواع إدمانهم، وما إذا كان هناك فروق بين المدمنين في مستوى الآثار النفسية تُعزى إلى متغير العمر.

## أهميّة الدّراسة:

تكمن أهميّة الدّراسة الحاليّة في أهميّة الموضوع الّذي تناولته، فالبحث حول الآثار النّفسيّة للإدمان سيُساهم في فهمنا للمشكلة التي تواجه الأفراد والمجتمعات ومدى خطورتها، وأيضًا سيشكّل إضافة علميّة وبالتّالي قد تشكّل انطلاقة نظريّة لدراسات لاحقة. كما يُمكن للحكومات والمؤسسات الصحيّة وللباحثين في مجال علم النّفسّ والتّربيّة والصّحّة النّفسّيّة الإستفادة من نتائج هذه الدّراسة ومن توصياتها وذلك من أجل وضع برامج علاجية وتأهيلية للمدمنين ولعائلاتهم، وتطوير استراتيجيّات دعم نفسيّ اجتماعي لهم ما يسهّل إعادة دمجهم في المجتمع. ووضع برامج توعويّة حول الإدمان وتسليط الضوء على أهمية الصحة النفسيّة. من هنا كانت أهميّة الدّراسة الحاليّة وفائدتها البحثيّة المرجوّة.

## أدبيّات الدّراسة:

### الدّراسات السّابقة:

قام **روبنسون وآخرون (Robinson et al., 2023)** بدراسة بعنوان: "Dual Diagnosis: Substance Abuse and Mental Health" هدفت إلى فحص العلاقة المعقدة بين تعاطي المخدرات، المعروف أيضًا بالتشخيص المزدوج، واضطرابات الصحة العقلية. قام الباحثون بتحليل التحديات التي ينطوي عليها معالجة هاتين القضيتين وقدموا توصيات حول كيفية التغلب على هذا التداخل وتحقيق العلاج. كما بحثت الدراسة في القضايا المتعلقة بتعاطي المخدرات واضطرابات الصحة العقلية، مع التركيز على انتشار التشخيص المزدوج وتأثيره على حياة الناس اليومية، وكيف أن التأثير المتبادل الذي يحدث عندما تظل المشاكل النفسية من دون علاج يمكن أن يؤدي إلى تعاطي المخدرات وتفاقم المشاكل في البيئات غير المواتية.

إحصائياً، أظهرت الدراسة مدى انتشار تعاطي المخدرات واضطرابات الصحة النفسية، وأبرزت أهمية التدخل المبكر والتوعية للفرد والمجتمع. كما تحدثت عن كيفية ظهور مشاكل تعاطي المخدرات واضطرابات الصحة النفسية في المقام الأول، مشيرة إلى أن المخدرات تستخدم للتخفيف من أعراض الصحة النفسية والعكس صحيح. وسلّطت الدراسة الضوء على أهمية اتباع نهج شامل لعلاج التشخيص المزدوج. واختتمت بالإعراب عن أملها في إمكانية علاج التشخيص المزدوج وتشجيع الناس على طلب العلاج وتحقيق الشفاء.

قام **أولواسنمي (Oluwasanmi, 2022)** بدراسة بعنوان: "Effects and consequences of drug abuse" هدفت الدراسة إلى طرح موضوع تعاطي المخدرات ودراسة كيفية دخول المواد الكيميائية إلى الجسم وإحداث الضرر فيه. كما بحثت الدراسة في آثار المخدرات على الجسم والعقل، مع التركيز على الغثيان وآلام البطن والنوبات وأمراض الرئة والآثار النفسية مثل الاكتئاب والأفكار الانتحارية. وسلطت الضوء على تأثير تعاطي المخدرات على المجتمع، بما في ذلك تأثيره على الصّناعة والتعليم والأسر، مما يساهم في زيادة العنف والجريمة والمشاكل الاقتصادية. كما تناولت آثار تعاطي المخدرات على الشباب، مشيرة إلى مشاكل صحية خطيرة وآثار نفسية، فضلا عن الآثار السلوكية مثل التسرب من المدرسة والسلوك العدواني.

وفي النهاية، عرضت الدراسة استراتيجيات الوقاية من تعاطي المخدرات مثل توفير المهارات والدعم للشباب ودور الآباء والمعلمين وقادة المجتمع في تعزيز عناصر الوقاية. أوضحت أهمية الفهم الشامل لتعاطي المخدرات، وتسليط الضوء على آثارها ومعالجة التدابير الوقائية بشكل فعّال لبناء مجتمع صحي ومستقبل أكثر استدامة.

قام **(العميدي، ٢٠١٩)** بدراسة بعنوان: "الآثار النفسية والأكاديمية والاجتماعية لإدمان استخدام الانترنت بين طلبة الجامعات العراقية". هدفت الدراسة إلى التعرف إلى درجة الآثار النفسية والأكاديمية والاجتماعية لإدمان الإنترنت على طلبة الجامعات العراقية. اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي المسحي، وأعدت استبانة تضمنت الآثار النفسية والأكاديمية والاجتماعية لإدمان الإنترنت، تم توزيعها على عينة الدراسة المكونة من (٣٩٤) طالبا وطالبة في جامعة تكريت ضمن التخصصات الإنسانية والعلمية. وقد أظهرت نتائج الدراسة أنّ درجة الآثار النفسية والأكاديمية والاجتماعية لإدمان الإنترنت على الطلبة مرتفعة، وجاء مجال الآثار الاجتماعية أولا، ثم مجال الآثار النفسية ثانيا، ثم مجال الآثار الأكاديمية في المرتبة الأخيرة، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تقديرات أفراد العينة وفق متغير الجنس لصالح الذكور، ووفق متغير التخصص لصالح التخصصات العلمية، وعدم وجود فروق دالة إحصائيا وفق متغير المؤهل العلمي، وفي ضوء النتائج قدمت الباحثة توصيات عدة منها: إجراء ندوات ومحاضرات تثقيفية لطلبة جامعة تكريت، حول الآثار السلبية لإدمان الإنترنت.

أجرى **(زياد، ٢٠١٨)** دراسة بعنوان: "العواقب النفسية والطبية لإدمان المخدرات: مقاربات تصحيحية وتيسيرية مقترحة". بحثت هذه الدراسة حول التفسيرات المختلفة لمفهوم السلوك المنحرف، وتبايناته حسب القيم والأعراف الاجتماعية السائدة. وهدفت إلى دراسة الآثار النفسية والطبية لإدمان المخدرات، مع الأخذ في الاعتبار أن السلوك المنحرف له طبيعته الخاصة وتفسيره الكمي، حيث تم توزيع حوالي ٧٠٪ ضمن النطاق الطبيعي، وحوالي ١٥٪ ينحرف سلبًا، و١٥٪ ينحرف إيجابيًا.

أكد هذا الدراسة على التقييم الاجتماعي للسلوك باعتباره منحرفًا أو طبيعيًا بناءً على الامتثال للأعراف الاجتماعية أو الانحراف عنها. وغطى السلوكيات المنحرفة البارزة مثل التشرد والسرقة والعدوان والانحراف الجنسي والإدمان (الكحول والمخدرات) والدعارة.

أما من الناحية القانونية، أوضحت الدراسة أنّ أي فعل يحظره القانون، سواء ارتكبه قاصر أو بالغ، يعتبر جريمة، ويعتقد أنّ الانحراف يفسر مفهوم الجريمة ذاته.

وقدمت الدراسة اقتراح نهج علاجي وتمكيني يركز بشكل خاص على الشباب. ويولي اهتمام خاص لبناء وتعزيز القدرات الفكرية والاجتماعية والسلوكية. سعى هذا البحث إلى المساعدة في تنشئة جيل واثق يسعى لتحقيق نتائج إيجابية ولا يخشى ارتكاب الأخطاء. كما سلّطت هذه الدراسة الضوء على ضرورة خلق بيئة غنية وداعمة للوقاية من السلوك المنحرف ومكافحة الآثار السلبية لإدمان المخدرات.

قام **(سعدات و بدوي ٢٠١٦)** بدراسة حول: "الآثار الصحية والنفسية لتعاطي شباب الجامعة للمواد المخدرة"، اعتمد الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لتنفيذ الدراسة، وتوصلت الدراسة إلى أنّ تعاطي المخدرات يسبب آثار صحية خطيرة ما يضعف القوى العقلية للمدمن وقدراته وطاقاته، كما يسبب أمراض نفسية (اكتئاب مزمن، قلق، فقدان الذاكرة). طرحت الدراسة عدة توصيات، منها ضرورة توعية الشباب حول قدرتهم على التغلب على المشكلات ومواجهة الضغوطات باختلافها من دون اللجوء للمخدرات وأهمية تعاون القطاعات لشرح آثار المخدرات ومخاطرها على صحة الإنسان بهدف الابتعاد عنها والاعلان عن عدد حالات الضبط والوفيات.

أجرى **مهدي (٢٠١٥)** دراسة حول بعض الاضطرابات النفسية المرتبطة بإدمان الترامادول لدى الشباب الجامعي، اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي واختارت عينة مؤلفة من ٢٥٠ طالب وطالبة وأشارت الدراسة إلى تعرض المتعاطين لاضطرابات نفسية وترتبط اختلاف النسبة باختلاف الجنس والموقع الجغرافي ومدة التعاطي، وقدمت عدة توصيات منها ضرورة تربية الأبناء بأساليب معاملة سوية وإشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية بالطريقة المناسبة كما ويتوجب تقديم الوالدين أنماط القيم الإيجابية كنماذج يتعلم منها الأبناء، إضافة إلى إلقاء الضوء على دور المناهج الدراسية في تحقيق الشخصية السوية للتلاميذ وتفريغ طاقات الشباب على النحو الصحيح من خلال الأنشطة ومساعدة الطلاب في حل مشكلاتهم لإبعادهم عن اللجوء لأساليب سيئة لحلها.

## الإشكالية:

يعتبر الإدمان باختلاف أنواعه وأشكاله أحد أهم المخاطر التي تواجه الشباب في عصرنا؛ إذ أنه قد يكون تعاطياً للمواد الكيميائية المخدرة أو إدمانًا على سلوكيات معينة. وهذا الموضوع له تأثيرات سلبيّة مختلف على حياة المدمن ونفسيته إذ يواجه تحديات نفسية واجتماعية وقانونية تبعاً لسهولة الوصول للمؤثرات

النفسية، أو للهروب من الضغوط الاجتماعية والعاطفية أو نقص الوعي الكافي حول مخاطر الادمان وتأثيره على الصحة النفسية. ومن هنا ينطلق السؤال الرئيسي للدراسة:

- ما هو الإدمان وهل تختلف الآثار النفسية للإدمان التي تظهر على المدمنين؟

يتفرع عن السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

- هل توجد فروق دالة إحصائياً بين مدمني الإنترنت في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم؟
- هل توجد فروق دالة إحصائياً بين مدمني المخدرات في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم؟
- هل توجد فروق دالة إحصائياً بين مدمني الكحول في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم؟
- هل توجد فروق دالة إحصائياً بين مدمني القمار في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم؟
- هل توجد فروق دالة إحصائياً بين المدمنين بحسب أعمارهم في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم؟

في ضوء ما تقدّم يُمكن صياغة فرضيّات الدّراسة الحاليّة كما يلي:

- **فرضيّات الدّراسة:**

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مدمني الإنترنت في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم.
- توجد فروق دالة إحصائيًا بين مدمني الكحول في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مدمني القمار في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم.
- توجد فروق دالة إحصائيًا بين مدمني المخدرات في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المدمنين بحسب أعمارهم في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم.

## الإطار النظري للدّراسة:

## تأثير الإدمان على الصحة النفسية:

إن اكتساب المفاهيم الأساسية والمبادئ الأولية في مجال الإرشاد والصحة النفسية يُعَد أمراً ضرورياً. ومن الواجب على جميع المختصين فهم الطبيعة البشرية وعملية تكوين الشخصية، وتأثير العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية على السلوك البشري. يجب التركيز في هذا السياق على تعزيز الوعي الذاتي وفهم

العواطف والمشاعر الشخصية وتأثيرها على السلوك والحالة العامة للفرد، بهدف فهم احتياجات الآخرين، ودعمهم، والتواصل الفعّال معهم، وتقديم الدعم النفسي لهم، سواء كان ذلك في الأسرة أو المدرسة أو المجتمع، وتقديم الدعم والإرشاد في حالات الصعوبات النفسية والعاطفية. ويجب ملاحظة أنه عندما يتعلق الأمر بالمدمنين، يجب التعامل معهم بحساسية خاصة، بغض النظر عن الأسباب والدوافع وراء إدمانهم (أبوزعيزع، ٢٠١٥: ٧-٨).

**١- مفهوم الإدمان:**

يحدث الإدمان عندما يستمر الشخص في الاعتماد على مادة مخدرة معينة حتى لا يستطيع أن يمر يوم بدونها ويكون لها تأثير سلبي على حالته النفسية وصحته. ومع تقدم المجتمعات تطورت أيضاً ظاهرة الإدمان، وتحول وعي الناس من إدمان التدخين إلى إدمان المخدرات. ينتشر الإدمان في كل مكان، من المقاهي إلى الجامعات والمدارس، ويستهدف الشباب في محاولة لاستدراجهم إلى مراحل أكثر خطورة ودفعهم للبحث عن مخدرات أكثر فعالية. بشكل عام، يشير الإدمان إلى الاستخدام المتكرر للكحول أو مواد التدخين إلى درجة الإدمان، والتي قد تصل إلى مرحلة الهوس (رستم وآخرون، ٢٠١٢: ٦٧-٦٨).

يعتبر الإدمان بأنواعه من الأدوات الكارثية التي تغلغلت في المجتمع منذ القدم وشهدت انتشارا غير مسبوق في السنوات الأخيرة، مما أدى إلى تفاقم المشكلات النفسية والجسدية، خاصة بين الشباب، مثل الاكتئاب، والقلق، والعزلة، الخ... يؤدي الإدمان إلى تدهور الحالة النفسية للمدمن عند فقدان مادة ما وعدم توفرها (سبا، ٢٠١١: ١١٣-١١٤). إنّ الانغماس في بعض وأخطر الأدوات التي تزعزع استقرار الكيانات الاجتماعية وتهدد أمنها هو سلاح العصابات المنحرفة المتطرفة والعصابات الصهيونية الماسونية التي تستخدمه بطرق إرهابية خطيرة، كما ينشر الغرب أسلوب الفوضى في المجتمع العربي ويسعى إلى تدميره ومواصلة الانحطاط والجهل والفقر في ظل استراتيجية تكنولوجية تفسد الدول والشعوب، وتنشر القتل والعجرفة والتفاهة والغباء، مفبركة بشعارات خادعة مثل الانفتاح وإعادة بناء حقوق الإنسان (محمود، ٢٠٠٧: ٩٠-٩٥).

**٢- النظريات المفسرة للادمان:**

هناك عدة نظريات تمثل محاولات لفهم طبيعة الإدمان وعوامله، إحدى هذه النظريات هي "نظرية النقص الكيميائي"، حيث تقترح أن الإدمان ينشأ نتيجة لعدم توازن الكيمياء في الدماغ. تشير هذه النظرية

إلى أن المواد الإدمانية تؤدي إلى تغيير في مستويات النواتج الكيميائية الدماغية، مما يخلق حالة من التعتيم الكيميائي، فيسعى الشخص المدمن إلى استهلاك المزيد من المواد لاستعادة التوازن الكيميائي، وهذا يسهم في دورة الإدمان (Volkow, N. D., & Li, T. K., 2004: 36, 38) .

من ناحية أخرى، تقترح "نظرية الإرضاء والتحفيز" أن الإدمان ينشأ بسبب تجربة المتعة والإرضاء الذي يقدمها الاستهلاك المتكرر للمواد الإدمانية. يعتقد أن هذا التحفيز يؤدي إلى تعزيز السلوك الإدماني، حيث يسعى الفرد لتجنب الانسحاب والشعور بالإحباط الذي قد يصاحبه. يعتبر نهج الإرضاء والتحفيز من العوامل الرئيسية في تطور واستمرار الإدمان، حيث يتعامل مع الجوانب النفسية والتحفيزية لهذه الحالة (Eby, Lillian T., 2017, p. 13).

أما نظرية التعلم الاجتماعي تؤكد أن الجماعات المرجعية أساسية في توضيح السلوك الاجتماعي وتشدد على أن سلوك الإنسان هو سلوك مكتسب من الآخرين من خلال الاختلاط والتواصل والتفاعل معهم، فيتعلم الطفل من الجماعة المرجعية كيفية الأكل والنوم (أسرته) وبانتهاجه سلوكًا ينعكس على الأفراد فيتصرفون بسلوك سلبي واعتمادها سلوكًا إيجابيًا ينعكس على أفرادها فيكون سلوكهم إيجابي، ويُفسر أصحاب هذه النظرية تعاطي المخدرات نتيجة ظاهرة الاندماج مع الجماعة أي المتعاطين فيبدأ الفرد بالتعاطي ويستمر بذلك بغية الحفاظ على شعور الانتماء للجماعة التي تدعم سلوكه كما يعمد الفرد إلى تقليد مثلًا يختاره، إذًا سلوك التعاطي هو سلوك متعلم من الملاحظة والتقليد وينصاع الفرد للجماعة ويعتمد أي سلوك تعتمده سواء كان سلبي أو إيجابي.

وفقًا للنظرية السلوكية، تعتمد أسباب تعاطي الأشخاص للمخدرات على القوانين الأساسية لنظرية التعلم. وأشار عالم وظائف الأعضاء الروسي بافلوف ومدرسته الفكرية إلى أن كل سلوك إنساني ليس إلا نتيجة لتعلم سابق.

وفي هذه الحالة يتعلم المدمن من خلال سلوكه لأنه يجد أن تعاطي المخدرات يخفف من همومه ويقلل من الضغوط التي يواجهها. وبهذه الطريقة، يتعلم المستخدمون تبني سلوكيات محددة مرتبطة باستخدام المواد المخدرة ويدركون أن تجنب المشاكل والتوتر يرتبط باستخدام هذه المواد. وبمرور الوقت، يتعلم المستخدمون هذا السلوك ويبنونه، مما يؤدي في النهاية إلى الإدمان (العفيفي، ١٩٨٦: ٦٠).

**٣- أنواع الإدمان:**

قد يعتقد البعض أن هناك أنواع وأشكال عديدة للإدمان، بينما قد يعتقد البعض الآخر أن هناك شكل أو طريقة واحدة معينة للإدمان. ولأن الإدمان لا يقتصر على تناول مختلف أنواع المخدرات، فهناك أنواع أخرى سنعرضها كالآتي:

**أ- إدمان الكحول والمخدرات:**

يعتبر هذا النوع هو الأكثر شهرة وشيوعاً بين العديد من المستخدمين، وينطوي على تناول متكرر لأي من المواد الآتية على مدى فترة طويلة من الزمن: ولا يقتصر هذا النوع من التأثير على الجسم فقط، بل يمتد إلى الجوانب السلوكية أيضاً. وأمام هذا المنحى، لن يتمكن المدمن من الانسحاب بسبب الأعراض التي تصيبه عند انتهاء تأثير المخدر عليه، ولن يتمكن بالتالي من التوقف عن التعاطي (العيسوي، ٢٠٠٥: ١١٣).

**ب-المخدرات الصناعية:**

وتعتبر أكثر انواع المخدرات الخطرة والمدمرة لجسد الإنسان، لذلك فهي غير مشروعة ولا يتوفر لها سبل علاجية سهلة لأنها تختلف باختلاف أنواعها ومكوناتها، نذكر منها: المورفين، الهيروين، الترامادول، الأفيون والكبتاجون وما إلى ذلك من عقاقير ممكن أن يدخلها المواد المخدرة (كالأدوية المنومة وأقراص ليريكا) (محمد، ٢٠٢٠: ١٠-١٤) .

**ج- القمار:**

مع هذا النوع من الإدمان، ترتبط رفاهية الشخص بالمقامرة، وتكون هناك رغبة قوية في الفوز دائمًا، ونتيجة لهذه الإثارة، لا يتمكن الآخرون من ملاحظة مثل هذا السلوك الإدماني. وعندما لا يتم علاج إدمان القمار ويؤدي بالمدمن على القمار إلى سلوكيات سيئة كالسرقة والعنف والجريمة، ما يؤدي إلى معاناة من هم حول من إدمانه والسلوكيات المترتبة عليه للحصول على ما يكفي من المال لتعويض خسائره (Gambling, 2011: 51-55) .

**د- إدمان الجنس والإباحية:**

ولا تقتصر آثار هذا النوع من الإدمان على المدمن، بل تمتد إلى البيئة المحيطة به أيضاً: عائلته وأطفاله وأخيراً الشباب الذين اعتادوا في كثير من الأحيان على مشاهدة الأفلام الجنسية، كما تمتد إلى المجتمع، ما يؤثر على عمله أو دراسته أو التزاماته الاجتماعية أو العمل المطلوب منه. كما أنه يريد أن يبقى وحيداً طوال الوقت، بعيداً عن البيئات الخارجية الأخرى، ولكن إذا كان الرجل المتزوج يعاني من هذا النوع فإن حياته الزوجية ستنتهي بالطلاق الجسدي، أي انفصال زوجته تماماً، فتبتعد عنه وتستمر في زواجها بشرف اجتماعي فقط، مما يدمره ذلك. أو قد يحصل بالفعل انفصال أو طلاق، ويصبح الأبناء في حيرة بين أبيهم وأمهم. والحالتان تعودان إلى رغبة المدمن في إقامة علاقات جنسية متكررة مع العديد من النساء، أي ظهور الخيانة الزوجية الدائمة التي لا يتحملها الزوج ويتعرض للإهانة (العباجي، ٢٠٠٧: ١٠١-١٠٥) .

**٤- مشكلات اضطرابات الشخصية للمتعاطي:**

تُعرف المشكلات النفسية على أنها اضطرابات تؤثر على تفكير الشخص وتتحكم فيه إلى حد عدم قدرته على أداء المهام على أكمل وجه أو اتخاذ القرارات المناسبة. ويظهر نتيجة ذلك، تدهور واضح في سلوك وانفعالات الفرد، وحدوث مشكلات نفسية نتيجة تصرفات مفاجئة تضر بالفرد أو المجتمع، وتفاقمها بشكل ملحوظ، كما تؤدي إلى ظهور أعراض مثل: السلوك العدواني المتكرر أو السلوك غير العدواني الذي يجعل الإنسان يتجاوز حدود حقوقه، أو ينتهك حقوق الآخرين، أو يخالف القوانين العامة في المدرسة أو المنزل أو العمل (بزراوي وعثماني، ٢٠٢١: ٤١٧-٤٣٢).

ومن هذا المنظور، يمكننا أن نرى أن بعض الاضطرابات النفسية والسمات الشخصية هي سبب الإدمان. عندما يتعلق الأمر بالمخدرات، تظل مسألة العلاقة بين الشخصية وتعاطي المخدرات معقدة. ومن ناحية أخرى يمكن القول أن معظم متعاطي المخدرات لديهم محددات نفسية مرضية قوية وشائعة.

ينبع الإدمان من اضطراب الشخصية الكامن لدى الشخص، والعوامل الاجتماعية هي مجرد عوامل مهيئة أو عوامل تمكينية. وذلك لأن المرض الأساسي يتجلى في سلوك غير طبيعي. قد يكون من المفيد أيضًا مراعاة عوامل مثل سلوك تعاطي المخدرات وتأثيره على نمط حياة الشخص. وفيما يتعلق بميل الأفراد

إلى الإدمان على هذه المخدرات، فقد أشير، على سبيل المثال، إلى أن الشباب لا يضعون حدوداً لتناولهم المخدرات. تبدأ عندما يتناولون كمية كبيرة ومتنوعة من المخدرات، على الرغم من أنه يقال إن تعاطي المخدرات ينطوي على شكل من أشكال الفضول وتجريب شيء جديد لكن في الحالات الشديدة يكون نتيجة اضطراب مزمن في الشخصية وخاصة الاضطراب الذهني. وهذا ما يتم ملاحظته في معظم الحالات، ويتناول بعض الأشخاص أدوية للتخلص من القلق والاكتئاب، أو لتكون بمثابة حاجزاً بينهم وبين العالم الذي يرفضونه (غبدالمنعم، ٢٠٠٣: ٣٣٠) .

ليست المشاكل النفسية كلها فعلية، إذ أن المدمن يميل إلى التظاهر بمرض نفسي وجسدي في حين أنه في الواقع ليس كذلك. كما انه يقوم بتخيل مشاعر وأفكار لا وجود لها على الإطلاق في الواقع. تأتي كل هذه الآثار إلى جانب اضطرابات النوم بسبب الأرق المنهك وعدم إمكانية النوم بشكل صحيح أو أثناء النهار والاستيقاظ بسرعة... كل تلك الاضطرابات تحدث نتيجة أمراض طبيعية أو الإفراط في استخدام بعض الأدوية.

**١. مشكلة اضطراب المزاج:**

يتعرض المتعاطي لتقلبات مزاجية مستمرة وفقدان الحماس والقدرة على القيام بالأنشطة اليومية العادية، إلى جانب التوتر والتعب النفسي والجسدي والنفسي. كما أنه يدخل في حالة من اللامبالاة بالتواصل مع العالم الخارجي، وحتى بوجود الأشخاص المحيطين به والمجتمع ككل. ومن ناحية أخرى، هناك الحالة المعاكسة لاضطراب الشخصية والاكتئاب، وتسمى بنوبات الهوس والتعلق بأشياء محددة، وهي انفعالات غير طبيعية وغير واعية تسيطر على الشخصية وهدفها: الشمول، زيادة احترام الذات، الرغبة في الحديث والحديث دون توقف، الإدمان على الأنشطة الممتعة للغاية، مثل ممارسة الألعاب أو التسوق (Richard, 2000: 154-155).

**٢. القلق:**

إنها حالة عامة ومستمرة من القلق والتوتر بسبب الشعور بالتهديد أو الخطر الحقيقي أو التخيل، أو ببساطة استجابة لأحداث أو مواقف لا تستحقها.

**٣. مشاكل الانفصال عن الواقع:**

ويعبر عنها برغبة الفرد في العزلة وعزوفه عن التفاعل مع العالم الخارجي أو حتى التركيز على نفسه أو أفكاره.

**٤. نقص القدرة على التكيف:**

فمثلاً يتعرض الشخص بشكل متكرر لصدمات نفسية، وهذا هو الضغط النفسي وأزمة الرفض من المجتمع، فيمكن أن تؤدي هذه الصدمات إلى ردود أفعال سلبية تستمر من ١ إلى ٦ أشهر. ردود أفعال غير مقبولة واستمرارها يجلب الضرر والانزعاج لأنفسهم وللآخرين.

**٥. الانسجام الاجتماعي:**

وهو انعزال الإنسان عن العالم الخارجي وعن التواصل مع الأصدقاء، دون وجود أسباب وجيهة من جانبه أو حتى وقوعه في أمراض مثل الاكتئاب أو الخوف أو القلق.

**٦. المشاكل الفردية:**

تنشأ هذه المشاكل نتيجة العقبات التي يواجهها الإنسان في الحياة اليومية وعادة ما تتعلق باحتياجات الفرد الشخصية (النمو الجسدي والنفسي، ودعم الذات والمجتمع).

وتصنف هذه الاضطرابات على النحو الآتي:

- **المشكلات الشخصية:** وتشمل الاستعداد الوراثي المنخفض المستوى، والأمراض العضوية، واضطرابات النمو، والضعف العقلي، وتخلف مستويات الطموح.
- **المشاكل البيئية:** تنشأ بسبب عدم كفاية التعليم والعوامل الاجتماعية المحيطة بالفرد.

## إجراءات الدّراسة :

### المنهج:

استخدمت الدّراسة الحالية المنهج الوصفيّ الذي يُعتبر أحد أبرز المناهج المستخدمة في الدّراسات العلميّة، وهو من الأساليب الهامّة والنّاجحة في تجميع البيانات والمعطيات الكميّة والنّوعيّة لظاهرةٍ ما وتفسير جميع الظروف المحيطة بها، وبلورة الحلول بوضع التّوصيات والمقترحات لها.

## عينة الدّراسة:

تكوّنت عينة الدّراسة من (١٧٠) مدمنًا من محافظة عكار على مختلف أنواع الإدمان (الأنترنت، الكحول، المخدرات، القِمار) طُبقت عليهم أداوات الدّراسة التي أعدتها الباحثة. توزّعوا بنسبة ٥٥.٣٪ للذكور و٤٤.٧٪ للإناث، توزّعوا على مختلف الفئات العُمريّة على الشكل التالي: أقل من ١٨ عاماً (٢٢.٤٪)، من ١٨ إلى ٢٥ عامًا بنسبة (١٥.٣٪)، من ٢٦ إلى ٣٥ عامًا (١٦.٥٪)، من ٣٦ إلى٥٠ عامًا بنسبة (٢٤.١٪)، أكثر من ٥٠ عامًا (٢١.٨٪) . كما هو مبين في الجدول رقم (١).

**جدول رقم (١)**

**الخصائص الديمغرافية لعينة الدراسة**

| الخصائص الديمغرافية | | العدد | النسبة |
|---|---|---|---|
| **الجنس** | ذكر | ٩٤ | % ٥٥.٣ |
| | أنثى | ٧٦ | % ٤٤.٧ |
| | **المجموع** | **١٧٠** | **% ١٠٠** |
| **الفئات العُمرية** | أقل من ١٨ عامًا | ٣٨ | % ٢٢.٤ |
| | ١٨ – ٢٥ عامًا | ٢٦ | % ١٥.٣ |
| | ٢٦ – ٣٥ عامًا | ٢٨ | % ١٦.٥ |
| | ٣٦ – ٥٠ عامًا | ٤١ | % ٢٤.١ |
| | أكثر من ٥٠ عامًا | ٣٧ | % ٢١.٨ |
| | **المجموع** | **١٧٠** | **% ١٠٠** |

جدول رقم (١): توزّع عيّنة الدّراسة بحسب متغيّر العُمر والجنس.

كما وتوزّعت عينة الدّراسة بحسب نوع الإدمان لديهم كما هو مبيّن في الجدول رقم (٢) أدناه، إذ بلغت نسبة مدمني الإنترنت ٤٢.٣٪، ونسبة مدمني الكحول ٣٣.٥٪ ونسبة مدمني المخدرات ١٧.١٪ ونسبة مدمني القِمار ٧.١٪. كما يُظهره الجدول رقم (٢).

**جدول رقم (٢)**

**توزّع عينة الدراسة بحسب نوع الإدمان**

| نوع الإدمان | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| **الإنترنت** | ٧٢ | % ٤٢.٣ |
| **الكحول** | ٥٧ | % ٣٣.٥ |
| **المخدرات** | ٢٩ | % ١٧.١ |
| **القِمار** | ١٢ | % ٧.١ |
| **المجموع** | **١٧٠** | **% ١٠٠** |

جدول رقم (٢): توزّع عيّنة الدّراسة بحسب نوع الإدمان.

## أدوات الدّراسة:

لتحقيق أهداف الدّراسة استخدمت الباحثة الأدوات الآتية:

١- إستمارة البيانات الشّخصيّة من إعداد الباحثة تضمّنت العمر والجنس ونوع الإدمان.

٢- مقياس الآثار النّفسيّة للإدمان من إعداد الباحثة أيضًا، ويتألّف من (٢١ فقرة) يتمّ الإجابة عنها من قِبَل أفراد العينة بحسب درجة انطباق فقراتها عليهم، عبر اختياره لأحد البدائل الثلاثة المُتاحة، وهي: غير موافق (٠)، أحيانًا (١)، موافق (٢). بحيث تتراوح الدرجة الكلية للمقياس بين ٠ إلى ٤٢ درجة، وتتوزّع على ثلاثة مستويات (منخفض، متوسّط، مرتفع)، وتدل الدرجة المرتفعة على معدل مرتفع من الآثار النّفسيّة للإدمان، وتدلّ الدرجة المنخفضة على معدل منخفض من الآثار النّفسيّة للإدمان.

### صدق وثبات أداة الدّراسة:

تمّ عرض مقياس الآثار النّفسيّة للإدمان على مجموعة من المحكّمين والخبراء في مجال علم النّفسّ وتمّ التّحقّق من صدقه ووضوح فقراته، وملاءمة محتواه لموضوع القياس. كما تمّ تجريبه على عينة استطلاعيّة قوامها (٤٠) مستطلعًا من مجتمع الدراسة الأصلي، حيث تمَّ تطبيق أداة البحث على العينة الاستطلاعية، وهي عبارة عن مقياس الآثار النّفسيّة للإدمان، وذلك بُغية فحص الخصائص السيكومترية بالطرق الإحصائيّة الملائمة والتحقُّق من صلاحيتها قبل التطبيق على العينة الفعليّة. وتمّ حساب معامل الصّدق والّثبات بطريقة الإتساق الدّاخليّ (Internal Consistency) وباستخدام معادلة ألفا كرونباخ

(Cronbach's Alpha) حيث بلغت قيمة معامل الثبات الكلية لمقياس الآثار النّفسيّة للإدمان (٠.٩٩٣) وهي قيمة أعلى من مستوى الثبات العام (٠.٧) وبالتالي فإنَّ أداة الدراسة تتميّز بالثبات والاتّساق الممتاز بين فقراتها. كما وبلغت قيمة غوتمان في قياس ثبات معامل التجزئة النصفيّة للمقياس (٠.٩٧٧)، وهي أيضًا قيمة أعلى من مستوى الثبات العام، الأمر الذي يدلّ على درجة ممتازة من الثبات لأداة الدّراسة إذ تتمتّع بقوّة ثبات عالية إحصائيًّا وهي صالحة للاستخدام لتحقيق أهداف الدّراسة. وبذلك تمّ التّحقّق من الخصائص السيكومتريّة لأداة الدّراسة فأثبتت صدقها وثباتها.

## نتائج الدّراسة:

تم تقسيم عينة الدّراسة تبعاً للدرجة الكلية لمقياس الآثار النّفسيّة للإدمان إلى ثلاث مستويات (منخفض، متوسط، مرتفع) وجاءت النتيجة على الشكل الآتي:

**جدول رقم (٣)**

**مستويات أفراد عينة الدّراسة على مقياس الآثار النّفسيّة للإدمان**

| مستويات الآثار النّفسيّة للإدمان | العدد | النسبة المئوية | المتوسط الحسابي |
|---|---|---|---|
| مستوى منخفض (٠-١٠.٥) | ٤٢ | % ٢٤.٧ | ٢٧.٧٤ |
| مستوى متوسط (١٠.٥-٣١.٥) | ٣٠ | % ١٧.٧ | |
| مستوى مرتفع (٣١.٥-٤٢) | ٩٨ | % ٥٧.٦ | |
| **المجموع** | **١٧٠** | **% ١٠٠** | |

جدول رقم (٣): مستويات الآثار النفسية للإدمان وتكراراتها ونسبها المئويّة والمتوسط الحسابي لدى عينة الدّراسة.

يُظهر الجدول رقم (٣) توزَّع أفراد عينة الدّراسة على مستويات مقياس الآثار النّفسيّة للإدمان، حيث شكّل المستوى المنخفض نسبة (٢٤.٧ %) منهم، والمستوى المتوسط نسبة (١٧.٧ %)، والمستوى المرتفع نسبة (٥٧.٦ %) منهم أي النسبة الأكبر. وبلغت قيمة المتوسط الحسابي العام لمقياس الآثار النّفسيّة للإدمان لأفراد العينة (٢٧.٧٤) وهو على حافّة مستوى الآثار النّفسيّة المتوسط (بين ١٤ و٢٨)، ما يدل أن مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان لدى العينة متوسط إلى مرتفع.

**النتائج المتعلقة بالفرضيّة الإجرائيّة الأولى:**

- تنصّ هذه الفرضيّة على أنّه: " توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مدمني الإنترنت في مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان لديهم ".

وللتّحقّق من صحّة هذه الفرضيّة تمّ احتساب اختبار ت (T–test) بين مقياس "الآثار النّفسيّة للإدمان" و"إدمان الإنترنت" لدى عينة الدّراسة، فكانت النتيجة كما هو مبيّن في الجدول رقم (٤).

**جدول رقم (٤)**

**اختبار ت (T–test) بين مقياس الآثار النّفسيّة ومتغير إدمان الانترنت**

| المقياس | إدمان الانترنت | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة "ت" المحسوبة | درجة الحرية | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الآثار النّفسيّة للإدمان | غير مُدمن | ٩٨ | ٣٧.٣٣ | ٨.٣٨١ | ٩.٩٦٧ | ١٦٨ | ٠.٠٠٥ |
| | مُدمن | ٧٢ | ١٧.٤٦ | ١٦.٥٦١ | | | |

جدول رقم (٤): اختبار ت (T–test) بين مقياس الآثار النّفسيّة ومتغير إدمان الانترنت لدى أفراد عينة الدّراسة.

يتضح من الجدول رقم (٤) أنَّ قيمة (ت) المحسوبة (t–test) تساوي ٩.٩٦٧، ودرجة الحرية (df) تساوي ١٦٨، إذ ظهرت القيمة التائية المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية وهي عند مستوى دلالة (٠.٠٥) لهذا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل البديلة، وهذا يدُلُّ أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية للآثار النّفسيّة للإدمان بين مدمني الإنترنت وغير المدمنين، وبالتالي نقبل الفرضية القائلة بوجود فروق دالة إحصائياً بين مدمني الإنترنت في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم. وفي مقارنةٍ للمتوسطات الحسابية نلاحظ أنّ متوسط الآثار النّفسيّة للإدمان لمدمني الإنترنت يساوي (٣٧.٣٣) وهو ضمن مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان المرتفع وهو أكبر من متوسط الآثار النّفسيّة للإدمان لغير مدمني الإنترنت الذي يساوي (١٧.٤٦) وهو ضمن مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان المتوسط بحسب مفتاح تصحيح الأداة. وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة (العميدي، ٢٠١٩).

**النّتائج المتعلقة بالفرضيّة الإجرائيّة الثانية:**

- تنصّ هذه الفرضيّة على أنّه: " توجد فروق دالة إحصائياً بين مدمني المخدرات في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم ".

وللتحقق من صحّة هذه الفرضية تمّ احتساب اختبار ت (T–test) بين أداة "الآثار النّفسيّة للإدمان" و"إدمان المخدرات" لدى عينة الدّراسة، فكانت النتيجة كما هو مبيّن في الجدول رقم (٥).

**جدول رقم (٥)**

**اختبار ت (T–test) بين مقياس الآثار النّفسيّة ومتغير إدمان المخدرات**

| المقياس | إدمان المخدرات | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة "ت" المحسوبة | درجة الحرية | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **الآثار النّفسيّة للإدمان** | غير مُدمن | ١٤١ | ٢٥.٣٧ | ١٦.٦٣٥ | ٤.٤٠٩- | ١٦٨ | ٠.٠٥ |
| | مُدمن | ٢٩ | ٣٩.٣١ | ٧.٧٠٥ | | | |

جدول رقم (٥): اختبار ت (T–test) بين مقياس الآثار النّفسيّة ومتغير إدمان المخدرات لدى أفراد عينة الدّراسة.

يتضح من الجدول رقم (٥) أنَّ قيمة (ت) المحسوبة (t–test) تساوي (-٤.٤٠٩)، ودرجة الحرية (df) تساوي ١٦٨، إذ ظهرت القيمة التائية المحسوبة -٤.٤٠٩ وهي أكبر من القيمة الجدولية وهي عند مستوى دلالة ٠.٠٥ لهذا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل البديلة. وهذه النتيجة تدُلُّ أنّ هناك فروق ذات دلالة إحصائية للآثار النّفسيّة للإدمان بين مدمني المخدرات وغير المدمنين، وبالتالي نقبل الفرضية القائلة بوجود فروق دالة إحصائياً بين مدمني المخدرات في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم. وفي مقارنةٍ للمتوسطات الحسابية نلاحظ أنّ متوسط الآثار النّفسيّة للإدمان لمدمني المخدرات يساوي (٣٩.٣١) وهو ضمن مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان المرتفع وهو أكبر من متوسط الآثار النّفسيّة للإدمان لغير مدمني المخدرات الذي يساوي (٢٥.٣٧) وهو ضمن مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان المتوسط بحسب مفتاح تصحيح الأداة. وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة (زياد، ٢٠١٨).

**النّتائج المتعلقة بالفرضيّة الإجرائيّة الثالثة:**

- تنصّ هذه الفرضيّة على أنّه: " توجد فروق دالة إحصائياً بين مدمني الكحول في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم ".

وللتحقق من صحّة هذه الفرضية تمّ احتساب اختبار ت (T–test) بين أداة "الآثار النّفسيّة للإدمان" و"إدمان الكحول" لدى عينة الدّراسة، فكانت النتيجة كما هو مبيّن في الجدول رقم (٦).

**جدول رقم (٦)**

**اختبار ت (T–test) بين مقياس الآثار النّفسيّة ومتغير إدمان الكحول**

| المقياس | إدمان الكحول | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة "ت" المحسوبة | درجة الحرية | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **الآثار النّفسيّة للإدمان** | غير مُدمن | ١١٣ | ٢٣.٢٨ | ١٧.٧١٧ | ٥.٢٦٥- | ١٦٨ | ٠.٠٥ |
| | مُدمن | ٥٧ | ٣٦.١٥ | ٨.٤٧٩ | | | |

جدول رقم (٦): اختبار ت (T–test) بين مقياس الآثار النّفسيّة ومتغير إدمان الكحول لدى أفراد عينة الدّراسة.

يتضح من الجدول رقم (٦) أنَّ قيمة (ت) المحسوبة (t–test) تساوي (–٥.٢٦٥)، ودرجة الحرية (df) تساوي ١٦٨، إذ ظهرت القيمة التائية المحسوبة –٥.٢٦٥ وهي أكبر من القيمة الجدولية وهي عند مستوى دلالة ٠.٠٥ لهذا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل البديلة. وهذه النتيجة تدُلُّ أنّ هناك فروق ذات دلالة إحصائية للآثار النّفسيّة للإدمان بين مدمني الكحول وغير المدمنين، وبالتالي نقبل الفرضية القائلة بوجود فروق دالة إحصائياً بين مدمني الكحول في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم. وفي مقارنةٍ للمتوسطات الحسابية نلاحظ أنّ متوسط الآثار النّفسيّة للإدمان لمدمني الكحول يساوي (٣٦.١٥) وهو ضمن مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان المرتفع وهو أكبر من متوسط الآثار النّفسيّة للإدمان لغير مدمني الكحول الذي يساوي (٢٣.٢٨) وهو ضمن مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان المتوسط بحسب مفتاح تصحيح الأداة. كما أن هذه النتيجة اتفقت مع دراسة (صادق، ٢٠٢٣).

**النّتائج المتعلقة بالفرضيّة الإجرائيّة الرابعة:**

- تنصّ هذه الفرضيّة على أنّه: " توجد فروق دالة إحصائياً بين مدمني القمار في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم ".

وللتحقق من صحّة هذه الفرضية تمّ احتساب اختبار ت (T–test) بين أداة "الآثار النّفسيّة للإدمان" و"إدمان القمار" لدى عينة الدّراسة، فكانت النتيجة كما هو مبيّن في الجدول رقم (٧).

**جدول رقم (٧)**

**اختبار ت (T–test) بين مقياس الآثار النّفسيّة ومتغير إدمان القمار**

| المقياس | إدمان القمار | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة "ت" المحسوبة | درجة الحرية | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **الآثار النّفسيّة للإدمان** | غير مُدمن | ١٥٨ | ٢٦.٦٩ | ١٦.٤٦٦ | ٣.١٤٢- | ١٦٨ | ٠.٠٥ |
| | مُدمن | ١٢ | ٤١.٦٧ | ٠.٨٨٨ | | | |

جدول رقم (٦): اختبار ت (T–test) بين مقياس الآثار النّفسيّة ومتغير إدمان القمار لدى أفراد عينة الدّراسة.

يتضح من الجدول رقم (٧) أنَّ قيمة (ت) المحسوبة (t–test) تساوي (-٣.١٤٢)، ودرجة الحرية (df) تساوي ١٦٨، إذ ظهرت القيمة التائية المحسوبة ٣.١٤٢ وهي أكبر من القيمة الجدولية وهي عند مستوى دلالة ٠.٠٥ لهذا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل البديلة. وهذه النتيجة تدُلُّ أنّ هناك فروق ذات دلالة إحصائية للآثار النّفسيّة للإدمان بين مدمني القمار وغير المدمنين، وبالتالي نقبل الفرضية القائلة بوجود فروق دالة إحصائياً بين مدمني القمار في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم. وفي مقارنةٍ للمتوسطات الحسابية نلاحظ أنّ متوسط الآثار النّفسيّة للإدمان لمدمني القمار يساوي (٤١.٦٧) وهو ضمن مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان المرتفع وهو أكبر من متوسط الآثار النّفسيّة للإدمان لغير مدمني القمار الذي يساوي (٢٦.٦٩) وهو ضمن مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان المتوسط بحسب مفتاح تصحيح الأداة. كما أن هذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة (الشوادفي، ٢٠١٦).

**النّتائج المتعلقة بالفرضيّة الإجرائيّة الخامسة:**

- تنصّ هذه الفرضيّة على أنّه: " توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المدمنين بحسب أعمارهم في مستوى الآثار النفسية للإدمان لديهم".

وللتّحقّق من صحّة هذه الفرضيّة تمّ احتساب اختبار تحليل التّباين (ANOVA) بين أداة الدّراسة "مقياس الآثار النّفسيّة للإدمان " ومتغيّر " العُمر" لدى أفراد عينة الدّراسة في محافظة عكّار، فكانت النّتيجة كما هو مبيّن في الجدول رقم (٨) أدناه.

**جدول رقم (٨)**

**اختبار تحليل التّباين (ANOVA) بين الآثار النّفسيّة للإدمان ومتغير العُمر**

| المقياس | العُمر | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة "ف" | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الآثار النّفسيّة للإدمان | أقل من ١٨ عامًا | ٣٨ | ٦.٩٧ | ١٠.٣٢٨ | ٧٦.٦٤٦ | ٠.٠٠٠ |
| | ١٨ – ٢٥ عامًا | ٢٦ | ١٨.٧٣ | ١٤.١٤٩ | | |
| | ٢٦ – ٣٥ عامًا | ٢٨ | ٣٣.٣٢ | ١٠.٦٨١ | | |
| | ٣٦ – ٥٠ عامًا | ٤١ | ٣٧.١٠ | ٩.٠١٩ | | |
| | أكثر من ٥٠ عامًا | ٣٧ | ٤٠.٨٤ | ٣.٦٧٨ | | |

جدول رقم (٨): اختبار تحليل التّباين بين مستوى بين الآثار النّفسيّة للإدمان ومتغيّر العُمر في محافظة عكّار.

أوضح اختبار تحليل التّباين في الجدول رقم (٨) أنَّ قيمة الدّلالة الإحصائيّة تساوي ٠.٠٠٠ وهي أصغر من مستوى المعنويّة ($P \leq 0.05$)، وهذا يدُلّ على أنّ هناك فروقًا ذات دلالة إحصائيّة في مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان بين المدمنين أفراد عينة الدّراسة في محافظة عكّار تُعزى لمتغير العمر، وبالتّالي نقبل الفرضيّة الإجرائيّة الخامسة.

وفي مقارنةٍ للمتوسطات الحسابية نلاحظ أنّ متوسط الآثار النّفسيّة للإدمان للمدمنين ذوي الفئة العُمرية أقل من ١٨ عاماً يساوي (٦.٩٧) وهو ضمن مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان المنخفض (بين ٠ و١٣ درجة) ويرتفع مستوى الآثار النفسية تدريجياً مع ارتفاع أعمار أفراد العينة لتصبح عند الفئة العُمرية أكثر من ٥٠ عاماً (٤٠.٨٤) وهو ضمن مستوى الآثار النّفسيّة للإدمان المرتفع بحسب مفتاح تصحيح الأداة.

## الاستنتاجات:

في ختام الدّراسة الحالية تبرز أهمية الموضوع الذي تناولته الباحثة حيث ساهمت في فهمنا لتأثيرات الإدمان ومدى خطورته وآثاره السّلبيّة التي تواجه الأفراد والمجتمعات وتضر بالصحة الجسدية والنفسية للمدمنين. كما سلطت الدراسة الحالية الضوء على أنواع مختلفة من الإدمان (الأنترنت، الكحول، المخدرات، القمار) وحاجة مجتمعاتنا إلى التوعية الشاملة حول هذه الظاهرة من خلال حملات توعية وبرامج تثقيفية تستهدف جميع شرائح المجتمع.

## التّوصيات والمقترحات:

في ضوء ما توصّلت إليه نتائج الدّراسة الحالية، وضعت الباحثة الباحثة عدد من التوصيات والمقترحات تلخصت بالآتي:

- ضرورة القيام بتحليل الظّروف الأسرية والبيئيّة والنفسيّة التي تدفع الفرد باتجاه الإدمان كوسيلة للهروب من الواقع الذي يعيشه.
- تسليط الضّوء على مشكلة الإدمان، والتّعرف إلى أنواعه المختلفة وآثاره النفسيّة والجسديّة على المدمنين، بالإضافة إلى الآثار المجتمعيّة.
- ضرورة تقديم الدعم النفسي والعلاج للأفراد المدمنين والمتأثرين بالإدمان لمساعدتهم في التغلب على التأثيرات النفسية.
- تقديم برامج توعوية في المجتمع للحدّ من التمييز تجاه المدمنين وزيادة الوعي بعدم الحكم على المدمن والتعامل معه باعتباره ضحية وليس مجرم.
- دعم إقرار سياسات وتشريعات تعمل على توفير الدعم والعلاج والتّأهيل للأفراد المدمنين وتعزيز الوعي حول هذه الظّاهرة.
- تشجيع التعاون بين مختلف الجهات المعنية، بما في ذلك الحكومات والمؤسسات الصحية والمجتمع المدني، للتصدي لهذه الظاهرة بشكل يضع حدًّا لانتشارها.
- يتوجب على الحكومات والمؤسسات الصحيّة والباحثين في مجال علم النّفسّ والتّربيّة والصّحّة النّفسّيّة تسليط الضوء على هذه الظاهرة.
- ضرورة وضع برامج علاجية وتأهيلية للمدمنين ولأفراد أسرهم.
- ضرورة تطوير استراتيجيّات دعم نفسيّ اجتماعي للمدمنين لإعادة دمجهم في المجتمع بعد العلاج والتّأهيل.
- أهمية وضع برامج توعويّة حول الإدمان وتسليط الضوء على أهمية الصحة النفسيّة وتطوير استراتيجيّات فعّالة لدعم الصّحّة النّفسّيّة.
- ضرورة توفير خدمات دعم نفسيّ واجتماعيّ مخصّصة لعائلات المدمنين للتخفيف من الضّغوط التي يتعرّضون لها بسبب وجود مدمن في الأسرة.

- ضرورة فهم العوامل التي تساعد في تطوير بيئات أسريّة أكثر صحّة ودعمًا، ما ينعكس إيجابًا على نفسيّة أفرادها ويجعلهم في مأمن من الوقوع في الإدمان.

كذلك تقترح الباحثة إجراء المزيد من الدّراسات حول الإدمان في مناطق مختلفة من لبنان، وتناول متغيرات إضافيّة كالأسباب التي تدفع الفرد للوقوع بالإدمان.

## قائمة المراجع والمصادر:


- أبوزعيزع، عبد الله . (٢٠١٥). مفاهيم معاصرة في الصحة النفسية .عمان، الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع- الطبعة الأولى، المجلد ١.
- العباجي، عمر موفق بشير. (٢٠٠٧). الإدمان والإنترنت. عمان-الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- العفيفي، عبد الحكيم. (١٩٨٦). الإدمان . القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى.
- العيسوي، عبد الرحمن. (٢٠٠٥). سيكولوجية العنف والعدوان .دمشق-سوريا: دار الأنوار.
- زياد، (٢٠١٨). "العواقب النفسية والطبية لإدمان المخدرات: مقاربات تصحيحية وتيسيرية مقترحة"
- بزراوي، نور الهدى وعثماني. نعيمة، أحمد علي. (٢٠٢١). اضطراب الشخصية لدى الشاب المدمن على المخدرات الشخصية السيكوباتية نموذجا – المجلات التعليمية للفتيات، المجلد ٢٨، العدد ١.
- رستم، رسمي عبد الملك والدسوقي، (٢٠١٢) مداخل تربوية لوقاية الطلاب من خطر الادمان، .الاسكندرية، مصر: المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى،الجزء الرابع.
- سبا، ص. م. (٢٠١١). مشكلات عربية (رؤية عامة) المنهل، www.almanhal.com
- سعدات، محمود فتوح و بدوي، أمينة إبراهيم (٢٠١٦): الآثار الصحية والنفسية لتعاطي شباب الجامعة للمواد المخدرة " https://repository.najah.edu/home
- شديفات، محمود. (٢٠١٧). الإدمان وأثره على المجتمعات- الأسباب/ الوقاية/العلاج .عمان الأردن: دار الخليج للصحافة والنشر.
- عبد المنعم، عفاف محمد. (٢٠٠٣). " الإدمان، دراسة نفسية لأسبابه ونتائجه" ، الاسكندرية- درا المعرفة الجامعية. الطبعة الأولى، المجلد ١.
- محمد، سيد عبد النبي.. (٢٠٢٠). حروب خفية. المخدرات وتدمير الأمم . الجيزة-مصر: وكالة الصحافة العربية.الطبعة الأولى، المجلد ١.

- محمود، صلاح الدين فهمي. (٢٠٠٧). الفساد الإداري كمعوق لعمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية . كتب عربية. www.kotobarabia.com
- الصادق، حطابي (٢٠٢٣) بعنوان: أثر إدمان الأباء على الكحول في انتشار العدوانية لدى الأبناء. مجلة المجتمع والرياضة. مج ٦٠ع ٢، جامعة الوادي.
- العميدي، ميادة فيصل حسين (٢٠١٩)، الآثار النفسية والأكاديمية والاجتماعية لإدمان استخدام الانترنت بين طلبة الجامعات العراقية، رسالة ماجستير. المناهج العامة. جامعة آل البيت. كلية العلوم التربوية. الأردن. المفرق
- مهدي، كريمة عبد المنعم (٢٠١٥). بعض الاضطرابات النفسية المرتبطة بإدمان الترامادول لدى الشباب الجامعي (دراسة مقارنه) . مجلة قطاع الدراسات الإنسانية، العدد ١٥، المجلد ١٥، ص ص ١٩١ – ٢٩٦.

## References:

- Eby, Lillian T. (2017). Journal of Applied Psychology - /apl/. Retrieved from pubs/journals.
- Gambling, Y. (2011). The Hidden Addiction. De Gruyter.
- Oluwasanmi, L. A. (2022). EFFECTS AND CONSEQUENCES OF DRUG ABUSE. 3 (Doctoral dissertation, Tesis pregrado). Ekiti State University Departament of Sociology, Nigeria).
- Richard, D. et Al, (2000) " Toscicomannies ", Masson, paris
- Robinson, Lawrence , Smith, Melinda, M.A. & Segal, Jeanne , ph.D. (2023). Dual Diagnosis: Substance Abuse and Mental Health
- Volkow, N. D., & Li, T. K. (2004). The Neuroscience of Addiction. Nature Reviews Neuroscience.

# الإشاريات التداولية نماذج مختارة من مرويات الثعالبي

# The Pragmatics Indicatives a Chosen Models from Al-Tha'labi's Narratives

أ. عبير عبده حزام سفيان الفودعي*

Abeer Abdo Hizam Sofian Al- Fawdaie*

**الملخّص:**

تتناول هذه الدراسة الإشاريات التداولية وهي واحدة من أهم مجالات النظرية التداولية، وتندرج تحت هذه الإشاريات، الإشاريات الشخصية والزمانية والمكانية وإشاريات الخطاب فضلا عن الإشاريات الاجتماعية، فقد قامت الدراسة على توضيح المقصود بالإشاريات وأنواعها المختلفة معتمدة في الجانب التطبيقي على نماذج تراثية من مرويات الثعالبي في كتابه (الكناية والتعريض) تحقيق: أسامة البحيري، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م. مستعينة بالمنهج الوصفي التحليلي، وقد استعانت بالكتب المتعلقة بالنظرية التداولية، وما يفيد من كتب المعاجم وغيرها في الجانب التطبيقي من الدراسة، وقد قسمت الدراسة إلى خمسة محاور تحدثت في كل محور عن نوع من أنواع الإشاريات التداولية بأخذ النماذج من مرويات الثعالبي.

**الكلمات المفتاحيّة: التداولية، الإشاريات، الإشاريات الشخصية، الإشاريات الزمانية، الإشاريات المكانية، إشاريات الخطاب، الإشاريات الاجتماعية.**

## Abstract:

This study examines Indicatives, which is one of the most important areas of pragmatic theory. It encompasses personal, temporal, spatial, and discursive indicatives, in addition to social indicatives. The study aims to clarify the meaning of indicatives and their various types, relying on traditional models from the narratives of Al-Tha'labi in his book "Al-Kinaya wa Al-Ta'reed," edited by Osama Al-Bahiri, Khanji Library, Cairo, Egypt, 1st edition, 1418 AH - 1997 AD. The study utilizes a descriptive-analytical approach and draws upon relevant literature on Pragmatic theory, as well as dictionaries and other sources in the practical aspect of the study.

**Keywords: Pragmatics, Indicatives, Personal Indicatives, Temporal Indicatives, Spatial Indicatives, Discursive Indicatives, Social Indicatives.**

* باحثة في مرحلة الدكتوراه، كلية اللّغات/ جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية.

Email: abeerofoodae@gmail.com

* PhD researcher, Faculty of Languages/ Sana'a University - Republic of Yemen.

**المقدّمة:**

تُعدُّ الإشاريات إحدى مجالات النظرية التداولية، حيث تعنى التداولية بدراسة اللغة قيد الاستعمال، وتدل التداولية في الغالب على ما له علاقة بالأعمال والوقائع [٥].

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة موضوعها والظاهرة التي تعالجها، ولا شك أن في هذا الموضوع أهمية بالغة؛ لأنه يتعلق بدراسة اللغة المستعملة وفق النظرية التداولية، وتطبيق نماذج لذلك من مرويات الثعالبي في "كتاب الكناية والتعريض"، وتعتبر هذه الدراسة مواكبة للتطور الحاصل في علم اللغة؛ حيث انتقل الاهتمام إلى اللغة المستعملة، وأنَّ الدراسة في إطار اللسانيات التداولية أصبحت أكثر سعة من دراسة اللغة من على المستوى التركيبي والدلالي فقط.

والتداولية لا تدرس اللغة على مستوى من مستويات الدرس اللغوي، بل هي تستوعبهم جميعًا، وليس لها أنماط تجريدية ولا وحدات تحليل، كما يقول محمود أحمد نحلة في كتابه "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر".

والإشاريات واحدة من المجالات التي تدرسها التداولية، وهذه المجالات هي:

١. الإشاريات (Indicatives) [٦].
٢. الافتراض السابق (Presupposition).
٣. الاستلزام الحواري (Conversational implicature).
٤. الأفعال الكلامية (Speech acts).

كان (شارل بيرس Charle, Peirs) أول من وضع مفهوم الإشاريات، ففي كل اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادًا تامًا على السياق الذي تستخدم فيه، ولا يستطاع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه[٧].

وتستعمل لفظة الإشاريات لتعيين ضمائر المتكلم والمخاطب وبعض ظروف الزمان مثل: الآن واليوم والأمس وغدًا، وإنَّ ما يجمع بين كل هذه الوحدات المسماة إشاريات هو أنَّه يمكننا إسناد دلالة لها على أساس الإرشادات اللغوية المتصلة بها إن نحن عرفنا مقام القول. ألا ترى أنّ ضمير "أنا" يعيّن الشخص

(٥) ينظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان. فيليب بلانشيه. تر: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية- سوريا، ط١، ٢٠٠٧م، ١٧.
(٦) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة. دار المعرفة الجامعية، ط٢٠٠٢م، ١٦ وما بعدها.
(٧) ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم "سورة البقرة" دراسة تداولية. أطروحة دكتوراه، إعداد: محمد مدور، إشراف: جودي مرداسي. جامعة الحاج لخضر، باتنة- الجزائر، ١٤٣٤- ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣- ٢٠١٤م، ٣٢.

الذي يتكلم، وضمير "أنت" يعيّن الشخص الذي نتوجه له بالخطاب والظرف "الآن" يعيّن زمن حصول الكلام، وإذا تعذر علينا معرفة مقام إلقاء القول استحال علينا تعيين دلالة الإشاريات [٨].

والإشاريات: «من المجالات المشتركة بين التداولية وعلم الدلالة؛ لأهمية السياق في تفسير الدلالة بينهما»[٩].

وتندرج الإشاريات بحسب المفهوم اللساني ضمن الدرجة الأولى من التحليل التداولي، غايتها دراسة العناصر اللغوية التي لها مرجعية خاصة تتضح عن طريق اللسان [١٠].

فهي علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في الخطاب التداولي "المستعمل"؛ لأنّها خالية من أي معنى في ذاتها لذلك فقد كان العرب سابقًا يطلقون عليها المبهمات [١١].

والإشارة «عملية يستخدم بها المتكلم أو الكاتب صيغًا لغوية؛ ليمكن المستمع أو القارئ من تحديد شيء ما» [١٢].

والإشارة هي مفهوم لساني «يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة، أو الزمن، أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه، من ذلك: الآن، هنا، هناك، أنا، أنت، هذا، هذه، وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه» [١٣].

## المحور الأول: الإشاريات الشخصية: (Personal Indicative)

هي محيلات لسانية تظهر على مستوى البنية السطحية أو العميقة، وتشمل ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب، فهذه الضمائر عناصر إشارية؛ لأنّ مرجعها يعتمد اعتمادًا تامًا على السياق الذي تستخدم فيه.

مثل: أنا نعسان. فالسياق هو الذي يحدد إحالة الضمير (أنا).

ولا بد في الإحالة من تحقق شرط الصدق فلو قالت امرأة: أنا أم نابليون. فليس بكاف أن يكون مرجع الضمير هو تلك المرأة بل لا بد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع، بأن تكون هذه المرأة هي أم نابليون فعلاً، وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة.

(٨) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية. جاك موشلر- آن ريبول. تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية بإشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، ط٢٠١٠م، ٥٦٨.

(٩) اشتغال التداولية في المجاز والكناية. إبراهيم عبد الفتاح رمضان. ١٤٤٢هـ- ٢٠٢٠م، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد٣٥، إصدار ديسمبر ٢٠٢٠م، ٤٥٢٦.

(١٠) ينظر: الأبعاد التداولية للإشارات والإحالة في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزاق عبد الواحد. إيثار شوقي سعدون. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية- الجامعة المستنصرية، العدد: ٤٥، تشرين الأول، ٢٠١٩م، ٣٥٥.

(١١) ينظر: مصطلحات التداولية بين المعجم والاستعمال. رسالة ماجستير، إعداد: بن عياد فتيحة، إشراف: عبد الحليم بن عيسى. جامعة وهران- أحمد بن بلة، الجزائر، ٢٠١٤- ٢٠١٥م، ٢٠.

(١٢) مسرد التداولية. مجيد الماشطة- أمجد الركابي. الرضوان للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط١، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ص٥٧.

(١٣) نسيج النص: ما يكون به الملفوظ نصًا. الأزهر الزنّاد. المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ١١٦.

وقد ينشأ نوع من اللبس في استخدام الضمائر، إذا تعدد الأشخاص، فيؤدي هذا إلى تعدد في إحالات الضمائر، مثل:

دخل خالد القاعة فرأى بكرًا جالسًا ورآه بكر فابتسم له وصافحهُ.

فإن إحالة الضمير في (ابتسم) و(صافحه) فيها نوع من اللبس؛ في أنها يمكن أن تعود على خالد أو على بكر.

**ومن هذه الإشاريات الشخصية ما رواه الثعالبي في كتابه الكناية والتعريض فصل الكناية عن الحبل قوله: «وحدثني أبو سعد نصر بن يعقوب، فقال: "طلب رجل غريب ببغداد امرأة حسناء يتزوجها، فقالت له دلالة: عندي لك امرأة كأنّها باقة نرجس. فخطبها، وتزوجها، فلما دخل بها، فإذا هي عجوز دميمة، فدعا بالدلالة وقرعها على كذبها فقالت، ما كذبت حين قلت: كأنّها باقة نرجس، وإنما كنيت عن صفرة وجهها، وبياض شعرها، وخضرة ساقها"»** (١٤).

من خلال ما أورده الثعالبي في الكناية عن المرأة العجوز الدميمة بأنّها مثل باقة النرجس، والنرجس في أصله «نبت من الرياحين وهو من الفصيلة النرجسية ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها وطيب رائحته وزهرته تشبه بها الأعين واحدته نرجسة» (١٥).

وفي ذلك إشاريات شخصية فاستخدام ضمير الغائب في "كأنّها" مرتبط وراجع إلى السياق الذي ورد فيه ومطابقته لأوصاف المرأة بأنّها مثل باقة النرجس في صفرة الوجه وبياض الشعر وخضرة السيقان.

وهذا مما استعملته العرب أيضًا في غير موقف حيث سئل جراب الريح «عن امرأته كيف هي وعن حسنها، قال: هي كباقة نرجس، رأسها أبيض، ووجهها أصفر، ورجلها خضراء؛ هكذا قال»(١٦).

فنلاحظ أنّ المعنى والكناية عن المرأة المتصفة بتلك الصفات متداول في المجتمع العربي وهذا ما يؤكده جواب جراب الريح عندما سئل عن جمال امرأته، والإشاريات الشخصية عملت على تعميق هذا المعنى.

زهرة النرجس (المعنى الحرفي)

(١٤) كتاب الكناية والتعريض. أبو منصور الثعالبي. تح: أسامة البحيري [illegible]بة الخانجي، القاهرة- مصر، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ٥٠.

(١٥) المعجم الوسيط. إبراهيم أنيس- عبد الحليم منتصر- عطية الصَّوالحـ[illegible]حمد خلف الله أحمد، أشرف على الطبع: حسن علي عطية- محمد شوقي أمين، مجمع اللغة العربية، ٢/ ٩١٢.

(١٦) البصائر والذخائر. أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤١٤هـ). تح: وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ٤/ ٢١٠.

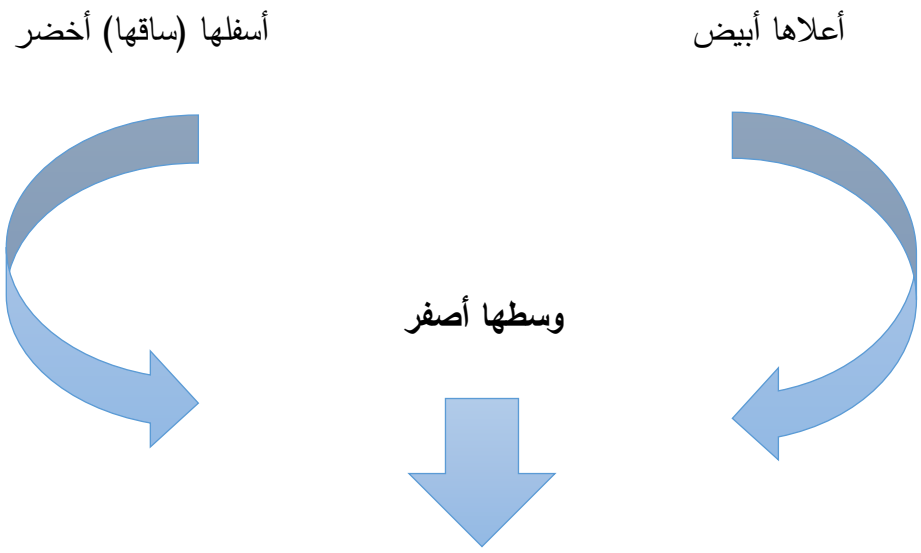


زهرة النرجس (المرأة المقصودة– المعنى التداولي عن طريق الكناية بالإشارة الشخصية "كأنَّها")

**ويروي الثعالبي في الباب الرابع "في الكنايات عن المقابح والعاهات، والمثالب" في فصل "في القبح والسواد": «ويستحسن لنصيب قوله في الكناية عن سواد بناته في كلام خاطب به عمر بن عبد العزيز" قد بليت بِبُنيات لي، نفضت عليهن من صبغي، فكسدن علي".**

**فرق له ووصله.**

**وفي نصيب قيل:**

**أخٌ لي من بني حام بن نوح كأنّ جبينه حجر المقام»**[١٧].

نصيب كان عبدًا أسودًا، وبناته كانت بشراتهن سوداء، لكنه لم يصرح بذلك صراحة وإنما جاء بها عن طريق الكناية حيث أشار لهن بإشارات شخصية عائدة عليهن.

بدأ حديثه مع عمر بن عبد العزيز بأنّه قد ابتلي بهؤلاء البنات باستخدام تاء الفاعل في "بليتُ"، ثم بياء المتكلم "لي"، ثم بالإشارة إليهن في "عليهن"، وإعادة استخدام تاء الفاعل في "نفضتُ"، وياء المتكلم "صبغي"،

(١٧) كتاب الكناية والتعريض، ٨٦- ٨٧.

ثم نون النسوة للإشارة لبناته في قوله "كسدن"، ياء المتكلم في "علي"، وهذه الإشاريات جميعها من خلال ضمائر المتكلم ضمائر الفاعل ليدلنا إلى المعنى المراد والمستعمل والإشارة إلى سواد بناته، وما يؤكد سواد نصيب نفسه قول السري بن عبد الرحمن الأنصاري في هجاء نصيب بأنّه من بني حام بن نوح، وحام بن نوح كان أسودًا كما ذكر ذلك ابن قتيبة: «إن حام بن نوح كان رجلاً أبيضًا حسن الوجه والصورة، فغير الله عز وجل لونه وألوان ذريته من أجل دعوة أبيه، وإنه انطلق وتبعه ولده فنزلوا على ساحل البحر فكثرهم الله وأنماهم فهم السودان»(١٨).

فسواد نصيب جاء لأنه من ذرية حام بن نوح، وكذلك سواده نابع من أن جبينه كأنه حجر المقام، وحجر المقام كما هو متعارف ومستعمل هو الحجر الأسود. فمن خلال الإشاريات جميعها جاءت الكنايات لتدل على السواد والقبح في نصيب، وبناته وهذا ما أدى إلى كسادهن وعدم زواجهن.

**وما رواه الثعالبي أيضًا: «فإذا كان فضوليًّا داخلاً فيما لا يعنيه، متكلفًا ما لا يلزمه، قالوا هو وصيّ آدم»(١٩).**

آدم أب للبشرية جميعًا، والأب ملزم ووصي على أبنائه، أما أن يأتي شخص آخر ويتدخل في أمره فهذا يعتبر من الفضول الذي يمقته المجتمع، فلذلك أشاروا إلى من يتدخل في أمور الآخرين مكلفا نفسه فيما لا يعنيه بأنّه نصب نفسه وصيًا على بني آدم ليقوم بمقام آدم– عليه السلام– أبو البشرية كلها.

فالإشارة الشخصية "هو" عائد إلى الفضولي الذي يتدخل فيما لا يعنيه عن طريق الكناية عنه بأنّه وصي آدم على ذريته.

**ومما أورده الثعالبي من الإشاريات الشخصية قوله في الباب الرابع في فصل الكنايات عن الصناعات الدنيئة: «وأخذ الطائف بالكوفة/ رجلاً، فقال له: من أنت؟ فأنشد:**

**أنا ابن الذي لا يَنْزلُ الدهرَ قِدْرُهُ وإن نزلتْ يومًا فسوفَ تعودُ**

**ترى الناس أفواجًا إلى باب داره إذا ما مضى وفْدٌ أتتهُ وفودُ**

**فخلى عنه وحسبه ابن بعض الأشراف، فإذا هو ابن باقلائي»(٢٠).**

(١٨) المعارف. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣- ٢٧٦هـ). تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ٢٦.
(١٩) كتاب الكناية والتعريض، ١٠٢.
(٢٠) كتاب الكناية والتعريض، ١٢٥.

نلاحظ استعمال ضمير المتكلم أنا، وهو عنصر إشاري يعتمد فهمه على السياق الذي يرد فيه فحينما سمع الطائف – وهو صاحب الشرطة– كلام الرجل بحسب الإشاريات الموجودة في البيتين حسبه من أبناء الأشراف بناءً على فهمه للسياق الظاهري للبيتين، لكن في حقيقة الأمر كان الرجل ابن باقلائي، وكان ذلك من خلال التشابه بين اجتماع الناس حول دار ابن الأشراف رجاء تحقيق المطالب، واجتماع الناس حول بائع الباقلاء؛ فالوفود تتوافد للشراء. وبهذا عمل العنصر الإشاري "أنا" على تحديد سياق المشار إليه من خلال التشابه بين الشخصين: ابن الأشراف، وابن بائع الباقلاء.

وبهذا عمد الثعالبي إلى السياق المتداول من خلال العنصر الإشاري للشخصية "أنا".

## المحور الثاني: الإشاريات الزمانية: (Temporal Indicatives)

تدخل الإشاريات الزمانية ضمن التداوليات الخطابية هي تلك التي سماها اللسانيون بـ (زمن الحدث) أو (زمن الخطاب)، والتي تسعى إلى إيجاد نقطة تلاقٍ بين الزمن الحالي مع زمن الخطاب، ويظهر (زمن الحدث) في الحاضر الذي تعود مرجعيته إما إلى الماضي أو ينحو نحو المستقبل. ويعد حدًّا فاصلاً بين الماضي المنتهي والحاضر المستمر، ولذلك فاللغة لا تعامل الزمنين، الزمن التاريخي الدال على حدث في تاريخ معين وزمن الحدث المراد منه الزمن اللغوي لا تعاملهما بمستوى واحد تداوليًّا؛ لأنَّ كل منهما يعبر عن وقت خاص به، وينماز الزمن في اللغة بوساطة القرائن أو ظروف الزمان التي تسمى بـ (المبهمات الزمانية) أما زمن الخطاب فهو المحور الذي تقرب بواسطته تلك المبهمات.

وتتضافر (المبهمات الزمانية) أو الظروف مع الأفعال اللغوية المستعملة في الكلام التي تحمل في صيغها دلالات زمنية محددة، لتؤديان وظيفتهما داخل السياق التواصلي المتضمنة توجيه الدلالة الزمانية التي قد تدل على الزمان الكوني أو الزمان النحوي [٢١].

وهذه الإشاريات هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التلفظ، فإذا لم يعرف زمان التكلم، أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ.

فإذا وجدنا إعلاناً: "ستبدأ التخفيضات الأسبوع القادم". فإننا إذا لم نعلم زمن الخطاب "الإعلان"، فإننا لا نعرف هل التخفيضات ستبدأ، أم مضى الأسبوع وبدأت التخفيضات، كما أننا لا نستطيع تحديده على وجه الدقة إذا لم نعلم وقت الإعلان تمامًا.

(٢١) ينظر: الأبعاد التداولية للإشارات والإحالة في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزاق عبد الواحد، ٣٥٨.

وقد تستغرق الإحالة إلى الزمن المدة الزمنية كلها، كأن يقال: اليوم الاثنين، وقد تستغرق مدة محددة من الزمان، كأن يقال: ضرب زيد عمراً يوم الخميس، فالضرب يستغرق "جزء من اليوم". وقد يتسع مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزمان فيتجاوز الزمان المحدد له عرفًا إلى زمان أوسع فكلمة اليوم في قولنا: "بنات اليوم" تشمل العصر الذي نعيش فيه، ولا يتحدد بيوم مدته أربع وعشرون ساعة. وكل ذلك موكول إلى السياق الذي تستخدم فيه هذه العناصر الإشارية إلى الزمان.

**ومما رواه الثعالبي في كتابه في الباب الرابع "في الكنايات عن المقابح، والعاهات، والمثالب" في فصل "في القبح والسواد": «فإذا كان شديد الأدمة مع الدمامة، قيل: كأنّ وجهه قمر الثلاثين»** (٢٢).

الثلاثين زمن لا يعلم أي زمن هو لكنه عندما ذكر معه القمر تبادر إلى الذهن مباشرة، إلى السواد والعتمة، فرواية الثعالبي في الكناية عن القبح والسواد في قوله: "فإذا كان شديد الأدمة"، ومعنى الأدمة كما يقول الخليل بن أحمد: «الأدمة في الناس شربة من سواد»(٢٣)، وفي ذلك إشارة إلى أنّه في ليلة الثلاثين يكون القمر هلالاً صغيرًا معتمًا، فبذلك عدَّ الكناية به دليل على الدمامة والسواد على وجه التقارب في الشكل.

قمر الثلاثين ⟸ زمن نهاية الشهر ⟸ إشارة زمنية تداولية للعتمة والسواد في هذا الوقت.

**ومما ورد في كتاب الكناية والتعريض للثعالبي من الإشاريات الزمانية، قوله في الباب الرابع فصل "في الثِّقل والبَرَد": «ونظر بديع الزمان إلى إنسان بارد طويل، فقال: "قد أقبل ليل الشتاء"؛ لأنّه طويل بارد»** (٢٤).

الليل زمن لا يعلم أي ليل هو والشتاء لا يعلم أهو شتاء السنة الحالية أم الماضية أم أي سنة من السنوات، فهذه الإشاريات الزمنية حُددت بالسياق الذي وردت فيه في أنَّ بديع الزمان نظر إلى إنسان صفاته

(٢٢) كتاب الكناية والتعريض، ٨٦.
(٢٣) كتاب العين. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ). تح: إبراهيم السامرائي- مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، ٨/ ٨٨.
(٢٤) كتاب الكناية والتعريض، ٩٠.

البرود والطول، فقال: أقبل ليل الشتاء؛ لأنَّ الليل في الشتاء تكون مدته طويلة، وهو في نفس الوقت بارد ثقيل.

**ويروي الثعالبي في الباب الرابع "في الكنايات عن المقابح والعاهات، والمثالب" في فصل "في الكناية عن عدة عاهات": «وما أحسن ما كنى عوف بن مُحَلِّم، عن الصَّمم بقوله:**

**إنّ الثمانين– وبُلِّغْتَها– قد أحوجتْ سمعي إلى تَرجُمانِ»**[٢٥].

يشكو الشاعر ضعف سمعه بسبب الكبر، حتى صار يحتاج إلى من يكرر له القول بصوت أوضح من الصوت الأول، والشاهد في قوله: "وبلغتها"، فهو اعتراض أتى به أثناء الكلام لقصد الدعاء للمخاطب بطول العمر، وهذه الواو تسمى واو الاعتراض.

وفي سياق الموقف الذي قيلت فيه هذه الأبيات يتبين أنه «كان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل عَلَى عَبْد اللَّه بْن طاهر، فسلم عَلَيْهِ عبد الله فلم يسمع، فأعلم بذلك، فزعموا أنّهُ ارتجل هذه القصيدة ارتجالا، فأنشده:

**يا بن الَّذِي دان لَهُ المشرقان طرا وقد دان لَهُ المغربان»** [٢٦].

"الثمانين" إشارة زمنية حُدِّدت بالسياق عندما ذكر "قد أحوجت سمعي إلى ترجمان" فالثمانين التي قصدها الشاعر هي العمر الزمني الذي يصله الإنسان، والذي يحدث في هذه المرحلة العمرية هو النقص الشديد في السمع، وما يؤكد ذلك هو سياق الموقف الذي قيلت فيه هذه القصيدة. كذلك استخدم الفعل الإنجازي "بُلغتها" دليل على تأكيد حصول الكبر في السن مما اضطره إلى احتياج من يترجم له كلام المتحدثين من حوله.

**ويروي الثعالبي في الباب الرابع في فصل "في السؤال والجدية": «وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان، قال: ولد لأبي العيناء ابن، فأتاه أبو علي البصير مهنئًا، فقال: في أي وقتٍ فارق أمه؟، فقال: وقت الصبح، عند ضرب الدُّبادِب.**

**فقال أبو علي: أرجو أن يعرفك الله بركته، فما أخطأ وقته.**

**يريد أنّ السؤال إنما ينتشرون في ذلك الوقت للجدية»**[٢٧].

(٢٥) المرجع السابق، ٩٨.
(٢٦) كتاب الأمالي. أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت: ٣٥٦هـ). دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١/ ٥٠.
(٢٧) كتاب الكناية والتعريض، ١١٨- ١١٩.

نلاحظ في المروية السابقة إشارة زمنية من خلال لفظ "الصبح"؛ عُرِف المقصود بهذا الزمن عبر السياق الذي قيل فيه، فأبو العيناء ولد له ابن، فلما سأل أبو علي البصير عن زمن ولادته، أجاب بأنه الصبح عند ضرب الدُّبادب، والدبادب: الكثير الصياح والجلبة [٢٨]، وفي هذا الوقت يخرج المتسولون للتسول، لذلك كان قول أبي علي: أرجو أن يعرفك الله بركته، فما أخطأ وقته. كناية عن أن السؤال إنما ينتشرون في الصباح ويسمع لهم هذا الصوت المرتفع.

## المحور الثالث: الإشاريات المكانية: (Spatial Indicatives)

هي كلمات الإشارة نحو هذا وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية، وكذلك هنا وهناك من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان مثل: فوق، وتحت، أمام، وخلف.

«إنّ مفهوم المسافة مهم في التأشير المكاني الذي يتضمن الموقع النسبي للناس والأشياء. تستخدم عموم اللغات لفظتي "هنا"، و "هناك" للقريب والبعيد، إضافة إلى بعض الظروف والأفعال التي تعكس الحركة» [٢٩].

وهذه العناصر الإشارية التي تشير إلى الأماكن تعتمد في استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربًا أو بعدًا أو وجهة. ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشارية إلا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه.

فلو قال شخص: أحب أن أعمل هنا.

فهل يعني: في هذا المكتب، أو في هذه المؤسسة، أوفي هذا المبنى، أو في هذه القرية، أو في هذه الدولة، فكلمة هنا تعبير إشاري، وإن كان يشير إلى شيء قريب من المتكلم إلا أنه قد يكون بعيداً عن المخاطب، فلا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه.

(٢٨) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ). تح: علي هلالي، راجعه: عبد الله العلايلي- عبد الستار أحمد الفراج، ٢/ ٣٩٩.
(٢٩) مسرد التداولية، ٥٢.

وتتعقد المسألة إذا كان المخاطب لا يرى المتكلم، مثلاً حين يصف شخص لصديقه مكانه عبر الهاتف: تقع الجامعة على يميني.

فبالرغم من اكتمال الخطاب لغة، وبالرغم من معرفة المرسل إليه بموقع الجامعة، فإنه يصعب معرفة موقع المرسل بالتحديد، فلا يقدر على ذلك إلا إذا استطاع أن يعرف اتجاه سير المرسل.

«والإشارة المكانية ليس بالضرورة أن يتضمنها الخطاب صراحة بل قد يكون ضمنيًّا؛ لأنَّ أي خطاب وبحسب المفهوم التداولي يتحدد ضمن مثلث إشارتي في (الأنا– الهنا– الآن) – أي– لابد أن يكون على هذا دلالة الخطاب مرتبطة بمرجعية خارج النص، لتكون الدلالة الأخيرة حصيلة المكونين السياقي والنصي»[٣٠].

**وفي فصل "في عاقبة الأكل" كذلك يروي الثعالبي: «وكتب مؤلف الكتاب إلى المجلس العالي– آنسه الله– في يوم أخذ دواء:**

**يا ملكًا حاز أصلُهُ الشرفا فلم يدع منه للورى طرفا**

**لما أخذت الدواءَ والطالِعُ السَّـ ـعدُ على العزم منك قد وُقِفا**

**صقلتَ سيفَ العُلى وصَفَّيْتَ تَبـ ـرَ المجدِ، فالعيشُ مثل ذاك صَفا**

**لا زِلتَ تحسو السُّرورَ في مهلٍ وتنفُضُ الهَمَّ عنك والدَّنَفا»[٣١].**

فالإشارة المكانية جاءت من خلال اسم الإشارة ذاك، وهي إشارية مكانية مبهمة لا يتحدد معناه إلا من خلال السياق الواردة فيه، فهذه الأبيات هي للتهنئة لمن أخذ دواء مسهل، فما زال يحتسي هذا الشراب، وقد شبه الشراب بالسرور والسعادة وأنّه يحتسيه في تمهل، ولأجل ذلك تبعد عنك الأمراض.

وقبلها يخاطب من يهنئه بأنّه صقل سيف العُلى وقد صفت أمعاؤك وصارت ناصعة مثل التبر وهو الذهب [٣٢]، فـ "ذاك" إشارة إلى المكان في أمعائه وبطنه، فقد صفا من جميع الأمراض.

والمروية كذلك احتوت على العديد من الإشاريات الشخصية العائدة جميعها إلى الذي هنئ بشرب الدواء المسهل.

(٣٠) الأبعاد التداولية للإشارات والإحالة في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزاق عبد الواحد، ٣٥٩.
(٣١) كتاب الكناية والتعريض، ٨٢.
(٣٢) ينظر: كتاب العين، ١/ ١٧٩.

**ويروي الثعالبي في الباب الرابع في فصل "في الكناية عن جملة من المعايب، والأخلاق المذمومة": «فإذا كان غير نظيف البدن، مغفلاً لتعهده، قالوا: أظفاره حمى، وأزراره مرعى. ويستجاد لأبي نواس قوله:**

**مَنْ يَنْأَ عَنْهُ مصادُهُ فمَصادُ زُنْبورٍ ثِيابُهْ**

**وللصاحب:**

**وُحُوشُهُ تَرتَعُ في ثوبِهِ وظِفْرُهُ يَرْكَبُ للصّيدِ**

**ومن كنايات العامة في هذا المعنى قولهم: فلان يعرض الجند»**(٣٣).

عملت الإشاريات المكانية على إبراز الكناية عن عدم نظافة البدن من خلال الإشارة إلى أماكن تجمع الأوساخ والأتربة نتيجة عدم الاهتمام بالنظافة وعدم تعهدها بشكل مستمر، فقالوا: "أظفاره حمى"، أي: كأن الشخص غير النظيف تتجمع الجراثيم الناقلة للأمراض تحت أظفاره فبمجرد ملامسته لأحد تنقل المرض والذي من أعراضه الحمى، "وأزراره مرعى"، والأزرار: «الزر: واحد أزرار القميص (٣٤)»، أي مرعى للأمراض والأوساخ.

**وفي قول أبو نواس: مَنْ يَنْأَ عَنْهُ مصادُهُ فمَصادُ زُنْبورٍ ثِيابُهْ**

أيضًا إشارة مكانية إلى أماكن تجمع الأوساخ من خلال ذكر مكان تجمع الأوساخ، من خلال قول أبي نواس في هجاء زنبور بن أبي حماد وتشبيهه بصيد القمل والبراغيث (٣٥).

والزنبور: «والزنبار، والزنبورة: ضرب من الذباب لساع» (٣٦). كما جاء في المعجم الوسيط بمعنى: «حشرة أليمة اللسع من الفصيلة الزنبورية واحدته زنبارة (ج) زنابير (٣٧)».

بمعنى أنّه من ينأ بنفسه من أن يكون فريسة لزنبور من لسعه فإنّه سيكون مصاده بثياب زنبور لما تجمع فيها من أوساخ.

وفي قول الصاحب: **وُحُوشُهُ تَرتَعُ في ثوبِهِ وظِفْرُهُ يَرْكَبُ للصّيدِ**

(٣٣) كتاب الكناية والتعريض، ١١٠.

(٣٤) لسان العرب. ابن منظور (٦٣٠- ٧١١هـ). تح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، ٦/ ٣٥.

(٣٥) ينظر: مختارات البارودي. محمود سامي البارودي. تح: مجموعة من الباحثين بإشراف: محمد مصطفى هدارة، تح الجزء الرابع: جمال غباشي غنيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٩٢م، ٤/ ٧٠٢.

(٣٦) المحكم والمحيط الأعظم. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المُرسي (ت: ٤٥٨هـ). تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ٩/ ١٢٢.

(٣٧) المعجم الوسيط، ١/ ٤٠٢.

وفي هذا البيت أيضًا إشارة مكانية من خلال مكان تجمع الأوساخ في ثوبه، وظفره مستعد للصيد أي صيد هذه الوحوش وهي ناتجة عن عدم الاهتمام بالنظافة وتجمع الأوساخ، وهذه كلها كنايات متداولة في المجتمع العربي.

**ويروي الثعالبي في الباب الرابع كذلك في فصل "في الكناية عن سوء الحال والفقر": «وفلان وطاؤه الغبراء، وغطاؤه الخضراء. إذا كان لا يستتر من الله بشيء.**

**ودخل أبو الحسن محمد بن عبد الله، المعروف بابن سكرة، حمام موسى ببغداد، فسرقت نعله، فقال:**

**ولستُ بداخلٍ حمامَ موسى وإن جاز المُنَى طِيبًا وحرّا**
**تَكاتفتِ اللصوص عليهِ حَتّى لَيَحْفى مَنْ يُلِمُّ به ويَعْرا**
**ولم أفقِدْ به ثَوْبًا، ولكِن دَخَلْتُ مُحمّدًا وخَرَجْتُ بِشْرا**

**يعني بشرًا الحافي الصوفي»** (٣٨).

ما يلاحظ على المروية السابقة وجود بعض الإشاريات المكانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال السياق المتداول فالغبراء الأرض وهي مكان، والخضراء السماء، فقوله: "وفلان وطاؤه الغبراء، وغطاؤه الخضراء" كناية عن الفقر وأنّ الشخص لشدة فقره يفترش الأرض ويلتحف السماء «فلان وطاؤه الغبراء وغطاؤه الخضراء، لا يملك شيئًا من ذلك، فهو يدل على فقر مدقع أفضى بصاحبه إلى تفرش الأراضي الجرداء، فالأزمة هنا أشد»(٣٩).

**وفي قول أبو الحسن محمد بن عبد الله، المعروف بابن سكرة عندما دخل حمام موسى ببغداد وسرقت نعله:**

**ولستُ بداخلٍ حمامَ موسى وإن جاز المُنَى طِيبًا وحرّا**
**تَكاتفتِ اللصوص عليهِ حَتّى لَيَحْفى مَنْ يُلِمُّ به ويَعْرا**
**ولم أفقِدْ به ثَوْبًا، ولكِن دَخَلْتُ مُحمّدًا وخَرَجْتُ بِشْرا**

توجد إشاريات مكانية من خلال ظروف المكان "بداخل، ودخلتُ، وخرجتُ"، فابن سكرة يحرم على نفسه دخول حمام موسى مرة ثانية، ويشرح سبب هذا القرار في البيت الثاني في كيف أنّ اللصوص تكاتفت واجتمعت عليه حتى جعلته حافيًا بسرقة نعله، ثم يؤكد المعنى من خلال الإشاريات المكانية من خلال

(٣٨) كتاب الكناية والتعريض، ١٢٠.
(٣٩) المحظورات اللغوية في كتاب (الكناية والتعريض) لأبي منصور الثعالبي. رسالة ماجستير، إعداد: سعيد عامر، إشراف: صالح بلعيد. جامعة مولود معمري تيزي- وزو، الجزائر، ٢٠١٥م، ١٠٤.

"دخلتُ– خرجتُ" التي أحالت كذلك على إشاريات شخصية من خلال الدخول للحمام وهو نفسه محمد بن عبد الله ثم خروجه وقد سرق نعله حافيًا كأنّه بشر وهو بشر الحافي الصوفي، فهو بذلك لم يفقد شيئًا يملكه كثوب أو نحوه إنّما تحول من شخص لشخص آخر.

**ومن ذلك قول الثعالبي في الباب الرابع في فصل "في الكناية عن الصفع": «ولم ير في هذا المعنى أملح مما أنشدنيه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، لابن سكرة في ابن قُريعة:**

**رأيتُ قُلْنُسُوَةً تستغـ ـيثُ من فوق رأسٍ تنادي خُذوني**
**وقد قَلِقَت، فهي طَوْرًا تميـ ـلُ من عن شمالٍ ومن عن يمينِ**
**فقلتُ لها: ما الذي قد دهاكِ فقالت مقال كئيبٍ حزينِ:**
**دهانِيَ أن لستُ في قالَبي وأخشى من الناسِ أن ينكروني**
**وأن يأخذوا في مزاحٍ معي وإن فعلوا ذاكَ بي قطَّعوني» (٤٠).**

فالملاحظ استخدام ظروف المكان فوق، شمال، يمين، وهذه الظروف لا نستطيع تحديد مكانها إلا من خلال السياق المتداول، فهذه الظروف استخدمها ابن سكرة للدلالة على أثر الصفعة التي تلقاها ابن قُريعة بحيث اهتزت قلنسوته ومالت يمينًا وشمالاً ونادت بالاستغاثة، ثم جعل الحوار بينه وبين القلنسوة، انتهى بأنّه لا يريد من الناس أن يأخذوا معه في المزاح بأن تكون هذه القلنسوة ليست في مكانها وإن فعلوا ذاك بها قطعوها، فهذه الظروف إشارياتها تحدد مكانها من خلال المعنى المتداول في السياق وهو القلنسوة التي فوق رأس ابن قُريعة التي تمايلت؛ نتيجة لأثر الصفعة.

والقلنسوة والقلنسية والقلنساة والقلنيسة: من ملابس الرؤوس معروف (٤١).

**يروي الثعالبي في الباب الخامس في فصل "في الكناية عن الموت": «وسمعت بعض الحكماء يقول في الكناية عن موت صديق له: قد استكمل فلان حد الإنسان لأنّ حد الإنسان، أنّه: حي ناطق ميت. وكثيرًا ما يكنون عن القبر، بالتربة، والمضجع، والمرقد، والمشهد» (٤٢).**

(٤٠) كتاب الكناية والتعريض، ١٢٢- ١٢٣
(٤١) ينظر: لسان العرب، ١١/ ٢٧٩.
(٤٢) كتاب الكناية والتعريض، ١٣٣.

فالكناية عن الموت بأنّها حد الإنسان الذي يستكمل في الدنيا وينتهي حاله بها وينتقل إلى مرحلة الآخرة بعد وفاته لذلك قالوا: استكمل فلان حده، وبين الثعالبي فيما رواه ما هو حد الإنسان بأنّه: حي ناطق ثم ميت وقد عملت الإشاريات المكانية ودلت على مكان وضع الميت من خلال "القبر– التربة– المضجع– المرقد– المشهد" فالقبر معروف ومتداول بين الناس أين يكون، وكذلك تسميته بالتربة؛ لأن القبر يكون للميت في التراب، والمضجع: «كلمة تدل على مكان النوم، حلاها الحظر اللغوي بمدلول آخر هو: القبر؛ ذلك أنّ الاضطجاع هو النوم على الشق الأيمن، وسمي القبر مضجعًا؛ لأنّ المسلمين يدفنون الميت وهو مضطجع على شقه الأيمن، قال الأعشى ميمون يخاطب ابنته:

**عليكِ مثلُ الذي صليتِ فاعتصمي يومًا فإنّ لجنبِ المرءِ مضطجعا**

أي لا بد لكل امرئ من قبر، ينزله لا محالة»(٤٣).

ومثله كذلك كلمة المرقد متداول بين الناس أنّه مكان مرقد الميت وهو القبر ومنه قوله تعالى: (( قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعدنا الرحمن وصدق المرسلون)) [يس: ٥٢].

جاء في الصحاح: «الرقاد: النوم. وقد رقد يرقد رقدا ورقودا ورقادا. وقوم رقود: أي رقد. والرقدة: النومة. والمرقد، بالفتح: المضجع. وأرقده: أنامه. وأرقد بالمكان: أقام به» (٤٤).

وفي المعجم الوسيط: «(المرقد) موضع الرقاد والقبر» (٤٥). فالمرقد إذن مكان الرقاد استعير للقبر بجامع خفاء الأثر في كل منهما شبه الموت بالرقاد في عدم الحس أو عدم النفع، ثم استعير لفظ "الرقاد" بعد التناسي والادعاء للموت، ثم اشتق من الرقاد بمعنى الموت "مرقد" بمعنى مكان الموت.

والمشهد أيضًا كناية عن الموت والقبر، جاء في الكليات: «والمشهد والمشهدة محضر الناس والمشهود يوم الجمعة أو يوم القيامة أو يوم عرفة» (٤٦).

وفي المعجم الوسيط تحدث عن أن المشهد بمعنى الضريح إلا أنّ الضريح كلمة محدثة (٤٧).

وبذلك يتبين أنّ جميع الإشاريات في المروية السابقة تشير إلى الموت والقبر وما تعارف عليه الناس من أسماء مختلفة للقبر جميعها تدل على الكناية عن الموت.

(٤٣) المحظورات اللغوية في كتاب (الكناية والتعريض) لأبي منصور الثعالبي، ١١٠.

(٤٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣هـ). تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط٤، يناير- ١٩٩٠م، ٢/ ٤٧٦.

(٤٥) المعجم الوسيط، ١/ ٣٦٤.

(٤٦) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ). عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٥٢٧.

(٤٧) ينظر: المعجم الوسيط، ١/ ٤٩٧.

## المحور الرابع: إشاريات الخطاب: (Discursive Indicatives)

هناك إشاريات للخطاب تعد من خواص الخطاب وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم، مثل: ومهما يكن من أمر، لكن، بل، فضلاً عن ذلك، من ثَمّ، وهذه الإشاريات قد تلتبس بالإحالة إلى سابق أو لاحق. وقد تستعار إشاريات الزمان والمكان لتستخدم إشاريات للخطاب، فكما يقال: الأسبوع الماضي يمكن أن يقال: الفصل الماضي من الكتاب أو الرأي السابق، أو يقال: هذا النص وتلك القصة [٤٨].

**أورد الثعالبي في الباب الخامس في فصل (في كناياتهم عن وخط الشيب): «أقمر ليله» [٤٩].**

فلو أخذنا المعنى الحرفي لجملة "أقمر ليله" لفهمنا أنّه أضاء، لكن المعنى المتداول من خلال سياق إشاريات الخطاب التي استعارت بإشاريات الزمان من خلال الليل، لوجدنا أنَّ موقف الخطاب هو الشعر الأسود؛ استنتجنا هذا من لفظة "ليله" فالليل أسود، فلما أقمر هذا الليل أضاء وهذا الضوء هو النابع من وخط الشيب الذي ظهر، فلذلك جعل الثعالبي هذه الألفاظ في فصل "في كناياتهم عن وخط الشيب"، فقد كنى عن ظهور الشيب في الشَّعر الأسود بإقمار الليل وتبين لنا ذلك من خلال إشاريات الخطاب التي استعارت من إشاريات الزمان.

**يروي الثعالبي في الباب الخامس في فصل "في كناياتهم عن الاكتهال": «أدرك زمان الحنكة» [٥٠].**

في هذه المروية يتبين كيفية تعامل المجتمع مع كبير السن الذي وصل إلى مرحلة الاكتهال بأنّه "أدرك زمان الحنكة" كإشارة اجتماعية خطابية إليه فيها نوع من التقدير والاحترام فالحنكة معناها: «أهل الشرف والتجارب» [٥١].

كما جاء في كتاب الجيم: «والحُنكَة: حنكة السن، تقول: قد أحنكته السن» [٥٢].

ومن هنا نلاحظ أنّ من يصل إلى هذه المرحلة العمرية من الاكتهال والتقدم بالسن يصفه المجتمع بأنّه أدرك ووصل إلى زمان الحنكة أي خاض الكثير من التجارب.

(٤٨) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٢٤.
(٤٩) كتاب الكناية والتعريض، ١٢٩.
(٥٠) المرجع السابق، ١٣٠.
(٥١) كتاب العين، ٣/ ٦٤.
(٥٢) الجيم. أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني (ت: ٢٠٦هـ). تح: إبراهيم الإبياري، راجعه: محمد خلف الله أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، ١/ ١٩٥.

فعملت الإشارية الخطابية من خلال التعامل مع هذا الكبير في السن على تعزيز الاحترام في الخطاب والكناية عنه.

**يروي الثعالبي في الباب الخامس في فصل "في كناياتهم عن الشيخوخة والكبر، والهرم، ومشارفة الفناء": «ولما سقطت ثنية معاوية في الطست، اشتد جزعه، فقال له أبو الأعور السلمي: "خفض عليك يا أمير المؤمنين، فو الله ما بلغ أحد سنَّك إلا فدى بعضه بعضًا»**(٥٣).

يلاحظ في المروية السابقة إشارة خطابية من حيث انتقاء الألفاظ والتعامل بين أبي الأعور السلمي ومعاوية بن أبي سفيان عندما سقطت ثنيته واشتد جزعه فخاطبه أبو الأعور بلغة خطابية تراعي المقام والمقال من حيث قدرته على التطمين لمعاوية بقوله: "خفض عليك يا أمير المؤمنين"، و قوله: "ما بلغ أحد سنك إلا فدى بعضه بعضًا" بمعنى أن سقوط الأسنان أهون من سقوط سائر البدن وهذا ما أكده الجاحظ في البيان والتبيين في نفس هذه الكناية عن الشيخوخة والكبر والهرم ومشارفة الفناء حيث ذكر الجاحظ ذلك بقوله: «قال أبو الحسن وغيره: لما شق على معاوية سقوط مقادم فيه قال له يزيد ابن معن السلمي: "والله ما بلغ أحد سنك إلا أبغض بعضه بعضا، ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك". فطابت نفسه»(٥٤).

وهي بنفس المعنى والكناية عن ذلك من خلال إشاريات الخطاب التي عملت على إبراز هذا المعنى وتأكيده.

## المحور الخامس: الإشاريات الاجتماعية: (Social Indicatives)

هي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، سواء أكانت علاقة رسمية أم علاقة غير رسمية، أي علاقة صداقة أو ألفة. والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سنًا ومقامًا من المتكلم، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما فتشمل الألقاب، فخامة الرئيس، جلالة الملك، سمو الأمير، والسيد والسيدة. أما العلاقة غير الرسمية فتشمل النداء بالاسم المجرد.

فمسألة تحديد نوع العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب مسألة نسبية تختلف من موقف لآخر، ومن حيث قرب أو بعد الأطراف، سواء كان القرب أو البعد ماديًا أو اجتماعيًا أو نفسيًا.

(٥٣) كتاب الكناية والتعريض، ١٣١.

(٥٤) البيان والتبيين. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط٧، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ١/ ٦٠.

وتعد الإشاريات الاجتماعية من الأمور المشتركة بين علم اللغة الاجتماعي والتداولية. كما أنّه تتحكم بالإشاريات الاجتماعية مقومات ذاتية وموضوعية والمسافة المكانية والنفسية بين عناصر الخطاب [٥٥].

**يروي الثعالبي في الكناية عن المرأة بالنعجة: «فأما الكناية بالنعجة، فقد أفصح عنها القرآن في قصة داود عليه السلام: ((إنَّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة)) [ ص:٢٣ ]، أي امرأة واحدة»**[٥٦].

جاء في لفظة أخي إشارة توحي بالعلاقة الرسمية التي كانت بين المتخاصمين عند داوود– عليه السلام– فالأخوة هنا هي أخوة الدين وأخوة الإنسانية، وبالتالي فإن الموقف تبين من خلال السياق بأن الخصام لم يكن خصام شديد بينهما وإلا لما اختار كلمة "أخي".

ومنهم من ذهب إلى أن النعجة هنا ليست المرأة بل أنثى الضأن، ومنهم من قال بأنها كناية عن المرأة، والعدد (تسع وتسعون)، منهم من قال بأنه العدد المعروف ومنهم من قال بأنها من باب التمثيل وضرب المثل للكثرة، وفي الآية المعنى نفسه الذي ذهب إليه الثعالبي: هنا كناية عن المرأة بالنعجة والشاة.

ولعل هذه الآية قد اشتملت على العديد من الإشاريات، نبدأ بالإشارية الاجتماعية فهي في هذا الموضع مفتاح لبقية الإشاريات: كنى بالنعجة عن المرأة: هذا الأخ له امرأة: العلاقة بينهما زوجية. والضمائر تجمع بين المذكر (الأخ) والمؤنث: هي المصرح به النعجة والتي تعود على المرأة.

الإشاريات الزمانية: تتحدث عن الحاضر: حاضر هذا القول وزمنه، كما نجد اسم الإشارة وهو من الواصلات المحددة ومن المبهمات ولا يفهم إلا عن طريق ما يرتبط به، يقول سيبويه: وأما الأسماء المبهمة فنحو: هذا، هذه، وهي كذلك عند المبرد لإمكانية الإشارة بها إلى كل شيء. وهي هنا مرتبطة بلفظ الأخ واستعملت للقرب وللدلالة على أن الأخ يقف أمامه، فاسم الإشارة في سياق هذه الآية يعود على الأخ، والعلاقة الموجودة هنا:

أخوة ومصاحبة: بين الرجلين.

زوجية: بين الرجل ونسائه.

والمرأة مثلت قولا مضمرًا من باب الاقتضاءات الكنائية فيكنى عنها بالبيضة والشاة والنعجة، والافتراض في جو هذه الآية أن العرب تكنى عن المرأة بالنعجة فجاءت في هذا السياق. واقتضى أن تدخل الباب

(٥٥) ينظر: الأبعاد التداولية للإشارات والإحالة في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزاق عبد الواحد، ٣٦٠.
(٥٦) الكناية والتعريض، ٩.

البلاغي والتداولي كناية وإضمارًا، وقوله (أكفلنيها) بتحمل المسؤولية الإرشاد والإنفاق كما قال تعالى: ((وكفلها زكريا)) [آل عمران: ٣٧][٥٧].

«كنى بالنعجة عن النساء والوصف الجامع بينهما هو التأنيث» [٥٨].

وبذلك يتضح أن الكناية بالنعجة في كلا الموضعين المرأة، وإنما كنى بالنعجة عن المرأة لما بينهما من الملاءمة في التذلل والضعف والرحمة وكثرة التألف [٥٩]. «وهم أن يمثلون بالنعجة المرأة، إنما يقتضي منها كما رأينا الأنوثة والجمال، وحسن المنظر والمظهر، كحسن اللون ابيضاضه، الذي يرمز به للصفاء والشفافية. فالنعج: الابيضاض الخالص، كأنّهم يرومون به صفوة الصفاء، فلا تشوبه أدنى كدرة علاوة على الاستواء والسهولة وإكرام المنبت والإنبات، إن قالوا أرض ناعجة وأبل نواعج وناعجات، يقصدون بذلك الأرض المستوية السهلة المكرمة للنبات حيث تنبت الرمث. والإبل البيض الكريمة، السمينة، السريعة، ربيبة النعمة سليلتها وربتها.

والنعجة كيفما كانت في الأحلام تعني الأنوثة. ويرمز بها إلى المرأة فإذا نجعت فقد شرفت وكرمت واستغنت، وحيازتها رمز خصب ورخاء وغطاؤها صوفها والشاة والنعجة كلاهما يحملان نفس المعاني وكثافتها، ومثلها المرأة في اللغة الشعرية»[٦٠]. يقول ابن منظور: «والعرب تكني بالنعجة والشاة عن المرأة ويسمون الثور الوحشي شاة قال أبو عبيد: ولا يقال لغير البقر من الوحش نعاج وفي التنزيل في قصة داود عليه الصلاة والسلام وقول أحد الملكين اللذين احتكما إليه "إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة" وقرأ الحسن ولي نعجة واحدة»[٦١].

فالكناية بـ "نعجة"، عن المرأة استخدمته العرب، «وكثر في كلامهم الكناية بها عن المرأة قال ابن عون:

**أنا أبوهن ثلاثٌ هنّه**

**رابعة في البيت صُغْراهنّه**

**ونعجتي خمسًا توفّيهنّه**

وقال آخر:

(٥٧) ينظر: تداولية المحظور اللغوي في القرآن الكريم. أطروحة دكتوراه، إعداد: عاطف عبران، إشراف: قدور سلاّط. جامعة العربي التبسي- تبسة، الجزائر، ٢٠٢١م، ١٥٨.

(٥٨) النسق الثقافي في الكناية، ٢٦.

(٥٩) ينظر: الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية. أحمد فتحي رمضان الحياني. مكتبة النقد الأدبي- دار غيداء للنشر والتوزيع- الأردن، ط١، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، ٥٩.

(٦٠) الكناية في ضوء التفكير الرمزي. رسالة ماجستير، إعداد: نائلة قاسم لمفوف، إشراف: لطفي عبد البديع. جامعة أم القرى- كلية اللغة العربية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ١٦٠- ١٦١.

(٦١) لسان العرب، ١٤/ ١٩٨. وينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ١/ ٣٣٣. وينظر: المعجم الوسيط، ٢/ ٩٣٣.

**هما نعجتان من نعاج تبالةٍ لدى جؤذرين أو كبعض دمى هَكِر» [٦٢].**

يقول صاحب الدر المنثور: «يعني تسعا وتسعين امرأة لداود وللرجل نعجة واحدة» [٦٣].

استخدام لفظ هذا هو إشارة إلى قرب الخصم الذي أمامه، وهو دليل على أنهما اثنين [٦٤]. وتنتقل أيضًا إلى ما يسمى المسافة العاطفة "الإشارة الوجدانية"[٦٥]. «((إنَّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب)) [ص: ٢٣ ]، هذه حكاية كلام أحد الخصمين ، والأخوة هنا أخوة الدين، والنعجة في اللغة تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن ، وهي هنا عبارة عن المرأة، ومعنى أكفلنيها : أملكها لي وأصله اجعلها في كفالتي»[٦٦].

وبهذا يترك السياق القرآني استخدام الكلمة إلى ما هو أجمل منه باستخدام كلمة "نعجة" كعادة العرب أن تكني بها عن المرأة.

«العرب تجعل المهاة شاة؛ لأنّها عندهم ضائنة الظباء ولذلك يسمونها نعجة وعلى هذا المتعارف في الكناية جاء قول الله عزّ وجل في إخباره عن خصم داود عليه السلام "إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة" كناية بالنعجة عن المرأة.

فليس الذي سوغه هو التأنيث للولادة– كما زعم ابن الأثير– لأنّ ذلك يجيز الكناية عنها بكل مؤنث من حية ولبؤة وغيرها وإنما هناك شيء آخر هو أنّهم شبهوا المرأة بالمهاة أي البقرة الوحشية واستعاروها لها وهذا كثير ثم إنّهم يطلقون على المهاة شاة» [٦٧].

**ومما رواه الثعالبي أيضًا في باب الكناية عن المرأة: «وكثير ما يكني ابن العميد، والصاحب، والصابي، وعبد العزيز بن يوسف، وهم بلغاء العصر، وأفراد الدهر، عن البنت بالكريمة، وعن الصغيرة بالريحانة، وعن الأم بالحرَّة، والبرَّة، وعن الأخت بالشقيقة، وعن الزوجة بكبيرة البيت، وعن الحرم بمن وراء الستر، وعن الزفاف بتألّف الشمل، واتصال الحبل»[٦٨].**

(٦٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أحمد بن يوسف المعروف بالسمين المعروف. تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق- سوريا، ٩/ ٣٦٩.

(٦٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي. تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية د. عبد السند حسن يمامة، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، القاهرة- مصر، ١٢/ ٥٣٠.

(٦٤) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٩/ ٣٦٦.

(٦٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٢٣.

(٦٦) التسهيل لعلوم التنزيل. أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ). تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ٢/ ٢٥١.

(٦٧) التصوير المجازي والكنائي تحرير وتحليل. صلاح الدين محمد أحمد. ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ٢٦٠- ٢٦١.

(٦٨) كتاب الكناية والتعريض، ١٩.

مروية الثعالبي تؤكد على الإشاريات الاجتماعية، وكيف أنّ المجتمع العربي متداول ومتعارف بين أبنائه عدم ذكر المرأة وصلة القرابة بها بشكل مباشر وإنما يحصل ذلك عن طريق الكناية عنها، فمثلا جاء في تاج العروس أنّ «الكريمة: الأهل، وقيل: شقيقة الرجل، والجمع: الكرائم. وكرائم المال: نفائسه»[٦٩].

كذلك الكناية عنها بالحرة جاء في المعجم الوسيط: «(الحرة) خلاف الأمة ويقال سحابة حرة كثيرة المطر»[٧٠]. يقول الزبيدي: «الحُرة، (بالضم: الكريمة) من النساء، قال الأعشى:

حُرَّةٌ طفلةُ الأنامِلِ تَرْتَبُّ

سُخَامًا تَكُفُّه بِخِلالِ

(و) الحرة: (ضد الأمة. (ج) حرائر، شاذ. ومنه حديث عمر: (قال للنساء اللاتي كن يخرجن إلى المسجد لأردنكن حرائر)، أي لألزمنكن البيوت، فلا تخرجن إلى المسجد لأن الحجاب إنما ضرب على الحرائر دون الإماء»[٧١].

وفي الكناية عن المرأة الأم بالبرة في أنها تأتي مشفقة على أبنائها مثل الأرض البرة النافعة يقول ابن منظور: «وفي الحديث تمسحوا بالأرض فإنها برة بكم أي تكون بيوتكم عليها وتدفنون فيها قال ابن الأثير: قوله فإنها بكم برة أي مشفقة عليكم كالوالدة البرة بأولادها يعني أن منها خلقكم وفيها معاشكم وإليها بعد الموت معادكم وفي حديث "زمزم أتاه آت فقال تحفر برة" سماها برة لكثرة منافعها وسعة مائها»[٧٢].

والكناية عن المرأة بالحانية وخصوصًا للأم قريب من الكناية عنها بالبرة، يقول الزبيدي: «والحانية: الأم البرة بأولادها؛ ومنه الحديث: (أنا وسفعاء الخدين الحانية على ولدها كهاتين، وأشار بالوسطى والمسبحة»[٧٣].

كذلك الكناية عن الأخت من الأب والأم بالشقيقة، والأصل في الشقيقة هو المطر الغزير الذي يجلب بعده الخير الوفي [٧٤].

ويكنون عن المرأة أيضًا بالريحانة، وقد استخدمه الشعراء بكثرة في أشعارهم وهذا عائد لأسباب تجمع بين صفات الريحان والمرأة يقول ابن قيس الرقيات: «لا أشم الريحان إلا بعيني

أي أقنع من النساء بالنظر إليهن.

وهذا مثال آخر على الرؤية الشعرية في المرأة، فالمرأة في الشعر ريحان طيب الرائحة، إنّ الريحان كل بقل طيب الريح واحدته ريحانه قال شاعرهم:

(٦٩) تاج العروس من جواهر القاموس، ٣٣/ ٣٤٩.
(٧٠) المعجم الوسيط، ١/ ١٦٥.
(٧١) تاج العروس من جواهر القاموس، ١٠/ ٥٨١.
(٧٢) لسان العرب، ١/ ٣٧١.
(٧٣) تاج العروس من جواهر القاموس، ٣٧/ ٤٩٢.
(٧٤) ينظر: المعجم الوسيط، ١/ ٤٨٩.

**بريحانة من بطن حلية نورت لها أرج، ما حولها غير مسنت**

أو أنّها انتزعت منه الحداثة والبراءة وطيب الريح فالريحان أطراف كل بقلة طيبة الريح إذا خرج عليها أوائل النور، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: (إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده)، لأنّه رمز للرحمة والرزق، والعرب تقول سبحانه الله وريحانه فكأنّها قد رأت تعظيم الله وتنزيهه مقرونين برحمته ورزقه، ومن ثم استرزاقه فقالوا: خرجت أبتغي ريحان الله، قال النمر بن تولب:

**سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء درر**

**غمام ينزل رزق العباد فأحيا البلاد وطاب الشجر**

فالريحان يطلق عندهم على الرحمة والرزق والراحة، وبالرزق سمي الولد ريحانًا وفي الحديث (الولد من ريحان الله)، ومنه وصايته صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه: (أوصيك بريحانتي خيرًا قبل أن ينهد ركناك)، مريدًا بريحانته الحسن والحسين. والمرأة لما كانت منبعًا للرياحين ورمزًا للعطاء والخصوبة. وتهيئة الراحة والنمو قالوا من النبت إذا طال: قد تزوجت البقول، فهي متروحة. ومنه قسم الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ((والحب ذو العصف والريحان)) [الرحمن: ١٢]، قيل هو الورق. وقال الفراء: ذو الورق والرزق والرواح والراحة والمرايحة والرواحة. وجدانك الفرجة بعد الكربة.

وبهذا نرى كيف كانت الرؤية الشعرية للمرأة فهي ريحان بكل ما يحمل الريحان من معنى الرحمة والرزق والفرح والنماء والعطاء والراحة وإن كان هذا لم يمنع من أن تكون للريحان رؤية معاكسة تعكس ما يخبئه اللاشعور فيهم عن المرأة. فكما كانت ريحانًا حملت منه الوجه والجانب الجميل كانت رمزًا لمعاني الخير من فرجة للهموم والأنكاد، وخصوبة، ونجابة وعلم وثناء وذكر جميل. وأرزاق أبناء وعمل وثمر صالح ووعد صادق.

احتملت أن تكون المرأة عند البعض الآخر ريحانًا ولكن بجانبه السيء بحسب خبرته بالريحان ورؤيته فيه كأن يكون رمزًا للهموم والنكد والمرض وقرب الحين والأجل، تحمل في ذراتها الوباء والموت والعزل عن الولاية والمنصب فتكون المرأة ريحانًا حسنة حسنها وسوؤه سوؤها» [٧٥].

فمن خلال ما سبق نرى أن العربي استخدم لكل مرحلة من مراحل عمر المرأة كناية تناسبها وتكنى عنها، وهذا يدلل على ما تتمتع به المرأة من مكانة لائقة في المجتمع العربي، وكأن الكناية عندئذٍ نوع من

(٧٥) الكناية في ضوء التفكير الرمزي، ١٨١- ١٨٢- ١٨٣.

الستر الذي يخلع على المرأة في أي طور من أطوار حياتها، وفيها مراعاة للوضع الاجتماعي لها في المجتمع [٧٦].

**ومن هذه الإشاريات الاجتماعية ما أورده الثعالبي في الباب الرابع في فصل "في القبح والسواد" من قصة سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم، حيث يقول: «ويحكى في قصة طويلة لسكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم أنّها أمرت بإخراج الفرزدق عن دارها، وقالت: والله إنّه لا يدخل علي حتى يشيب الغراب.**

**فتلطف الفرزدق واحتال، وقال لنصيب هل لك في أن تدخل عليها، وتأخذ صلتها؟**

**فقال: نعم.**

**فاستأذن الحاجب لنصيب فأذنت له، ودخل الفرزدق على أثره فلما رأته سكينة، قالت له: ياخبيث قد حنثتني.**

**فقال: يا سيدتي، قد قلت: حتى يشيب الغراب، وهذا والله الغراب قد شاب. أراد سواد وجهه، وبياض شعره.**

**فقال نصيب قد علمت أنّه لا يريد بي خيرًا. ثم كفرت عن يمينها وأجزلت صلتهما» [٧٧].**

فمن خلال القصة التي أوردها الثعالبي نلاحظ استخدام بعض الإشاريات الاجتماعية التي حددت نوع العلاقة بين سكينة رضي الله عنها وبين الفرزدق, ونصيب، والحاجب، من خلال استخدام الفرزدق لفظ "يا سيدتي"، ومن خلال استئذان الحاجب في الدخول، مما أوحى بالمكانة العالية التي كانت تتمتع بها سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما، من خلال كيفية الدخول عليها من خلال استئذان الحاجب، بالإضافة لاستخدام الإشاريات الشخصية من خلال اسم الإشارة هذا في قول الفرزدق: "وهذا والله الغراب قد شاب" الذي أراد به سواد الوجه وبياض الشعر كناية عن خلقته الدميمة.

## الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونصلي ونسلم على خاتم رسل الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(٧٦) ينظر: الكناية في البلاغة العربية. بشير كحيل. مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ٦١.
(٧٧) كتاب الكناية والتعريض، ٨٧- ٨٨.

بعد هذه الإحاطة السريعة لموضوع الإشاريات التداولية ما نلاحظه هو أنّ لهذه الإشاريات أهمية كبيرة في تحديد المقصود من حديث المتكلم واستخدامه للكناية وعدم التصريح بالمراد من خلال السياق الوارد فيه، وما استعملته العرب وتداولته من معانٍ في هذه الكنايات إما لكونها من المحظورات اللغوية التي يحاول المتكلم عدم التصريح بها، وإما لكونها تدل على ذكاء المتلقي من خلال فهمه للمقصود الذي أراد المرسل إيصاله له، والمرويات التي يرويها الثعالبي في أغلبها عبارة عن تجارب ذاتية؛ لذا نجد حشدًا من الإشاريات الشخصية، وتكتسب الإشاريات الزمانية والمكانية قيمتها الدلالية من خلال ما يحيط بها من عناصر سياقية قادرة على تحديد وظيفتها بإشارتها إلى زمان أو مكان محددين، فما يناسب زمان قد لا يناسب زمان آخر، وما يصلح لمكان قد لا يصلح لمكان آخر. فالزمان والمكان اللذان يتلفظ فيهما المرسِل عنصران مهمان في إيصال المعنى المطلوب للمخاطَب، لذلك فإن اختيار العلامات اللغوية بشكل عام وإشارات الزمان والمكان بشكل خاص لها بالغ الأهمية في تكوين الخطاب، ولا يمكن النظر إلى الإشاريات الزمانية والمكانية إلا على أنّها جزء من نظام لغوي شامل تعكس في طياتها مدلولات عامة وخاصة يفرضها عليها السياق، ومعنى الخطاب ودلالته الزمانية مرتبط بأعراف وتقاليد اجتماعية متداولة بين الناس، ومحكومة بأوقات محددة، كما أنَّ الإشاريات الاجتماعية تسهم في تحقيق إقامة التواصل في الخطاب وتعزز الثقة بين المتخاطبين من أجل إنجاح التخاطب وبيان دلالته من خلال استخدام أسلوبي الكناية والتعريض في مرويات الثعالبي.

وهذا ما لاحظناه من خلال أخذ بعض النماذج القليلة من مرويات الثعالبي التي رواها في كتابه (الكناية والتعريض) هذا الكتاب الذي يزخر بالعديد من النماذج التي تصلح أن تكون مادة دسمة لتطبيقات النظرية التداولية في شتى مجالاتها.

## قائمة المصادر والمراجع:

**المصادر:**


- القرآن الكريم.
- كتاب الكناية والتعريض. أبو منصور الثعالبي. تح: أسامة البحيري، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.


**المراجع:**


- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. محمود أحمد نحلة. دار المعرفة الجامعية، ط٢٠٠٢م.

- البصائر والذخائر. أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤١٤هـ). تح: وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
- البيان والتبيين. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ط٧، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ). تح: علي هلالي، راجعه: عبد الله العلايلي– عبد الستار أحمد الفراج.
- التداولية من أوستين إلى غوفمان. فيليب بلانشيه. تر: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية– سوريا، ط١، ٢٠٠٧م.
- التسهيل لعلوم التنزيل. أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ). تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.
- التصوير المجازي والكنائي تحرير وتحليل. صلاح الدين محمد أحمد. ط١، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس.
- الجيم. أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني (ت: ٢٠٦هـ). تح: إبراهيم الإبياري، راجعه: محمد خلف الله أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أحمد بن يوسف المعروف بالسمين المعروف. تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق– سوريا.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي. تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية د. عبد السند حسن يمامة، ط١، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م، القاهرة– مصر.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣هـ). تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط٤، يناير– ١٩٩٠م.
- القاموس الموسوعي للتداولية. جاك موشلر– آن ريبول. تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية بإشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، ط٢٠١٠م.
- كتاب الأمالي. أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت: ٣٥٦هـ). دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
- كتاب العين. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ). تح: إبراهيم السامرائي– مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ). عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
- الكناية في البلاغة العربية. بشير كحيل. مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.

- الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية. أحمد فتحي رمضان الحياني. مكتبة النقد الأدبي– دار غيداء للنشر والتوزيع– الأردن، ط١، ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م.
- لسان العرب. ابن منظور (٦٣٠– ٧١١هـ). تح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التراث العربي، بيروت– لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ– ١٩٩٩م.
- المحكم والمحيط الأعظم. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المُرسي (ت: ٤٥٨هـ). تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.
- مختارات البارودي. محمود سامي البارودي. تح: مجموعة من الباحثين بإشراف: محمد مصطفى هدارة، تح الجزء الرابع: جمال غباشي غنيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٩٢م.
- مسرد التداولية. مجيد الماشطة– أمجد الركابي. الرضوان للنشر والتوزيع، عمّان– الأردن، ط١، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.
- المعارف. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣– ٢٧٦هـ). تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤.
- المعجم الوسيط. إبراهيم أنيس– عبد الحليم منتصر– عطية الصَّوالحي– محمد خلف الله أحمد، أشرف على الطبع: حسن علي عطية– محمد شوقي أمين، مجمع اللغة العربية.
- نسيج النص: ما يكون به الملفوظ نصًا. الأزهر الزنّاد. المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٣م.


**الدوريات:**


- الأبعاد التداولية للإشارات والإحالة في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزاق عبد الواحد. إيثار شوقي سعدون. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية– الجامعة المستنصرية، العدد: ٤٥، تشرين الأول، ٢٠١٩م.
- اشتغال التداولية في المجاز والكناية. إبراهيم عبد الفتاح رمضان. ١٤٤٢هـ– ٢٠٢٠م، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد٣٥، إصدار ديسمبر ٢٠٢٠م.


**الرسائل والأطاريح:**


- الأفعال الكلامية في القرآن الكريم "سورة البقرة" دراسة تداولية. أطروحة دكتوراه، إعداد: محمد مدور، إشراف: جودي مرداسي. جامعة الحاج لخضر، باتنة– الجزائر، ١٤٣٤– ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣– ٢٠١٤م.
- تداولية المحظور اللغوي في القرآن الكريم. أطروحة دكتوراه، إعداد: عاطف عبران، إشراف: قدور سلاّط. جامعة العربي التبسي– تبسة، الجزائر، ٢٠٢١م.
- الكناية في ضوء التفكير الرمزي. رسالة ماجستير، إعداد: نائلة قاسم لمفوف، إشراف: لطفي عبد البديع. جامعة أم القرى– كلية اللغة العربية، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.

- المحظورات اللغوية في كتاب (الكناية والتعريض) لأبي منصور الثعالبي. رسالة ماجستير، إعداد: سعيد عامر، إشراف: صالح بلعيد. جامعة مولود معمري تيزي– وزو، الجزائر، ٢٠١٥م.
- مصطلحات التداولية بين المعجم والاستعمال. رسالة ماجستير، إعداد: بن عاد فتيحة، إشراف: عبد الحليم بن عيسى. جامعة وهران– أحمد بن بلة، الجزائر، ٢٠١٤– ٢٠١٥م.
- النسق الثقافي في الكناية. رسالة ماجستير، إعداد: عبد الرحمان عبد الدايم، إشراف: بو جمعة شتوان. جامعة مولود معمري– تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١١م.


# معوّقات ومتطلبات تطبيق التشبيك بين الجمعيات والمنظمات المقدِّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية في لبنان– محافظة بعلبك الهرمل أنموذجًا

# Challenges and Requirements for Implementing Networking among Associations and Organizations Providing Social Care Services in Lebanon - Baalbek-Hermel Governorate as a Model


**الباحثة بتول إبراهيم الخليل شاهين***

**Batoul Ibrahim Alkhalil Shahine***



**الملخّص:**

تشكّل الرعاية الإجتماعية الإطار العام الذي تمارَس فيه مهنة العمل الاجتماعي، والتي تتمثّل في شكل خدمات إجتماعية يتم تقديمها من قبل المؤسسات الحكومية والجمعيات المدنية والمؤسسات المشتركة والمنظمات غير الحكومية (NGO'S) ومنظمات غير حكومية دولية (INGO'S) ومؤسسات دولية إلى الأسر والفئات المحتاجة، على مستويات وقائية وتنموية وليس فقط علاجية.

هدفت الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على التشبيك بين مختلف الجهات المقدّمة للخدمات الاجتماعية، لما له من أثر كبير في زيادة فاعلية هذه الخدمات، ووصولها لأكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع المحلّي (محافظة بعلبك – الهرمل)،



* باحثة دكتوراه، المعهد العالي لإعداد الدكتوراه - علوم الإنسان والمجتمع، جامعة القديس يوسف، بيروت.

Email: batoul.chahine@net.usj.edu.lb

* PhD researcher in psychology at The EDSHS - Saint Joseph University in Beirut.

وكلّ ذلك يخدم أغراض الفئات المحتاجة، وتكون الخدمات أكثر ملامسة لحاجاتها ومن ثمّ تطوير خدمات الرعاية الاجتماعية المقدّمة.

ويعتبر التشبيك أحد العوامل الأساسية وراء استدامة عمل المنظّمات غير الحكومية أو الأهلية، باعتباره وسيلة فعّالة لتبادل المعرفة والمعلومات حول الاحتياجات والحلول والخبرات والمنافع والمساهمة في نشرها وتداولها.

وقد توصلت الباحثة من خلال نتائج الاستبيان الذي تمّ تعبئته مع الجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية في بعلبك الهرمل والمقابلات مع العاملين الاجتماعيين، إلى أنّ التشبيك في المحافظة لا يزال ضمن مستوى التبادل، وتواجه الجمعيات والمنظمات العديد من الصعوبات التي تحول دون التشبيك، وتحقيقه يتطلّب متطلبات تنسيقية وإدارية ومالية وتدريبية وتكنولوجية.

**الكلمات المفتاحية: التشبيك، الجمعيات الأهلية، المنظمات غير الحكومية، خدمات الرعاية الاجتماعية، المتطلبات، المعوّقات.**

## Abstract:

Social welfare constitutes the general framework within which the social work profession is practiced, which is represented in the form of social services provided by governmental institutions, civil associations, joint institutions, non-governmental organizations (NGO'S), international non-governmental organizations (INGO'S) and international institutions to families and groups in need at preventive levels, and developmental, not just therapeutic.

The current study aimed to shed light on networking between the various agencies providing social services, because of its significant impact in increasing the effectiveness of these services and their access to the largest possible number of members of the local community (Baalbek-Hermel Governorate). All of this serves the purposes of the needy groups, and the services are more Touching their needs and then developing the social care services provided.

Networking is considered one of the fundamental factors behind the sustainability of the work of non-governmental or civil organizations, as it is an effective means of exchanging knowledge and information about needs, solutions, experiences, and benefits, and contributing to their dissemination and circulation.

Through the results of the questionnaire that was filled out with the agencies providing social care services in Baalbek-Hermel and interviews with social workers, the researcher concluded that networking in the governorate is still within the level of exchange, and associations and organizations face many difficulties that prevent networking, and achieving it requires coordination requirements. Administrative, financial, training and technological.

**Keywords: Networking, Civil Society Associations, Non-Governmental Organizations, Social welfare Services, Requirements, Challenges.**

**المقدّمة:**

تعتبر الخدمات الاجتماعية إحدى المعايير الأساسية لقياس تطوّر المجتمعات، فمن خلال نوعية وكفاءة وكمية الخدمات يمكن قياس التطوّر الحضاري للمجتمع والذي يعني تطوّر أسلوب حياة الإنسان ومعرفته. وعليه تقدّم الخدمات على شكل أنشطة تمارسها الدولة أو القطاع الخاص لتوفير منافع معيّنة لإشباع حاجات ورغبات الناس دون تحقيق مكاسب مادّية ملموسة لهم، أي تحقق منافع علمية وصحّية وعقلية ونفسية وذهنية وبيئية للأفراد، والتي تسهم في ديمومة عطائهم ورفع كفاءة أدائهم من خلال توفير مستلزمات الحياة الأساسية التي تحقق الصحة والأمان (الدلمي، ٢٠١٥: ص ٢٧).

ويتم العمل من خلال تقديم الخدمات الاجتماعية على تغيير ظروف الفرد، وصولاً إلى ما تسعى إليه الخدمة الاجتماعية وهو تغيير النظام الاجتماعي أي إيجاد تغيّرات ايجابية مقصودة، والتي تهدف إلى نقل المجتمع من وضع إلى وضع أفضل منه في المستقبل، عبر خطة إجتماعية ملائمة يتمّ إعدادها بناءً على الواقع (أبوعليان، ٢٠١٥: ص ١٠).

وتشكّل الرعاية الإجتماعية الإطار العام الذي يتم تقديم هذه الخدمات من خلالها، فهي تتمثّل في شكل خدمات إجتماعية يتم تقديمها إلى الأسر وإلى الفئات المحتاجة، سواءً كانوا رجالاً أو نساءً أو أطفالاً أو أيتاماً أو من ذوي الاحتياجات الخاصة أو مسنين أو أحداث أو مدمنين أو أصحّاء (أبوعليان، ٢٠١٥: ص ١٥١ ).

وتقدّم خدمات الرعاية الاجتماعية على مستويات وقائية وتنموية وليس فقط علاجية، من قبل المؤسسات الحكومية والجمعيات المدنية والمؤسسات المشتركة والمنظمات غير الحكومية (NGO'S) ومنظمات غير حكومية دولية (INGO'S) ومؤسسات دولية.

ولما كانت الحاجة إلى هذه الخدمات متزايدة ومتنوّعة، ولأنّ العديد من الجهات المقدمة لخدمات الرعاية الاجتماعية غير قادرة على تلبية كافة الاحتياجات بمفردها، يعتبر التشبيك (Networking) حالياً الوسيلة الأنسب لمنظمات المجتمع ومؤسساته لتحسين أدائها وتطوير قدراتها، باعتباره من العوامل الأساسية وراء استدامة عمل المنظّمات غير الحكومية أو الأهلية، فهو وسيلة فعّالة لتبادل المعرفة والمعلومات حول الاحتياجات والحلول والخبرات والمنافع والمساهمة في نشرها وتداولها (Homelen, 2002: p. 5) .

لذلك، وفي إطار هذه الدّراسة حول واقع الخدمات الاجتماعية المقدّمة للأسر المقيمة في محافظة بعلبك الهرمل ومدى مراعاتها لمبادئ التخطيط الاجتماعي، كان لا بدّ من تسليط الضوء على التشبيك بين مختلف الجهات المقدّمة للخدمات وأهم معوّقاته ومتطلّباته، لما له من أثر كبير في زيادة فاعلية خدمات الرعاية الاجتماعية، ووصولها لأكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع المحلّي، وكل ذلك يخدم أغراض الفئات المحتاجة وتكون الخدمات اكثر ملامسة لحاجاتها ومن ثمّ تطوير خدمات الرعاية الاجتماعية المقدّمة.

## أهميّة الدّراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تسلّط الضوء على موضوع التشبيك باعتباره من العوامل الأساسية وراء استدامة عمل الجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية، وتطوير أدائها لتقديم خدمات الرعاية الاجتماعية لمقابلة احتياجات المجتمع وحلّ مشكلاته.

كما تكمن أهمية الطرح كذلك مع التحوّل الكبير في مجال تكنولوجيا المعلومات والتي جعلت التواصل والتنسيق بين الجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية أسهل وأيسر.

كما أنّ دراسة المعوّقات التي تحول دون التشبيك بين الجمعيات والمنظمات غير الحكومية في محافظة بعلبك الهرمل بشكل خاص تساهم في تفاديها وتذليلها، خاصة وانّ الحاجة لخدمات الرعاية الاجتماعية في هذه المحافظة كبيرة جداً باعتبارها من المناطق المحرومة في لبنان.

إضافة إلى انّ تحديد متطلبات التشبيك يساهم إلى حدّ كبير في تشجيع هذه الجهات على العمل بالتشبيك مما يعزز ويطوّر دورها، ويزيد من فاعليتها في تقديم الخدمات.

## أهداف الدّراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

١. تحديد أهم المتطلبات اللازمة للجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية لبناء شبكات فعّالة في الاستجابة لاحتياجات الأسر المقيمة في محافظة بعلبك الهرمل.
٢. تحديد المعوّقات التي تحول دون بناء هذه الشبكات.

٣. التوصّل إلى عدد من المقترحات والتوصيات التي من شأنها مساعدة الجهات في القيام بعملية التشبيك الفعّال.

## الإشكاليّة:

تعتبر خدمات الرعاية الاجتماعية من الخدمات الرئيسية التي تهدف إلى تحسين المستوى المعيشي والصحي للناس، وإلى مساعدتهم على الاعتماد الذاتي والوقاية من الاعتماد على الآخرين، وتقوية العلاقات الأسرية والمحافظة بنجاح على قيام الأسر والأفراد والجماعات والمجتمعات بوظائفهم الاجتماعية (ابوالنصر، ٢٠٠٨ :ص ١٢٠-١٢١).

ولا بدّ لهذه الخدمات أن تكون ملائمة لجهة إمكانية الوصول إليها، أي مدى استطاعة المحتاجين إلى الخدمات للحصول عليها. حيث تتوقف استطاعة الناس على الاستفادة من الخدمات عندما تكون الخدمات الاجتماعية قريبة من المحتاجين لها، ومجانية أو أسعارها رمزية، وكذلك تتوقف على مدى توفّر الإمكانيات البشرية والمادية والتنظيمية للمؤسسات، وعلى وجود سياسات تُشعر ذوي الحاجة بأنهم مُرحّب بهم (الدخيل، ٢٠١٣: ص ١٤).

كذلك يجب أن تكون هذه الخدمات ملائمة لجهة كفايتها، أي أن تكون منسجمة مع واقع توزّع السكان وكثافتهم، ولجهة توزيعها أي توفّرها لجميع السكان بشكل متساوي ودون تمييز، وكذلك لجهة تلبيتها للحاجات أي ردم الفجوة بين ما هو ضروري ولازم لحياة الإنسان وراحته ورفاهيته وما يمكن تحقيقه بالفعل (الدلمي، ٢٠١٥: ص ٤٠). لذلك يجب أن يصل مستوى الخدمة في المجتمع المحلّي إلى المستوى المرغوب، وهذا المستوى غالباً ما يضعه الخبراء المهنيّون أو المكاتب الحكومية عبر عمليات التخطيط الاجتماعي (حمزة، ٢٠٢٠: ص ٢٦٧).

ومن العوامل الأساسية في تحقيق هذا المستوى المرغوب لتقديم الخدمات التشبيك بين الجهات المقدّمة لها، خاصة مع ازدياد الحاجة للخدمات وتنوّعها في المجتمعات المحلّية.

فمحافظة بعلبك الهرمل شأنها شأن مثيلاتها من المحافظات اللبنانية، تعاني من الأحوال الاقتصادية والمعيشية الصعبة، فبحسب تقرير القوى العاملة والأحوال المعيشية للأسر في لبنان، الصادر عن إدارة الإحصاء المركزي لعام ٢٠١٨ – ٢٠١٩، حوالي ٤١.٤٪ منهم دون خط الفقر وبشكل خاص في القرى النائية. كما تتراوح نسبة البطالة بين ١٥ و٦٠٪ بحسب المناطق (مجلس الإنماء والإعمار، ٢٠٠٥: ص ٣٧).

لذلك فإننا نطرح في هذه الدراسة الإشكالية الآتية:

ما هو مستوى تطبيق التشبيك بين الجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية في محافظة بعلبك الهرمل؟

كما نسعى إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما هي المعوّقات التي تحول دون تطبيق التشبيك بين الجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية؟
- ما هي أبرز المتطلبات العملية لتطبيق التشبيك؟

## الإجراءات المنهجيّة للدّراسة:

- **منهج الدراسة:**

اعتمدت الدراسة الحالية على المنهج العلمي باستخدام المنهج الاجتماعي الوصفي التحليلي ( Analyze Descriptive)، الذي يركّز على حاضر الظاهرة موضوع الدراسة (الخدمات الاجتماعية)، بهدف الوصول إلى بيانات ومعلومات يمكن تصنيفها وتفسيرها من أجل الاستفادة منها في التخطيط المستقبلي (سالم، ٢٠١٢ : ص ١١٠).

- **أدوات الدراسة:**

١. استمارة جمع بيانات خاصة بأعضاء مجالس الإدارة والمسؤولين في الجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية في محافظة بعلبك الهرمل.
٢. مقابلة مع المتخصصين في العمل الاجتماعي ومدراء دوائر مراكز الخدمات الانمائية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية في محافظة بعلبك الهرمل.

- **المجال المكاني للدراسة:**

يمثّل المجال المكاني للدراسة محافظة بعلبك الهرمل، وهي واحدة من ثماني محافظات في لبنان، تمّ إنشاؤها في ١٦ تموز ٢٠٠٣ (القانون ٥٢٢ في ٢٠٠٣/٠٧/١٦)، وتتوزع بحسب الأقضية على الشكل

الآتي: قضاء بعلبك ٥٨ بلدية من مجموع ١٠٢ قرية، وقضاء الهرمل ٥ بلديات من مجموع ١٤ قرية. ويبلغ تعداد سكان المحافظة ٣٥٠٠٠٠ نسمة وتعتبر بعلبك المدينة هي مركز المحافظة (UNHCR, 2017) .

- **المجال الزماني للدراسة:**

وهي الفترة التي أجريت فيها الدراسة بشقيها النظري والميداني، والتي بدأ العمل بها منذ شهر تشرين أول ٢٠٢٣ حتى نهاية شهر آذار ٢٠٢٤.

## أولًا: الإطار النّظري للدّراسة:

### خدمات الرعاية الاجتماعية:

### ١.١. ماهية الرعاية الاجتماعية وأهدافها:

تعرّف الرعاية الاجتماعية Social Welfare بأنّها نسق منظّم من الخدمات والمؤسسات، يرمي إلى مساعدة الأفراد والجماعات للوصول إلى مستويات ملائمة للمعيشة والصحة، كما يهدف إلى قيام علاقات اجتماعية سوية بين الأفراد بتنمية قدراتهم وتحسين الحياة الانسانية بما يتّفق مع حاجات المجتمع (حمزة، السياسة الاجتماعية، ٢٠١٥: ص ١٨).

وعليه فإنّ الرعاية الاجتماعية هي جهود بشرية تهدف إلى معالجة الأمراض الاجتماعية وغزالة العقبات التي تعترض نمو الأفراد والجماعات، وتساعدهم على التكيّف والاندماج في بيئاتهم الاجتماعية. كما تعالج جوانب الضعف والقصور والإعاقة، وتفعّل الأفراد والجماعات التي تعاني من ذلك، فتحوّلهم إلى منتجين في المجتمع.

إضافة إلى ذلك فإنّها تمثّل قيمة أخلاقية في ذاتها، فهي استحدثت وجودها من القيم الروحية والانسانية التي تدعو إلى مساعدة الإنسان لأخيه الانسان.

وتتصّف جهود الرعاية الاجتماعية بالتخطيط والتنظيم والشمول، وترتبط بإمكانيات المجتمع واخلاقياته ونُظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية.

وللرعاية الاجتماعية أهداف وقائية وعلاجية وتنموية يمكن تحديدها على الشكل الآتي:

**١.٢. خدمات الرعاية الاجتماعية ونماذجها:**

تعتبر خدمات الرعاية الاجتماعية من الخدمات الرئيسية التي تهدف إلى تحسين المستوى المعيشي والصحي للناس، وإلى مساعدتهم على الاعتماد الذاتي والوقاية من الاعتماد على الآخرين، وتقوية العلاقات الأسرية والمحافظة بنجاح على قيام الأسر والأفراد والجماعات والمجتمعات بوظائفهم الاجتماعية. وهناك تصنيفات عديدة لها: (ابوالنصر، ٢٠٠٨: ص ١٢٠-١٢١):

- التصنيف الأول بحسب أهدافها فتشمل:

- خدمات التنشئة الاجتماعية، والمقصود بها الخدمات التي تُقدّم لمساعدة مؤسسات التنشئة الاجتماعية مثل الأسرة والمدرسة والإعلام، وتخطيط الأسرة ونظام الأسرة البديلة.
- خدمات الضبط الاجتماعي Contrôle social، أي ضبط سلوك بعض الفئات التي تمثّل سلوكياتهم تهديداً لأمن وسلامة المجتمع، ومن أمثلة هذه الخدمات تلك الموجهة إلى المدمنين والمساجين والأحداث وأطفال الشوارع.
- خدمات إنمائية، أي الخدمات التي توفر الموارد والفرص والخبرات لتنمية قدرات وموارد ومهارات الأفراد مثل برامج التدريب المهني للشباب والنساء ومحو الأمية وغيرها...

- التصنيف الثاني: ويتضمن الخدمات الاجتماعية بحسب مجالات تقديمها، كالخدمات في مجال رعاية الطفولة، وفي مجال رعاية المسنين، ورعاية الأسرة، ورعاية الأحداث، وذوي الاحتياجات الخاصة، والتنمية الاجتماعية.

**١.٣. الجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية:**

يتم تقديم خدمات الرعاية الاجتماعية من قبل:

**أ- المؤسسات الحكومية:**

هي المؤسسات التي تنشئها الدولة وتتولّى مسؤولية تمويلها والإشراف عليها من امثلتها مكاتب الضمان الاجتماعي، مراكز الخدمات الرعائية... (النصر م.، ٢٠١٧: ص ٨٨).

وفي لبنان تقدّم وزارة الشؤون الاجتماعية الرعاية الأسرية من خلال مراكز الخدمات الإنمائية، والتي تتولى تحقيق أهداف وزارة الشؤون الاجتماعية في جميع الحقول الرعائية والخدماتية والتنموية حيث اعتبرت بمثابة الذراع العملية للوزارة في تنفيذ سياساتها (وزارة الشؤون الاجتماعية، ٢٠٢٠).

كما تشمل خدماتها الرعائية الفئات الآتية:

الخدمات الاجتماعية في وزارة الشؤون الاجتماعية:

١. الأطفال
٢. الحالات الاجتماعية العادية.
٣. التدريب والتعليم المهني.
٤. فئة الأيتام والأطفال الرضع مجهولي الأبوين والأطفال ذوي الحالات الاجتماعية الطارئة.
٢. المرأة

تعمل الوزارة على تخطيط برامج متعلقة بقضايا المرأة وتنفيذها (العنف ضد المرأة، المشاركة السياسية للمرأة، التمكين الاقتصادي والاجتماعي للنساء ذوات الحالات الاجتماعية الصعبة كالناجيات من العنف، السجينات،...).

٣. كبار السن.
٤. الأحداث المعرّضون للخطر.
٥. مساجين، مدمنين، مشرّدين.
٦. ذوي الاحتياجات الخاصة.

**ب- منظّمات ومؤسسات المجتمع المدني:**

هي المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها في استقلال عن سلطة الدولة، لتحقيق أغراض متعدّدة، ومنها أغراض للإسهام في العمل الاجتماعي لتحقيق التنمية (المجيد، ٢٠١٥: ص ٢٧). وتشمل الأحزاب السياسية والجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية.

- **التشبيك بين الجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية:**

**٢.١. تعريف التشبيك وأهدافه:**

تنتمي كلمة "الشبكات" تقليدياً إلى علم الهندسة الالكترونية للدلالة على "منظومة اتصالية" تربط بين مجموعة من الأطراف عن طريق وسائل الكترونية، إلا انّه قد تمّ استعمالها مؤخراً في مجال العمل التنموي للإشارة

إلى الكيانات التي تقوم لتحقيق الاتصال بين مجموعات من المنظّمات العاملة في هذا المجال للتنسيق وتعبئة الجهود (النّجار، ٢٠٠٥: ص٧).

يعرّف التشبيك على أنّه التخطيط لتعاون منظّم بين طرفين او اكثر من منظّمات المجتمع المدني أو أفراد مهتمين بهذا القطاع بهدف تبادل الخبرات والمعلومات والعمل المشترك في خدمة وتنمية المجتمع (العزيز، ٢٠٠٥: ص ٧٤٥). والتشبيك هو تلك العملية الحيوية والمستمرّة والتي تستلزم مجموعة من الأنشطة والممارسات الدائمة والمتجدّدة مثل تبادل المعلومات، والتعاون المستمر والذي يشجع على تدعيم الجمعيات الأعضاء وإستقلاليتها، وليس الاعتماد على هيكل الشبكة وأعضائها الكبار (النصر،٢٠٠٧ : ص ٥).

يكون التشبيك تنفيذياً في حال عمل على تقديم الرعاية وايصال الخدمات مباشرة إلى المستفيدين، ويتطلّب ذلك آليات عمل تمكنّه من الوصول إلى الفئات الأكثر حاجة بنوعية جيدة وأقل كلفة ممكنة.

ويرتبط معنى التشبيك بمفهومين مختلفين هما:

١. نشاط أو عملية، وهو ما يضفي على التشبيك أهمية أكبر من الشبكة في حدّ ذاتها.

٢. نتاج او مخرجات النشاط التنسيقي.

ويعتبر التشبيك أحد مصادر التغيير في المجتمعات لأنها تسعى إلى:

- تبادل المنافع والمشاركة بين أعضائه وإقامة مصلحة مشتركة فيما بينها.
- زيادة قدرات الأعضاء في تقديم خدمات او إقامة مشروعات فيما بينها.
- تبادل المعلومات والمعرفة والخبرات مما يحسّن جودة الخدمات المقدّمة.
- المشاركة في تقدير احتياجات المجتمع المحلّي كل جهة بحسب مجال عملها والفئة التي تستهدفها، مما يجعل الخدمات أكثر ملاءمة للاحتياجات.
- تفادي تكرار بعض الخدمات على حساب خدمات أخرى والالتفات إلى ما يلبي الاحتياجات الواقعية.
- تفادي الحواجز الجغرافية التي تمنع وصول طالبي الخدمة لها.

- وضع آليات مشتركة في صنع القرار والقيام بالدور الدفاعي في القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يهتم بها أعضاء الشبكة.

وبالتالي أهداف التشبيك هي:

٥. تحسين عملية التبادل للمعلومات بين المنظّمات.
٦. تبادل الموارد.
٧. العمل كجماعات ضغط لزيادة الوعي العام بقضايا محدّدة.
٨. التأثير على السياسات العامة.

وقد يتم التشبيك لتحقيق واحد او أكثر من هذه الأهداف وليس بالضرورة تحقيقها كلّها مجتمعة.

وهناك العديد من العوامل التي أدّت إلى انتشار الشبكات:

١. تراجع دور الحكومات في بعض المجالات وتعاظم دور المنظمات غير الحكومية في تحقيق التنمية المجتمعية.

٢. الاتجاه نحو بناء قدرات المنظّمات التطوعية.

٣. تدفّق المعلومات وإمكانية تبادل الخبرات في عصر ثورة الاتصالات مما يسهل عملية بناء الشبكات.

اتجاه المنظّمات غير الحكومية نحو التأثير في السياسات العامة للدولة (سلامة، ٢٠٠٨ : ص ٣٩٠).

**٢.٢. مراحل التشبيك وأطره:**

هناك عدّة اشكال من التشبيك بين المنظمات غير الحكومية والجمعيات الأهلية، منه ما هو جغرافي ومنه ما هو نوعي.

التشبيك الجغرافي يكون:

- وطنيًا: في الغالب استجابة لتحدّيات ضاغطة.
- إقليميًا: ويتشكل بطريقة فرادية وانتقائية، ليعبّر عن رؤية مشتركة ومهمة واضحة ومصالح وأهداف إقليمية مشتركة.

- دوليًا: وهي النماذج التي انتشرت خلال العقد الأخير من القرن الماضي استجابة للتحديات التي فرضها المسار الذي اتخذته العولمة، حيث تنامى دور المؤسسات الدولية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية.

أما التشبيك النوعي فيكون إمّا شاملًا أو قطاعيًا، ففي حين يأتي الأول عامًّا وتنضوي فيه مؤسسات ذوات خبرات متعدّدة الاختصاصات، ومتنوّعة في ميادين العمل، يركّز الثاني على ميدان أو قطاع واحد: كالصحة والتربية أو قضايا المرأة والشباب أو مجال الاحتياجات الخاصة أو الدفاع عن حقوق الانسان. وتنضوي في التنسيق أو التشبيك القطاعي المؤسسات المتخصصة في مجال محدّد أو استجابة لتحدٍّ في مجال معيّن.

ومن ناحية المدّة الزمنية، يمكن أن يكون التشبيك دائمًا (طويل المد)، فينشأ لتحقيق أهداف طويلة الأمد تستلزم العمل لفترات زمنية طويلة، وفي هذه الحالة قد يتطوّر التنسيق مع تراكم التجارب والخبرات، ونمو الوعي المشترك فيتحوّل من مجرّد إطار للتنسيق وتبادل الخبرات إلى تحالف دائم ذات مصالح مشتركة واسعة.

أو أن يكون التشبيك آنيًا، فينشأ لتحقيق أهداف آنية محدّدة، ينفرط عقده مع تحقيق الأهداف، أو ينتقل لتحقيق أهداف أخرى في مرحلة متقدّمة (شبكة المنظمات العربية، ٢٠١٥ : ص ١١).

أمّا أطر التشبيك فهي:

١. الاتّحادات: وهي أطر تتشكل من خلال انضمام كافة الجمعيات إليها شرطًا للحصول على الترخيص، ويمكن للاتحاد أن ينشأ تحت ضغط الحاجة إلى مواجهة تحديات محدّدة لدى الجمعيات، فتتحد لتحقيق أهدافها المشتركة.

٢. المظلّة: وهي إطار للتنسيق لا يأخذ شكل الاتحاد، ولكنه أوسع من أن يكون شبكة من حيث الاختلاف في الرؤية والتنوّع في الأهداف. ولا يمكن أن تشكل المظلّة إطارًا فاعلًا، غير أنها مساحة لتبادل المعلومات والخبرات. ويمكن أن تكون المظلة إطارًا انتقاليًا من الاتحاد إلى الشبكة.

٣. الشبكة: تتكوّن الشبكات من أطر مرنة ذات عضوية محدّدة بشروط نوعية وكيفية. تتميّز بالرؤية والمبادئ العامة المشتركة التي توحّد أعضاءها، وكذلك بالأهداف وآليات العمل. وتكون أكثر فاعلية وتأثيرًا، كما يتم العمل فيها على رفع درجات الوعي لدى أعضائها في مجال عملهم.

كذلك من أطر التشبيك المنبر واللقاء والمنتدى وهي أطر آنية ومحددة، لا حاجة فيها إلى رؤية ومهمة موحدتين، إنمّا يجمع الجمعيات والمنظمات المنضوية تحتها المصلحة المشتركة في تحقيق هدف محدّد.

ومهما كانت أطر التشبيك، لا بدّ أن يتحلّى التشبيك بمرونة عالية في الهيكلية التنظيمية، إذ يجب أن يحافظ على:

١. استقلالية المنظّمات الأعضاء وتنوّعها.

٢. مبادئ العمل المشترك والتعاون والتنسيق.

٣. أن لا يلغي الفاعلية في التنفيذ والتأثير في السياسات العامة (شبكة المنظمات العربية، ٢٠١٥: ص ٨).

**٢.٣. مراحل تكوين الشبكات وشروط نجاحها:**

مراحل تكوين الشبكات أربعة:

- المرحلة الأولى: مرحلة التعبئة، وتتم هذه المرحلة من خلال دراسة مدى الحاجة والاستعداد لبناء الشبكة، وتوضيح التوزيع الجغرافي للمنظّمات والشبكات، والخدمات المتاحة، ومن خلال الحصول على دعم الجهات المانحة والشريكة لبناء الشبكة.
- المرحلة الثانية: بناء الأسس، تعتبر هذه المرحلة عصب بناء الشبكة، فبناءً على الأنشطة المتضمّنة في هذه المرحلة، تنتقل الشبكة من الإعداد إلى العمل الفعلي، حيث تقوم المنظمات غير الحكومية الأعضاء بوضع أساس فعّال للشبكة خلال هذه المرحلة.
- المرحلة الثالثة: التطوير المستمر، يستمر الأعضاء خلال هذه المرحلة في التخطيط والتنسيق وتنفيذ الأنشطة معاً، ومشاركة الموارد والمعلومات والدروس المستفادة. كما يتم عقد اجتماع جمعية عمومية سنوية للشبكة لمراجعة الإنجازات.
- المرحلة الرابعة: استمرارية الشبكة، وهي مرحلة مستمرة بعد تأسيس الشبكة وتنفيذ البرامج، ويجب اتخاذ قرارات بشأن الخطط طويلة المدى لاستمرارية الشبكة. وتنظيم موضوع القيادة والمسؤولية داخل الشبكة (النّجار، ٢٠٠٥: ص ٢٩).

**أمّا شروط نجاح التشبيك:**

لكي ينجح التشبيك في تحقيق أهدافه، لا بدّ من توفر عدد من الشروط أهمها:

١. الرغبة والاستعداد لدى الجمعيات للاشتراك في الشبكة.
٢. العمل معًا بشكل فريق عمل جماعي.
٣. الشفافية.
٤. التدفق السهل للمعلومات فيما بينهم.
٥. عدم قيام جمعية أو أكثر بالسيطرة على الشبكة.
٦. التحديد الواضح والمكتوب للأدوار والمسؤوليات والحقوق والواجبات لكل جمعية.
٧. حق الشبكة في محاسبة الجمعيات الأعضاء عند الخروج عن المتفق عليه.
٨. وجود ثقة متبادلة بين الجمعيات الأعضاء (النصر، ٢٠٠٧ : ص ٨).

- **مستويات التشبيك:**

تتفاوت مستويات التشبيك بين الجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية من حيث عمقها ومدى مشاركة كل جهة فيها. وعادة ما يتم تحديد مستوى التشبيك بحسب أهدافه.

١. مستوى التبادل:

وتهدف الشبكات في هذا المستوى إلى تبادل المعلومات والخبرات وتطوير قدرات وإمكانيات ومصادر المنظّمات الأعضاء في الشبكة على الصعيدين الإداري والمؤسساتي والبرنامجي والمهني، وقد يشمل المشاركة في الفعاليات المشتركة أو حضور الندوات والنقاشات، ولا يتطلّب التزامات متبادلاً أو تعاوناً وثيقاً.

٢. مستوى التنسيق:

تهدف الشبكات في هذا المستوى إلى تطوير وتعزيز وتنسيق العلاقة بين مختلف الجهات في مشاريع محدّدة أو حملات توعوية. وقد تتطلّب الاتفاق على خطط عمل مشتركة وتقسيم المهام، ولكن مع الحفاظ على استقلالية كل منظّمة.

٣. مستوى التضامن والتعاون:

الهدف في هذا المستوى تحقيق وتعزيز التضامن والتعاون مع المنظمات التي تتعرّض لازمات وصعوبات ومشاكل، كما تتعاون لتحقيق اهداف مشتركة، كما يشمل هذا المستوى تبادل الموارد البشرية أو المالية او الفنية. كما تتطلّب التزاماً من جميع الأطراف وتنسيقاً مستمراً.

٤. مستوى الشراكة:

وهنا يكون الهدف تحالفاً استراتيجياً بين الجهات المقدّمة للخدمات على المدى الطويل، مما يتطلّب توحيد الرؤى والأهداف ودمج بعض العمليات، مما يمكن الشبكات من مواكبة التطوّر والمتغيّرات في المجتمع والتفاعل بقوة مع المستجدّات.

٥. مستوى الاندماج:

ويتم ضمن هذا المستوى دمج كامل للمنظّمات في كيان واحد جديدن قد يفقد المنظمات الأصلية هويتها واستقلاليتها، ويهذا المستوى نادر، ويستخدم عندما يكون التعاون الوثيق ضروريًا لتحقيق اهداف مشتركة (شبكة المنظمات العربية، ٢٠١٥: ص ٦).

من المهم الإشارة إلى انّه ليس هناك مستوى مثالي للتشبيك، حيث يعتمد أفضل مستوى على احتياجات المجتمع المحلي واحتياجات ونقاط القوة لكل منظمة، لذلك يجب أن تكون عملية التشبيك مرنة تتطوّر مع مرور الوقت لتلبية الاحتياجات المتغيّرة والمستجدّة.

## - ثانيًا: الإطار الميداني للدراسة:

### خدمات الرعاية الاجتماعية في محافظة بعلبك الهرمل:

### الخدمات الرسمية التي تقدّمها الوزارات في محافظة بعلبك الهرمل:

وهي الخدمات التي تؤمنها وزارتي الشؤون الاجتماعية ووزارة الصحة العامة، من خلال مراكزها المنتشرة في المحافظة.

### ١.١. مراكز الخدمات الانمائية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية:

ويبلغ عدد مراكز الخدمات الانمائية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية ١٧ مركزاً، ١٣ منها أساسي و ٤ مراكز فرعية.

وهناك تفاوت كبير في توزّع مراكز الخدمات الإنمائية والفرعية ليس فقط بين المحافظات كذلك بين الأقضية، ففي قضاء الهرمل نجد مركزين تابعين للوزارة، في حين هناك ١٥ مركزاً في قضاء بعلبك.

أمّا بالنسبة لعدد الجمعيات والمؤسسات المتعاقدة مع الوزارة في محافظة بعلبك الهرمل فيبلغ ٨ مؤسسات فقط، وهي نسبة ضئيلة جدًا إذا ما قارنّاها مع المحافظات الأخرى بحسب الرسم البياني الآتي:

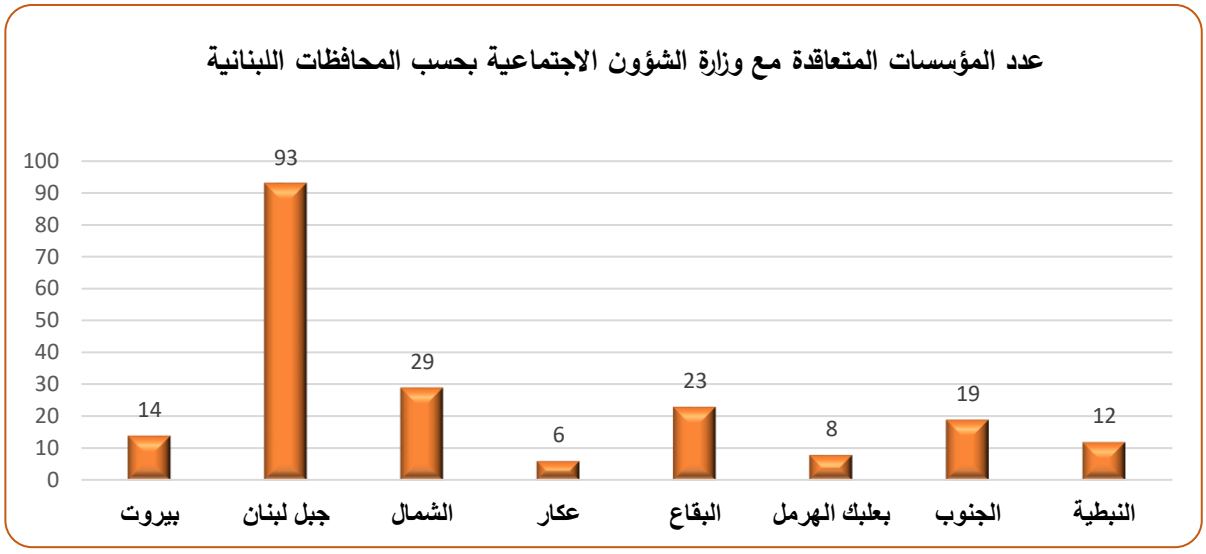


**رسم بياني ١: عدد المؤسسات المتعاقدة مع وزارة الشؤون الاجتماعية في المحافظات اللبنانية**

**المصدر: الدراسة التطبيقية في بحث السياسة العامة لوزارة الشؤون الاجتماعية بين تعزيز مراكز الوزارة والتعاقد مع الجمعيات غير الحكومية، الجزء الثاني ٢٠١٩**

### ١. ٢. خدمات الرعاية الصحية الأوّلية التابعة لوزارة الصحة العامة:

تشمل الرعاية الصحية الأولية الاحتياجات الصحية الأساسية للفرد والمجتمع وتتراوح بين التوعية والوقاية وصولاً إلى العلاج. وتقوم على توفير مجموعة من الخدمات الصحية الأساسية لجميع أفراد الأسرة بجودة عالية وتكلفة رمزية.

وخدمات هذه المراكز هي التالية: الأدوية الأساسية، الأمراض الانتقالية، تحصين الأطفال، الصحة الانجابية، التغذية السليمة، الصحة البيئية، الأمراض غير الانتقالية، التوعية الصحية.

وتعمل دائرة للرعاية الصحية الأولية في وزارة الصحة العامة من خلال فريق عمل في كافة الأقضية والمحافظات ومن خلال شبكة وطنية لمراكز الرعاية الصحية الأولية، بالتعاون مع شركاء محليين ودوليين.

وبحسب موقع وزارة الصحة العامة، دائرة الرعاية الصحية للعام ٢٠٢٢، وبالمقارنة مع باقي المحافظات نجد أن أعداد مراكز الرعاية الصحية الأوّلية في بيروت تصل إلى ١٣ مركزاً، وفي محافظة جبل لبنان ٥٨ مركزاً، أما في محافظة بعلبك الهرمل كمحافظة عكار ينخفض عدد المراكز إلى ١٩ مركزاً، حيث العدد الأدنى من مراكز الرعاية الصحية الأولية، وهذا يعكس صورة التفاوت بين إنماء المراكز والأطراف.

- **خدمات المنظمات غير الحكومية والجمعيات الأهلية:**

تقدّم حوالي ١٣٣ منظمة غير حكومية وجمعية أهلية خدمات الرعاية الاجتماعية في محافظة بعلبك الهرمل، وللتعرّف على هذه خدمات وأطر التشبيك بينها، تمّ تعبئة ٥٥ استبيان، وهي موزّعة على الشكل الآتي: ٣٠ جمعية أهلية و ٢٥ منظمة غير حكومية.

تمّت تعبئة هذا الاستبيان مع مدراء الجمعيات الأهلية والعاملين في الاقسام الاجتماعية في المنظمات غير الحكومية. وترجع مبررات اختيار هذه الجمعيات كعيّنة للدراسة للأسباب الآتية:

١. موقعها الجغرافي في محافظة بعلبك الهرمل وتعدّ هذه الجهات رائدة في تقديم خدمات الرعاية الاجتماعية وتخدم فئات مختلفة من الأسر المقيمة في المحافظة.
٢. مضى على انشائها أكثر من عشر سنوات، خاصة مع ارتفاع عدد الجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية عام ٢٠١١ في لبنان بسبب الزمات المتتالية.
٣. تنوّع الخدمات التي تقدّمها، وتنوّع الفئات المستفيدة منها.
٤. إبداء المعنيين فيها الاستعداد للتعاون على إجراء هذه الدراسة وتعبئة الاستمارة.

### ٢.١. نوع الخدمات المقدّمة من قبل الجمعيات والمنظمات

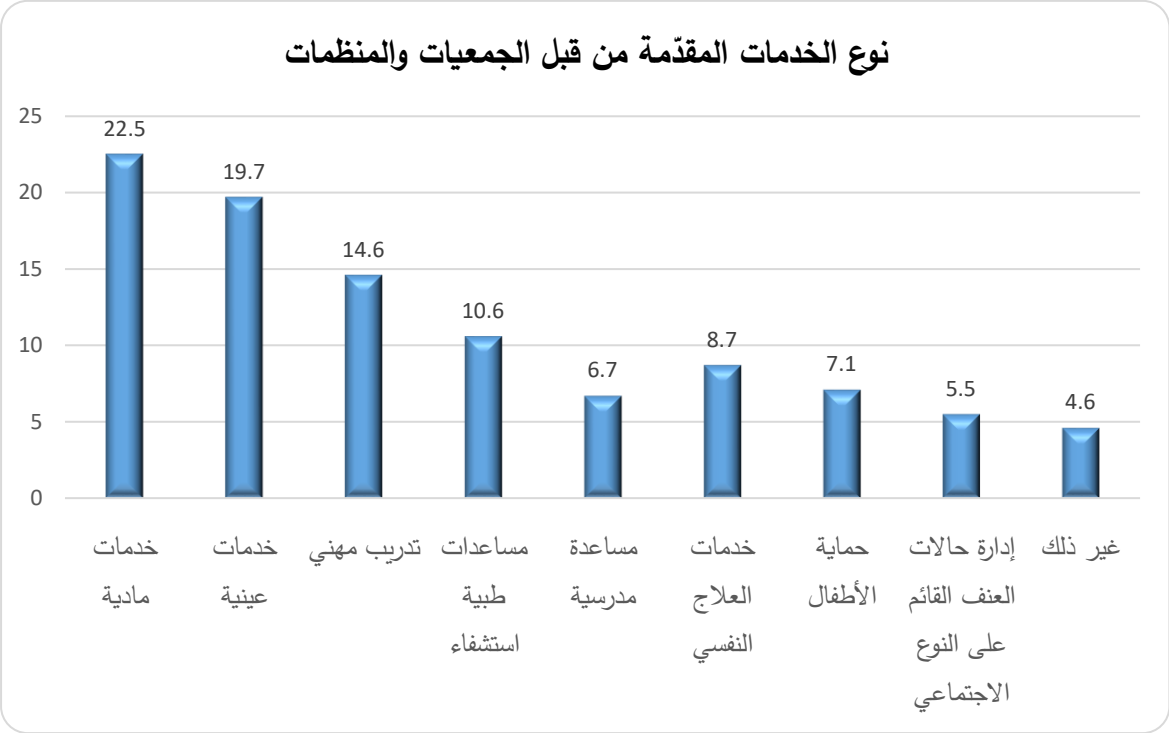


**رسم بياني ٢: نوع الخدمات المقدّمة من قبل الجمعيات الأهلية والمنظّمات غير الحكومية**

ويبيّن لنا الرسم البياني رقم (٢) أنّ أعلى نسبة من الخدمات التي تقدّمها الجمعيات والمنظمات في المحافظة هي خدمات مادية وخدمات عينية (٤٢.٢٪)، تليها خدمة التدريب المهني (١٤.٦٪)، ثمّ خدمات صحية واستشفائية (١٠.٦٪) وخدمات العلاج النفسي (٨.٧٪)، أما الخدمات الأخرى فمتوفرة ولكن بنسب ضئيلة.

### ٢.٢. الكلفة المادّية للخدمات:

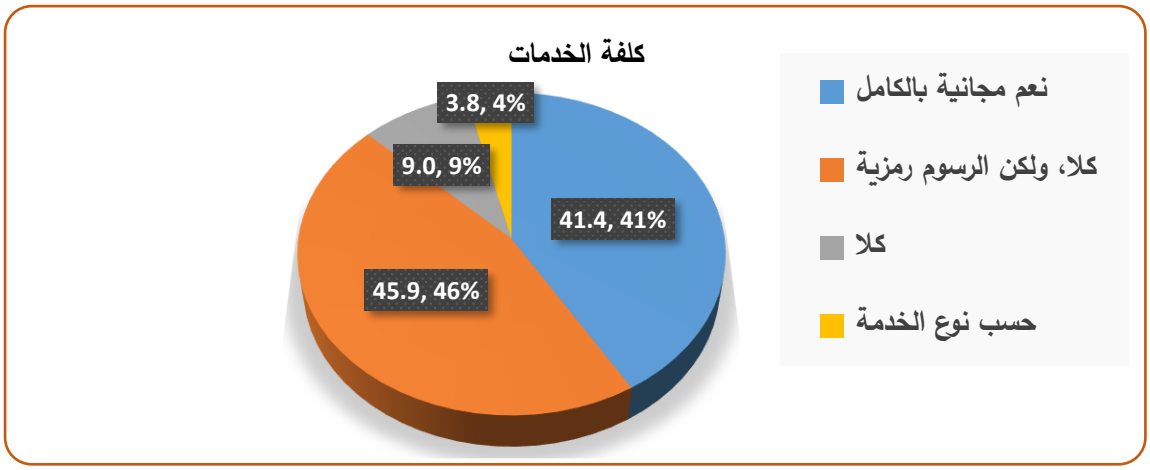


**مخطط دائري ١: الكلفة المادّية للخدمات**

حوالي ٤١٪ من الخدمات التي تقدّمها الجمعيات والمنظمات مجانية بالكامل، و٤٦٪ غير مجانية ولكن البدل المادي المطلوب رمزي، وهناك بعض الجهات خدماتها مدفوعة، وجهات تختلف تكلفة الخدمة لديها بحسب نوعها.

### ٢.٣. الهدف من تقديم الخدمات:

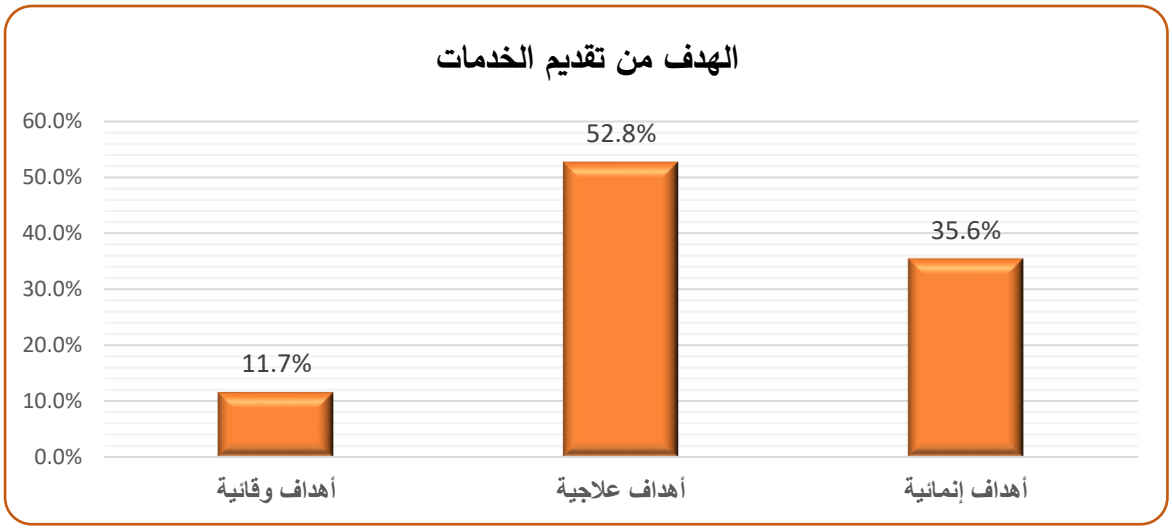


**رسم بياني ٣: الهدف من تقديم الخدمات**

يبيّن لنا الرسم البياني رقم ٣ أنّ معظم الخدمات التي تقدّمها الجهات هي علاجية، وهي بمعظمها كما تبيّن لنا من نوع الخدمة في الجدول رقم ٩ مساعدات عينية ومادية كاستجابة لمشكلة الفقر، نسبة الأهداف الإنمائية ٣٥.٦٪ وهي أبرزها ضمن خدمات التأهيل المهني والتمكين الاقتصادي، وتنخفض نسبة الأهداف الوقائية إلى حوالي ١٢٪.

### ٢.٤. صعوبات العمل:

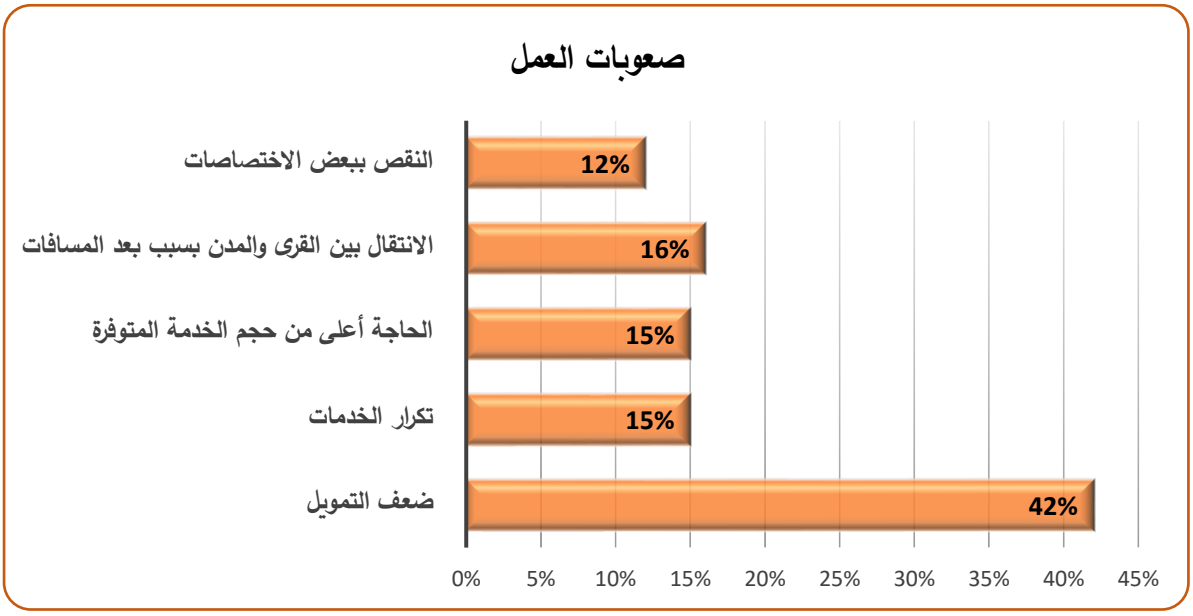


**رسم بياني ٤ : صعوبات العمل التي تواجهها الجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية**

معظم الجهات تواجه صعوبة في التمويل، نتيجة الظروف المختلفة التي مرّ بها لبنان، كذلك ذكر ١٥٪ تكرار الخدمات، أي أن هناك خدمات متوفرة بكثرة وهناك خدمات أخرى تكاد تكون معدومة في المحافظة.

كما أشار ١٢٪ إلى موضوع النقص في التخصصات لأداء بعض المشاريع التي تحتاج إلى اختصاصات محدّدة.

## ٣. التشبيك بين الجهات المقدّمة للخدمات الاجتماعية في محافظة بعلبك الهرمل من وجهة نظر الجمعيات والمنظمات غير الحكومية:

### ٣.١. واقع التشبيك:

**جدول رقم ١: واقع التشبيك من وجهة نظر مقدّمي خدمات الرعاية الاجتماعية**

| ما هو واقع التشبيك بين الجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية | نعم | إلى حدّ ما | كلا | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| نعتمد التشبيك من خلال الإحالة إلى الجهات الأخرى | 72 | 20 | 8 | 100 |
| نقوم باجتماعات تنسيقية فيما بيننا | 8 | 25 | 67 | 100 |
| تنظيم مؤتمرات مشتركة | 10 | 25 | 65 | 100 |
| تنظيم شبكة اتصال بين الجهات | 9 | 5 | 86 | 100 |
| الاشتراك بدورات تدريبية مع الجهات الأخرى | 65 | 20 | 15 | 100 |
| إصدار كتيبات وبروشيرات مشتركة | 10 | 25 | 65 | 100 |
| تبادل المعلومات حول الاحتياجات الآنية في المجتمع المحلي | 18 | 11 | 71 | 100 |
| التشبيك ضعيف ولكن نحاول تفعيله | 80 | 14 | 6 | 100 |

### ٣.٢. معوّقات التشبيك:

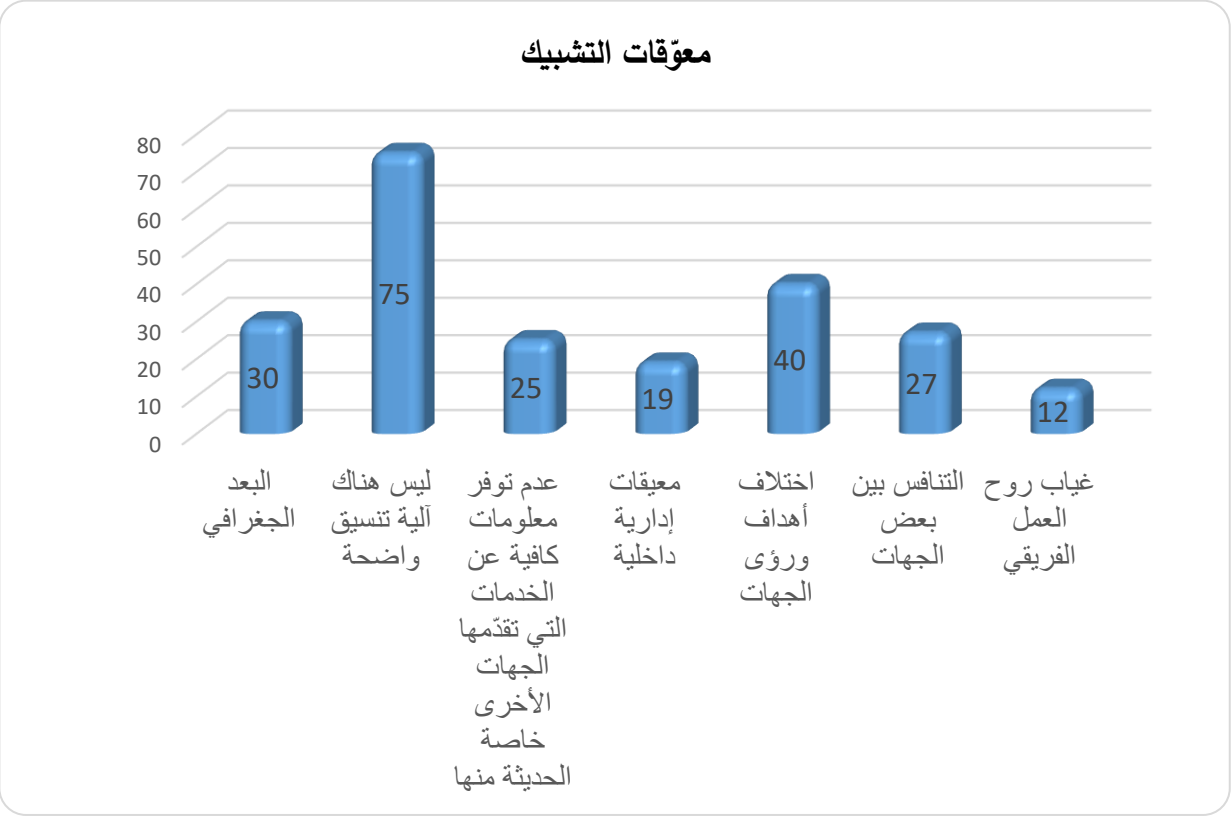


**رسم بياني ٤: معوّقات التشبيك من وجهة نظر الجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية**

### ٣.٣. متطلبات التشبيك:

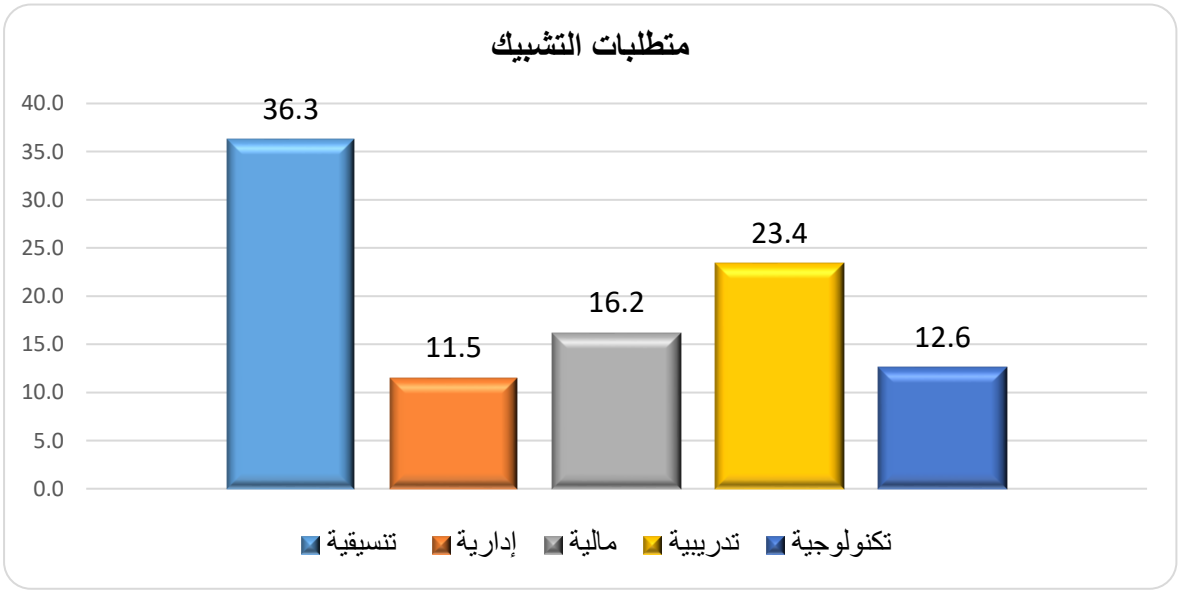


**رسم بياني ٥: متطلبات التشبيك بين الجهات**

**جدول ١: متطلّبات التشبيك بين الجهات**

| | | الإجابات | |
|---|---|---|---|
| | | العدد | النسبة |
| متطلبات التشبيك[a] | ايجاد آلية واضحة للتنسيق بين الجهات | 32 | 20.8% |
| | الاستعانة بجهات خارجة عن الجهات لتفعيل التشبيك (اتحادات البلديات، المحافظ، الخبراء الاجتماعيين..) | 18 | 11.7% |
| | تأمين التمويل اللازم | 25 | 16.2% |
| | التخصصية في الخدمات منعاً للازدواجية | 24 | 15.6% |
| | تدريب الجهات على أهمية التشبيك وكيفيته | 36 | 23.4% |
| | الاستفادة من التكنولوجيا لتسهيل التواصل بين الجهات | 19 | 12.3% |
| **المجموع** | | 154 | 100.0% |

## ٤. التشبيك بين الجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية في محافظة بعلبك الهرمل من وجهة نظر المتخصصين في العمل الاجتماعي والمعنيين بمراكز الخدمات الانمائية

تمّ إجراء ١٤ مقابلة مع العاملين الاجتماعيين، ومقابلتان مع المعنيين بمراكز الخدمات الانمائية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية.

وقد تمّ اختيار العاملين الاجتماعيين ضمن المعايير التالية:

- أن يكون عاملاً ضمن جمعية او منظمة مركزها محافظة بعلبك الهرمل.
- مجالات عملهم الرعائية متنوعة.
- تمّ احتساب العدد بعد تقسيم المحافظة إلى مربعات جغرافية كي نغطي كافة المناطق في المحافظة.

### ٤.١. التشبيك بين وزارة الشؤون الاجتماعية والجهات المقدّمة لخدمات الرعاية الاجتماعية في محافظة بعلبك الهرمل

تتنوع العقود التي تعقدها وزارة الشؤون الاجتماعية مع مجموعة مختلفة من الجمعيات غير الحكومية، وذلك بحسب الخدمة المقدّمة، فهناك عقود الرعاية الاجتماعية والعقود المشتركة.

تشمل عقود الرعاية الاجتماعية عدّة انواع من الخدمات:

- ايواء وتعليم الأيتام.
- ايواء الحالات الاجتماعية.
- ايواء ورعاية الأطفال الرّضع.
- ايواء المسنين.

أمّا عقود المشاركة فوزارة الشؤون الاجتماعية متعاقدة مع جمعيات غير حكومية، بأغلبها جمعيات أهلية وهيئات دينية لتنفيذ مشاريع اجتماعية مشتركة بين الوزارة والجمعية المعيّنة.

### ٤.٢. التشبيك ومعوّقات ومتطلباته في محافظة بعلبك الهرمل

**واقع التشبيك في محافظة بعلبك الهرمل:**

**التشبيك موجود ولكن ضعيف**

- لم يعد هناك تلك الصورة النمطية السابقة بأنّ كل جهة تعمل لوحدها بمعزل عن الجهات الأخرى.
- هناك لجان مشتركة بين الجهات وآليات محددة للتنسيق ولكنها لم ترقَ كي تكون عمليات تشبيك.

**التشبيك الموجود هو عبارة عن تعاون بين الجهات، حيث تغيب جوانب أساسية ومحورية للتشبيك لا يستفاد منها**

- التشبيك بشكل أساسي يتم من خلال نظام الإحالة خاصة أنّ هناك محدودية في القدرة الاستيعابية لكل جمعية ومنظمة.
- هناك ضعف شديد في موضوع التشبيك من جهة المناصرة والمدافعة حول قضية محددة.
- التشبيك يحصل لخدمة برامج محدودة ولكن ليس لوضع رؤية.

**يختلف التشبيك بحسب نوع الجهة المقدّمة للخدمات**

- المنظمات الدولية الحاكم على التشبيك بينها القيم الواحدة تقارب قيمي كبير وحريصين إنجاح خطوات بعضهم البعض الجهات الممولة حريصة على التشبيك.
- هناك جمعيات لا تزال تتجنب التشبيك وبشكل خاص الجمعيات ذات الطابع الديني، حيث يوجد تشبيك فيما بينها فقط من خلال لجنة تنسيق بين الجمعيات وتدير هذه اللجنة المرجعية الدينية لهذه الجمعيات.

**الآلية المتّبعة للبدء بعملية التشبيك غير رسمية**

- عملية التشبيك غالباً ما تبدأ من خلال علاقات فردية نتيجة معرفة شخصية وليس بطريقة رسمية لديها أهدافها الواضحة.

**يتأثر التشبيك بعوامل داخلية وخارجية لدى الجهات**

- الجهات التي يعمل فيها شخص متخصص بالعمل الاجتماعي تقوم بخطوات للتشبيك أكثر من الجهات الأخرى.
- التشبيك زاد كثيراً خلال الأزمات (أزمة كورونا والأزمة الاقتصادية) بسبب ازدياد الحاجات في المجتمع المحلي.

**معوّقات التشبيك في محافظة بعلبك الهرمل:**

- المخاطر الأمنية في بعض المناطق في المحافظة والتي قد تحول دون قيام شبكات واسعة.

**عدم الثقة أو ضعفها بين الجهات المقدّمة للخدمات**

- الجهات العريقة في المجتمع وذات المصداقية تتجنب التشبيك مع الجهات الأخرى خوفاً على مصداقيتها، خاصة الجهات حديثة العهد.

**عدم الفهم الصحيح من قبل للجهات لمعنى التشبيك ومزاياه**

- بعض الجهات يخشون منه لأنهم يعتبرونه يعيق تحقيق الأجندة الخاصة بهم.
- التبادل للمعلومات الذي تقوم به الجمعيات متعلّق فقط بنوع الخدمات المقدّمة وليس بنوع الحاجات للعمل على تقديرها بطريقة مشتركة.

**ضعف التنسيق والذي إن كان موجوداً فهو غير فاعل لعدم الفهم الصحيح لأطر التنسيق الفعّالة**

- يوجد الكثير من المشاريع المكرّرة بسبب عدم التواصل بين الجهات، أو بسبب سعي كل جهة إلى تحقيق أهدافها الخاصة بمعزل عن الجهات الأخرى.
- ليس هناك آلية محدّدة ومتّفق عليها للتواصل.
- التنسيق إن تمّ يبقى محدوداً ضمن مدّة زمنية بسيطة مرتبط بهدف او نشاط محدّد ولا يتسم بالاستمراية.

**عوامل تنظيمية معيقة لدى الجهات نفسها**

- التحديات والصعوبات الداخلية التي تواجهها الجهات سواء بتخطيطها لخدماتها أو لتأمين التمويل.
- غياب التخصص بين العاملين.
- غياب روح العمل الفريقي بين الجهات والعمل بأسلوب المنافسة.
- ضعف التمويل.
- تغليب المصالح السياسية على المصلحة العامة.

**متطلّبات التشبيك في محافظة بعلبك الهرمل**

- أن يكون هناك آلية واضحة للتواصل المستمر بين الجهات.
- أن لا يكون اختلاف الرؤى بين الجهات عائقاً على التشبيك، بل العمل على أهداف مشتركة بين الجميع تنطلق من الحاجات الفعلية في المجتمع المحلّي.
- أن يكون للسلطات المحلية دوراً في ايجاد وتفعيل التشبيك بين الجهات.
- أن يكون هناك تخصصية في تقديم خدمات الرعاية الاجتماعية كي يتم تحقيق قدر من التكامل في تقديم الخدمات المتنوّعة.

## - أهم نتائج الدراسة والتوصيات:

من خلال نتائج هذه الدراسة يتبيّن لنا أنّ مستوى التشبيك بين الجهات المقدّمة للخدمات في محافظة بعلبك الهرمل لا يزال عند مستوى التبادل، حيث أنه يتم العمل في هذا المستوى على تبادل المعلومات والخبرات ولا يتطلّب التزامات متبادلاً أو تعاوناً وثيقاً.

وحتى في هذا المستوى لا يزال تبادل المعلومات مرتبط بالخدمات المتوفرة وليس بتقدير الحاجات الواقعية للمجتمع المحلي لما لهذا الأمر من أهمية في تقديم خدمات الرعاية الاجتماعية.

لذلك، ولتفعيل التشبيك والاستفادة من نتائج هذه الدراسة نقترح التوصيات التالية:

- إجراء دراسات لتوثيق تجارب ناجحة في التشبيك والتشجيع على تعميمها.
- العمل على تمكين الجهات المقدّمة للخدمات وتعزيز قدراتها كي يتمكّن الأشخاص المسؤولين في الجهات المقدّمة للخدمات الاجتماعية أن ينظروا إلى ما هو أبعد من الرعاية او التمويل، والانتقال من مرحلة الرعوية إلى التنموية.
- تدريب الجهات المقدّمة للخدمات حول موضوع التشبيك وأهميته وتذليل مخاوفهم منه وتبيان مزاياه العملية وأهدافه في تلبية الاحتياجات.
- تفعيل دور السلطات المحلية في المحافظة في تحديد اطر التنسيق والتعاون بين الجهات.
- إتاحة المجال للقيادات المحلية والخبراء الاجتماعيين في المشاركة في عملية التشبيك وتفعيلها.
- تعزيز فكرة التشبيك الالكتروني من خلال استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في إنشاء بيئة الكترونية، تساعد المنظّمات الأهلية على التواصل وتسهّل عملية تبادل البيانات والخبرات فيما بينها.

## قائمة المراجع:


١. ابوالنصر، مدحت. ادارة الجودة الشاملة في مجال الخدمات الاجتماعية والتعليمية والصحية، النيل العربي. القاهرة ٢٠٠٨.

٢. أبوعليان، بسام. طرق الخدمة الاجتماعية. جامعة الأقصى. غزّة. ٢٠١٥.

٣. الأمم المتحدة. أهداف التنمية المستدامة ٢٠١٩. الأمم المتحدة. نيويورك ٢٠١٩.

٤. جاد الله، السيد. المشكلات التي تواجه الأسر الفقيرة الأولى بالرعاية وبرنامج مقترح للخدمة الاجتماعية للتعامل معها. جامعة حلوان–كلية الخدمة الاجتماع. حلوان ٢٠١٣.

٥. حمزة، أحمد ابراهيم. السياسة الاجتماعية.دار المسيرة. عمان. ٢٠١٥.

٦. الدخيل، عبد العزيز. عبد الله. معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية. دار المنهل. القاهرة. ٢٠١٣.

٧. الدلمي، خلف حسين علي. تخطيط الخدمات المجتمعية والبنية التحتية. دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان ٢٠١٥.

٨. المجيد، دعاء ابراهيم. دور مؤسسات وجمعيات المجتمع المدني في مراقبة العملية الانتخابية. دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع. القاهرة. ٢٠١٥.

٩. حسين سليمان، هشام سيد عبد المجيد، منى جمعة البحر. الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية مع الفرد والأسرة. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت ٢٠٠٥.

١٠. سالم، سماح سالم. البحث الاجتماعي؛ الأساليب – المناهج – الإحصاء. دار الثقافة للنشر والتوزيع. عمان. ٢٠١٢.

١١. سليم، هدى. الخدمة الاجتماعية والعيادة النفسية المتخصصة. مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع. بيروت. ١٩٩٣.

المواقع الالكترونية

١٢. موقع وزارة الشؤون الاجتماعية

http://www.socialaffairs.gov.lb/MSASubPage.aspx?parm=120&parentID=98

١٣. البنك الدولي

https://www.albankaldawli.org/ar/country/lebanon/overview. Retrieved from https://www.albankaldawli.org

## References:

1. Homelen, H. NGO's Networking and problems of representation. 2002.
2. Lebanese Republic Central , A. Beyrouth: Lebanese Republic Central Administration of Statistics (CAS); International. 2020.
3. UNHCR.Bekaa and Baalbek/Hermel Governorates Profile. Beirut: UNHCR. 2017.

# التّصوّرات الذّهنية للمجتمع الطّرابلسي حول العلاج النّفسيّ (شمال لبنان)

# Mental Perceptions of the Tripoli Community about Psychological Treatment (North Lebanon)

**الباحثة د. أحلام ديب رعد***

**Ahlam Dib Raad, PhD***

**الملخّص:**

طرحت الباحثة موضوع " التصورات الذهنية للمجتمع الطرابلسي حول العلاج النفسي "، لارتباطه باعتقادات وتصورات أفراد هذا المجتمع حول أهمية الصحة النفسية. وقد هدفت هذه الدراسة إلى تحقيق عدّة أهداف أهمها: التعرّف إلى مستوى التصورات الذهنية حول العلاج النفسي لدى المجتمع الطرابلسي، وإبراز أهميّة هذا الموضوع من خلال البرامج التي تهدف إلى تَوعية أفراد المجتمع حول أهميّة العلاج النّفسيّ للمحافظة على الصّحة النفسيّة والجسديّة. كما هدفت التَعرف إلى المعتقدات الخاطئة والعوامل الأخرى التي ساهمت في تَشكيل التّصوّرات الذهنية للمجتمع الطرابلسي حول العلاج النّفسيّ.

تألفت عينة الدراسة من (٦٠٠) شخص من المجتمع الطرابلسي. واعتمدت الباحثة في دراستها هذه على المنهج الوصفي التحليلي، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمت الباحثة عدّة أدوات منها المقابلة والملاحظة واستخدمت استبيان التصوّرات الذهنيّة من إعدادها كأداة لجمع البيانات من عيّنة الدراسة وقد تمّ التحقق من خصائصه السيكومترية.

أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق دالة إحصائيًّا في التصوّرات الذهنية للمجتمع الطرابلسي حول العلاج النّفسّيّ وفقاً لمتغيّر المستوى الاقتصاديّ، ومتغير المستوى التّعليميّ، ومتغير الجنس والعمر والدّيانة.

توصلت الباحثة إلى عدة توصيات أهمها القيام بدراسات مستقبلية تهدف إلى فهم التّصوّرات الذهنية للمجتمع الطرابلسي للتخلص من المعتقدات الخاطئة لدى الأفراد الذين لم يصلوا إلى مستوى معيّن من الوعي بأهمية الصحة النفسية وتأثيرها المباشر على الصحة الجسدية.

**الكلمات المفتاحيّة: التصورات الذهنية، المجتمع الطرابلسي، العلاج النفسي، الوصمة.**

## Abstract:

The researcher presented the topic “The mental perceptions of the Tripoli community about psychological treatment,” because it is linked to the beliefs and perceptions of members

* باحثة دكتوراه، المعهد العالي لإعداد الدكتوراه - علوم الإنسان والمجتمع، جامعة القديس يوسف، بيروت.

Email: dreams.raad@hotmail.com / ahlam.raad@net.usj.edu.lb

* PhD researcher in psychology at The EDSHS - Saint Joseph University in Beirut.

of this community about the importance of mental health. This study aimed to achieve several goals, the most important of which are: identifying the level of mental perceptions about psychological treatment in Tripoli society, and highlighting the importance of this topic through programs that aim to educate community members about the importance of psychological treatment for maintaining mental and physical health. It also aimed to identify false beliefs and other factors that contributed to shaping the mental perceptions of the Tripoli community about psychological treatment.

The study sample consisted of (600) people from the Tripoli community. In this study, the researcher relied on the descriptive analytical method, and to achieve the objectives of the study, the researcher used several tools, including interviews and observation, and used a mental perceptions questionnaire that she prepared as a tool for collecting data from the study sample, and its psychometric properties were verified.

The results of the study showed that there were statistically significant differences in the mental perceptions of the Tripoli community about psychological treatment according to the economic level variable, the educational level variable, and the variables of gender, age, and religion.

The researcher came up with several recommendations, the most important of which is conducting future studies aimed at understanding the mental perceptions of Tripoli society in order to get rid of false beliefs among individuals who have not reached a certain level of awareness of the importance of mental health and its direct impact on physical health.

**Keywords: Mental Perceptions, Tripoli Society, Psychological Treatment, Stigma.**

## المقدّمة:

يُعد العلاج النّفسيّ من القضايا المهمة التي تُشغل اهتمام الباحثين في مجال علم النفس. وتختلف طرق وأساليب العلاج النّفسيّ باختلاف نظرياته والاضطرابات التي يتناولها، وأيًّا كانت هذه الطرق أو الأساليب فالهدف من العلاج النّفسيّ هو محاولة جادّة لتصحيح المسارات المضطربة في سلوك الفرد. ويرتبط الإقبال على العلاج النّفسّيّ بالتصوّرات الذهنيّة للفرد ويختلف باختلاف الثقافات والمجتمعات. فالتصوّر الذهني يرتبط بدوره بالثقافة المجتمعيّة التي تختلف باختلاف الجماعات، فكلّ جماعة تحمل قيمًا ومبادئ تميّزها عن غيرها من الجماعات الأخرى، ما يحدث اختلافًا في محتوى التصوّرات، وبالتالي تتمايز السلوكيات والاستجابات من جماعة إلى أخرى؛ نظرًا لتمايز ما نشأت عليه كلّ جماعة من قيم ومبادىء وعادات مصدرها المجتمع والبيئة التي يعيشون فيها فتؤثر في التّصورات الذّهنيّة لأفرادها إذ تختلف نظرتهم للعلاج النفسّيّ باختلاف البيئة التي ينتمون إليها. فقد يجد البعض فيه أمرًا ممكن أن يُقدم عليه أيّ كان، كونه تجربة تساعد الإنسان على الانفتاح والتطوّر وفهم الذّات، وكون هدفه تحسين نوعيّة حياة الإنسان.

في حين يرى آخرون أنّ العلاج النفسيّ إجراء طارئ يمكن اللجوء إليه عند الضرورة، لحلّ مشاكل معقدة وخطيرة كمحاولة الانتحار أو الإدمان على المخدرات...

في حين يتخذ بعضهم موقفًا رافضًا للعلاج النّفسيّ، لاعتقادهم بعدم فائدته أو بسبب الموقف الثقافي الاجتماعي السلبي العام نحوه. فالمريض النفسيّ قد لا يصل إلى العيادة النفسيّة إلّا بعد فشل جميع وسائل العلاج الأخرى، وبعد استنفاد عائلته كلّ طاقتها في القدرة على التحمّل والصبر وتحمّل اضطرابه (يونس، ٢٠٠٦ : ص ٢١).

## أهميّة الدّراسة:

تكمن أهميّة الدّراسة الحاليّة من الناحية النظريّة والتطبيقيّة في أهميّة الموضوع الّذي تناولته. فالبحث في موضوع التّصوّرات الذّهنية حول العلاج النّفسيّ للمجتمع الطّرابلسي (شمال لبنان) سيُساهم في فهمنا لطبيعة العلاقة بين التّصوّرات الذّهنية والإقبال على العلاج النّفسيّ، وفي التّعرّف إلى المعتقدات الخاطئة والعوامل الأخرى التي تساهم في تَشكيل هذه التّصوّرات وتقف حائلًا دون طلب العلاج النّفسيّ. وأيضًا سيشكّل إضافة علميّة حول العلاقة بين هذين المتغيّرين، وبالتّالي قد تشكّل انطلاقة نظريّة لدراسات لاحقة.

كما يُمكن للباحثين والعاملين في مجال علم النّفسّ والمهتّمين بالصّحّة النّفسّيّة والتّنشئة الاجتماعيّة الاستفادة من نتائج هذه الدّراسة ومن توصياتها، وذلك من أجل نشر الوعي والثقافة النفسيّة بأهمية الصّحّة النفسية ومدى ارتباطها بالصحة الجسدية والمجتمعية وأهميّة طلب العلاج النفسي. وتقديم معرفة سوسيولوجيّة جديدة عن آليّات التفكير والسلوك لدى أفراد المجتمع الطرابلسي وتصوّراته عن العلاج النّفسيّ، فالمعرفة السوسيولوجيّة تسعى إلى رصد موضوعي للواقع الحالي. ومن خلال وضع برامج إرشاديّة تسلّط الضّوء على أهميّة العلاج النفسي للحفاظ على الصّحّة النّفسّيّة والجسديّة، والفرق بين عمل الطبيب النفسي والمعالج النفسي، وبين الاضطرابات النفسية والعقلية. من هنا كانت أهميّة الدّراسة الحاليّة وفائدتها البحثيّة المرجوّة.

## أهداف الدّراسة:

تسعى هذه الدّراسة إلى تحقيق عدّة أهداف كالآتي:

- التّعرّف إلى مستوى التصورات الذهنية حول العلاج النفسي لدى المجتمع الطرابلسي.

- التّعرف إلى المعتقدات الخاطئة والعوامل الأخرى التي ساهمت في تَشكيل التّصوّرات الذهنية للمجتمع الطرابلسي حول العلاج النّفسيّ.
- التّأكّد من وجود تأثير للمستوى الاقتصادي في التّصوّرات الذهنية للمجتمع الطرابلسي حول العلاج النّفسيّ.
- التّأكّد من وجود تأثير للمستوى التّعليميّ في التّصوّرات الذهنية للمجتمع الطرابلسي حول العلاج النّفسيّ.
- التّأكّد من وجود فروق في التصوّرات الذهنية للمجتمع الطرابلسي حول العلاج النّفسّيّ وفقاً لمتغيّر الجنس (ذكور – إناث).
- التّأكّد من وجود فروق في التصوّرات الذهنية للمجتمع الطرابلسي حول العلاج النّفسّيّ وفقاً لمتغيّر العمر.
- التّأكّد من وجود فروق في التصوّرات الذهنية للمجتمع الطرابلسي حول العلاج النّفسّيّ تُعزى لمتغيّر الديانة.

## أدبيّات الدّراسة:

### الدّراسات السّابقة:

قام **(غانم وشلابي، ٢٠٢٢)** بدراسة حول " التّصوّرات الاجتماعيّة لدور الأخصّائيّ النّفسيّ الإكلينيكي لدى عيّنة من الطلبة الجامعيين ". هدفت الدراسة إلى التعرّف على طبيعة التّصوّرات الاجتماعيّة التي يبنيها طلبة المدرسة العليا لأساتذة التعليم التكنولوجيّ حول دور الأخصّائيّ النّفسيّ الإكلينيكي، من خلال معرفة محتويات تفكيرهم الاجتماعيّ ورصد القيم المعرفية التي يمتلكونها حول دوره. ولتحقيق هذه الأهداف اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وتطبيق تقنية الاستحضار التسلسلي إلكترونيًا على عيّنة عرضيّة من الطلبة المتاحين على صفحة الفايسبوك الخاصة بهم، والتي بلغ حجمها ٥٠ طالبًا وطالبة. أظهرت نتائج الدراسة إنّه رغم التحوّلات الاجتماعيّة التي عرفها المجتمع الجزائري فإنّ دور الأخصّائيّ النّفسيّ الإكلينيكي لازال من المواضيع المتأثرة ببنية الثقافة الاجتماعيّة، وعليه، فالتصورات الاجتماعيّة للطلبة يغلب عليها الطابع الثقافي الاجتماعيّ أكثر من الطابع العلمي العلاجي.

أجرت **(بوعافية و دراجي، ٢٠٢١)**، دراسة ميدانيّة بعنوان " التصورات الاجتماعية للفصام لدى طلبة علم النفس". هدفت الدراسة إلى معرفة طبيعة التصورات الاجتماعية التي يحملها طلبة علم النفس حول الفصام، والكشف عمّا إذا كانت هناك فروق دالة إحصائيًا في طبيعة تلك التصورات تعزى الى متغير التخصص (علم النفس العيادي/ علم النفس المدرسي). ولتحقيق هذه الأهداف تم الاعتماد على المنهج الوصفي، وإختيار عينة قدرت بـ (٤٦) فردًا بطريقة غير إحتمالية –حصصية– من مجتمع أصلي يبلغ (٢٣٠) طالبة في علم النفس بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولجمع البيانات تم الاعتماد على كل من تقنية خريطة التداعي والمقابلة، وتم اعتماد الأسلوب الكمي من خلال استخدام أساليب إحصائية متمثلة في كل من التكرار، النسبة المئوية، واختبار مربع كا 2، إضافة إلى الأسلوب الكيفي بناء على النتائج التي تحصل عليها من قبل أفراد العينة. أسفرت نتائج الدراسة عن أن طلبة علم النفس يحملون تصورات إجتماعية ذات طابع علمي للفصام إضافة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائيًا في طبيعة تلك التصورات تُعزى الى متغير التخصص.

قام **(عبدالقادر، ٢٠٢٢)** بدراسة حول " التّصوّرات الاجتماعيّة للعلاج لدى المصابين بالسحر مقاربة نفس– أنثروبولوجية ". هدفتْ الدراسة إلى الكشف عن العلاقة الموجودة بين التّصوّرات الاجتماعيّة للعلاج والاصابة بالسحر لدى عيّنة من المصابين بالسحر والمُقبلين على العلاج بالرقية في ضوء بعض المتغيّرات الشخصية (الجنس، مكان السكن، الحالة الاجتماعيّة). لهذا الغرض تمّ تطبيق مقياس التّصوّرات الاجتماعيّة للعلاج والإصابة بالسحر بعد التّأكّد من خصائصه السيكومترية. بلغتْ عيّنة الدراسة (٨٦) حالة موزّعة على المتغيّرات الشخصية. وبغية الإجابة على هذه الإشكالية تمّ استخدام المنهج الوصفي والاستدلالي على حدّ سواء. وقد خلُصت نتائج الدراسة إلى: أن هناك علاقة بين التّصوّرات الاجتماعيّة للعلاج وبين الإصابة بالسحر وأنه لا توجد فروق في التّصوّرات الاجتماعيّة للعلاج لدى المصابين بالسحر تبعًا لمتغيّر الجنس وتبعًا لمتغيّر مكان السكن و تبعًا لمتغيّر الحالة الاجتماعيّة.

أجرت **(ذبيان، ٢٠١٦)** دراسة بعنوان " التّصوّرات في النظرة الاجتماعيّة المصابين بمرض نفسي لدى القاطنين في الشوف ". هدفت إلى استكشاف مفاهيم الصحة والمرض واستراتيجيات العمل على مواجهة المشاكل المتعلقة بالصحة النفسية، وبالتالي استكشاف التّصوّرات في النظرة الاجتماعيّة للمراهقين المصابين بمرض نفسي لدى المجتمعات القاطنة في الشوف. وقد تلخصت إشكاليتها فيما إذا كان التصوّر الاجتماعيّ للمرض النّفسيّ يتأثر بمتغيّرات الجنس والعمر والمستوى العلمي والالتزام الديني. اعتمدت الدراسة على

الطريقة الكمية من خلال إعداد استمارة إحصائيّة كأداة لتحقيق أهدافها. تكونت عيّنة الدراسة من (٦٠٠) شخص من ثلاث قرى بعقلين، دير القمر، شحيم. أظهرت النتائج وجود قبول بمستوى جيّد للمراهق المصاب بمرض نفسي، وتصوّر اجتماعي محدود السلبية، وميل للرفض من قبل المشاركين في ملء الاستمارة. كما أشارت النتائج إلى وجود فروق في الميل إلى الوصم تبعًا للديانة. وأيضًا فروق في التّصوّر الاجتماعي للمرض النّفسيّ تبعًا للمستوى التّعليميّ.

قام **(سلوم، ٢٠١٩)** بدراسة حول " الاتجاه من ارتياد العيادات النّفسيّة لدى طلبة الجامعة اللبنانية". هدفت الدراسة الى معرفة اتجاهات طلبة الجامعة اللبنانية نحو ارتياد العيادة النفسية من جهة، ومعرفة مبرراتهم والمحك الأساسي لدى كل منهم في اتخاذه أي اتجاه. كما هدفت إلى معرفة الفروق في اتجاهاتهم تبعًا لمتغير الجنس، المرحلة الدراسية، العمر، الاختصاص الجامعي، والمنطقة السكنية. تألفت العينة من ١٠٠٠ طالب وطالبة، وتوزعت على كافة المجالات الدراسية في الجامعة اللبنانية مع مراعاة النسب، موزعين على المحافظات كافة. أعد استبيان خاص للدراسة. بينت النتائج أن اتجاهات الطلبة نحو ارتياد العيادة النفسية كان إيجابيًا بشكلٍ عام، ولكنه يتفاوت بين محاور تشكل الاتجاه، وكذلك أتت النتائج في خانة الموافق، في القسم الأقرب إلى المحايد منه إلى الموافق بشدة، وقد بلغت نسبة الذين لم يصلوا إلى مرتبة الموافق ثلث المشاركين. وكشفت عن عدم ضمور الوصمة لديهم حيث بلغت نسبة الذين أكدوا وجودها ٦٨.٨٪ والمحايدين ١٧.٤٪. كما أظهرت الدراسة وجود فروق بين الجنسين، وتبعًا للمستوى الدراسي، العمر، والمجال الدراسي، ولم تظهر أي فروق تبعًا للمنطقة السكنية. وتم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي بالنسبة لمبررات اتخاذ اتجاه ما، احتل الانطباع الشخصي أعلى مرتبة، والمحك الأساسي في القبول بالتوجه إلى العيادة النفسية كان كفاءة المعالجين وقدراتهم. وقد أوصت الدراسة بإجراء دراسة للكشف عن الفروق تبعًا لمتغير الديانة، ودراسة فاعلية برامج لتغيير الاتجاه الخاص بموضوع الدراسة.

أجرت **(يونس، ٢٠٠٦)** دراسة بعنوان " موقف المجتمع اللبناني من العلاج النّفسيّ ". هدفت الدراسة التعرف إلى موقف المجتمع اللبناني من العلاج النّفسيّ، وقد تلخصت إشكاليّتها في التساؤل حول الموقف من العلاج النّفسيّ في المجتمع اللبناني، وما إذا كانت تحدده عوامل ذاتيّة، ثقافية موضوعية خاصّة بأفراد مجتمع معيّن، أو أنّ تقبل العلاج النّفسيّ كوسيلة علاجيّة له علاقة بالمستوى التعليمي للأفراد أو العمر أو الجنس. اعتمدت الباحثة على استمارة من إعدادها لجمع البيانات والمعلومات من عينة الدراسة. وقد توصلت النتائج إلى أن العلاج النّفسيّ تحدده عوامل ذاتية، ثقافية موضوعية خاصة بأفراد مجتمع

معيّن، وأنّ الجامعيين لديهم درجة من الوعي في بناء القناعات التي قد تكون سائدة في المجتمع، وإنّه كلما ارتفع المستوى التعليمي كان الفرد أكثر تقبّلاً لموضوع العلاج النّفسيّ.

## التعقيب على الدراسات السابقة:

تتميّز الدّراسة الحالية عن سابقاتها بدراسة التّصوّرات الذهنية للمجتمع الطرابلسي حول العلاج النّفسيّ على عينة كبيرة ممثّلةً لمجتمع الدراسة مكوّنة من (٦٠٠) فردًا من قضاء طرابلس الواقع شمال لبنان، إذ هدفت إلى التعرّف للثقافة النفسيّة لدى أفراد المجتمع الطرابلسي وللمعتقدات الخاطئة والعوامل الأخرى، التي ساهمت في تشكيل التّصوّرات الذهنية لديهم حول العلاج النّفسيّ. وبحسب علم الباحثة فهو موضوع لم تسبق دراسته، وقد تمّ تناوله من قبل بعض الباحثين من الناحيّة الاجتماعيّة وليس الذّهنيّة.

## مشكلة الدّراسة:

تناولت الدّراسة التّصوّرات الذّهنية حول العلاج النّفسيّ للمجتمع الطّرابلسي (شمال لبنان) من منطلق أنّ التّصوّرات الذهنيّة للفرد مرتبطة أشدّ الارتباط بتصوّرات المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، ويتكيّف معه منذ نعومة أظافره، لذلك فهي تتبنى فكرة أنّ الفرد تتبلور صورته الذهنيّة نحو الأشياء وتتكون مفاهيمه حسب تصوّرات الأسرة، والأخيرة تشكّل عيّنة من هذا المجتمع المحيط به. فالعبارات، المواقف، الآراء، الانطباعات والأصوات، تشكّل المحتوى الفعلي للصورة الذهنيّة التي تتكوّن عند الأفراد من تأثير البيئة المحيطة به. أمّا مجتمع الدّراسة الحالية أي المجتمع الطرابلسي فينقسم في نظرته للعلاج النّفسيّ بين نظرة إيجابيّة ترى أنّه حاجة وضرورة لتحسين نوعية الحياة ومعالجة الاضطرابات النفسية التي تنغّص الحياة وتؤثر على جودتها، ونظرة سلبية مليئة بالوصم الاجتماعي ترى أنّه فقط للمرضى العقليين والمجانين فتُعيق الوصول إلى الصحة النفسيّة لأنّ أصحابها يتخذون موقفًا سلبيًا رافضًا للعلاج النّفسيّ. هذه النّظرة للعلاج النفسيّ ما هي إلّا انعكاس للتّصورات الذّهنيّة والمعتقدات الخاطئة التي تشكلت في المجتمع الطرابلسي. من هنا يُمكننا أن نطرح الإشكالية الآتية:

- ما التصوّرات الذّهنيّة للمجتمع الطّرابلسي حول العلاج النّفسّيّ؟

ويتفرّع عنها عدّة تساؤلات:

- هل توجد فروق في التّصــوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفســيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلســي تُعزى لمتغيّر المستوى الاقتصاديّ؟

- هل توجد فروق في التّصــوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفســيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلســي تُعزى لمتغيّر المستوى التعليمي؟
- هل توجد فروق في التّصــوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفســيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلســي تُعزى لمتغيّر الجنس (ذكور، إناث)؟
- هل توجد فروق في التّصــوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفســيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلســي تُعزى لمتغيّر العمر؟
- هل توجد فروق في التّصــوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفســيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلســي تُعزى لمتغيّر الدين؟

في ضوء ما تقدّم يُمكن صياغة فرضيّات الدّراسة الحاليّة كالآتي:

- **الفرضيّة العامّة:**

- يوجد تصوّرات ذهنيّة سلبيّة (معتقدات خاطئة) حول العلاج النّفسيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلسيّ.

- **الفرضيّات الإجرائية:**

- توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر المستوى الاقتصاديّ.
- توجد فروق دالّة إحصائيًّا في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر المستوى التعليمي للأفراد.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر الجنس (ذكور، إناث).
- توجد فروق دالّة إحصائيًّا في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر العمر.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر الدين.

## المفاهيم والمصطلحات:

### التّصوّرات الذّهنيّة:

**أولًا – تعريف التّصوّرات الذّهنيّة:**

عرّف سارج موسكوفيسي في كتابه (التحليل النّفسيّ صورته وجمهوره) أنّ التصوّر هو" إعادة إظهار شيء للوعي مرة أخرى رغم غيابه في المجال المادي، وهذا ما يجعل منه عمليّة تجريديّة محضة إلى جانب كونه كذلك عمليّة إدراكيّة فكريّة. وأنّ التصوّر يوجّه الاستجابة ويبدل المثير ويشكله في آنٍ واحدٍ (Moscovici, 1976 : p 4).

كما عرّف هرزليتش التصوّر بأنّه "سيرورة لبناء الواقع، تؤثّر في آن واحد في المثير والاستجابة، فتعدّل الأوّل وتوجّه الثاني" (Herzlich, 1972 : p. 304).

وعرّفته أيضًا دينيس جودلي بأنّه " عملية عقلية وفكرية، تحدث حينما ينشغل الفرد بشيء ما، قد يكون شخصًا، حدثًا، فكرة أو نظرية، وقد يكون مجسدًا أو خياليًا، وهو شكل معرفي مبني اجتماعيًّا ومشتركًا، له وجهة تطبيقية تهدف لبناء حقيقة مشتركة خاصة بمجموعة اجتماعية ترتبط بثلاث أسس بنيوية " (Jodelet, 2003 : p. 360).

**ثانيًا – التّصوّرات الذّهنيّة ومصادرها:**

أكّدّ دوركهايم في تحليله للصور الذهنية على أهمية الأثر العضوي حيث يرى أنّ الصور الذهنية والفكرية والإحساس عندما يسكت أي منهما عن الظهور يكون قد قطع صلته بالوجود دون أن يخلق أي شيء يذكر؛ ما عدا الأثر العضوي الذي يكون قد سبق هذا التصوّر فهو الأثر الوحيد الذي لا يختفي اختفاءً تامًّا؛ فثمة تغيير يطرأ على العنصر العصبيّ ويعمل على إعادة الذبذبة من جديد، فالإحساس الذي كان قد نشأ لم يبقَ منه شيء، ولولا أنّ هذا الإحساس يتجه هو بنفسه إلى الارتباط بالماضي بعملية آلية معروفة جيّدًا، لما كان يدور بخلدنا أننا قد مارسنا شيئًا من ذلك إطلاقًا في الماضي؛ ولكنّ شيئًا واحدًا يبقى بعينه في التجربتين، تلك هي الحالة العصبية، فهي شرط للتصور الثاني كما هي شرط للتصور الأوّل (دوركهايم، ١٩٨٢ : ص ٢٣ – ٣٣).

**ثالثًا – التّصوّرات هي بناء معرفي –اجتماعي :**

التّصوّراتْ الاجتماعيّة تربط الفرد بموضوع التصوّر لذلك نجد أنّ كل تصوّر اجتماعي هو تصور لشيء ما (موضوع) يقوم به شخص ما، ويترتب على ذلك أن يتأثر التصوّر بخصائص كلّ من الموضوع المتصور والشخص المتصور، فالموضوع والشخص ليسا منفصلين تمامًا، حيث يستملك الشخص خصائص الموضوع ليعيد بناءها وفقًا لخصائصه هو؛ وتلك نقطة مركزية في نظرية التّصوّرات الاجتماعيّة التي تعتبر

أنّ كلّ حقيقة هي حقيقة متصورة، أي أعيد بناؤها بالنسبة للشخص، هي الحقيقة ذاتيًا. فالإنسان ليس آلة كما يعتقد السلوكيون، بل هو كائن عارف يستدل ويعيد بناء موضوع التصوّر (Herzlich, 1972 : p. 345).

**رابعًا – آليّة تشكّل التّصوّرات الذّهنيّة:**

التصوّر هو دومًا تصوّر أحد ما لشيء ما، أي إنّه فكر يتصوّر وموضوع متصوّر، والفكر أو الموضوع ليسا بمعزل عن تأثيرات المجتمع الذي ينتميان إليه، أما بالنسبة للتصوّرات الاجتماعيّة فهي ليست بعيدة كلّ البعد عن موضوع التّصوّرات الذهنيّة، فهي تَصبُ في نفس المعنى، ولكن بطريقة غير مباشرة، وذلك لأنّ التّصوّرات الذهنيّة تتكون وتتبلور ومن ثمّ تتطور من خلال تصوّرات المجتمع فيما يختصّ بالعلاج النّفسيّ، فالمجتمع يلعب الدور الأكبر في تكوين هذه التّصوّرات، وذلك من خلال دور الأسرة، المدرسة، بالإضافة إلى مؤسسات المجتمع الأخرى (دوركهايم، ١٩٨٢).

**خامسًا – النظريات التي تناولت متغير التّصوّرات:**

يتعلق التصوّر بالنسبة لبعض الفلاسفة، بفعل معرفي يربط شيئًا ما مكوّنًا بذلك تصوّرًا، حيث يصبح التصوّر بهذا المعنى عملًا فكريًا ديناميكيًا لخلق وإعادة خلق حقيقة تربط بين موضوع مفكر فيه وبين محتوي خارجي ملموس، فتصوّرنا للشجرة مثلًا هو ربط قمنا به بين صورة هذه الأخيرة في فكرنا، وبين الشجرة الملموسة (الحقيقية) الموجودة في الحديقة، فالواقع إذن لا يوجد إلا من خلال النظرة التي يكوّنها الإنسان حوله.

ومن أشهر العلماء والمفكرين الذين برزوا في هذا المجال عالم النفس الاجتماعيّ دوركهايم الذي اهتم بظاهرة التمثلات الاجتماعيّة من وجهة نظر سوسيولوجية، من خلال التركيز على تمثلات الجماعة باعتبارها الوحدة الأساسيّة في التحليل السوسيولوجي، فهي تكوّن ما يعرف بالضمير الجمعي من خلال المعتقدات والأفكار، ولها أشكال عقلية اجتماعية تؤطّر وتجمع الكثير من الأفراد، كما أنّها مع الممارسات والتصرفات اليومية الفردية والجماعية. فقد دافع دوركهايم عن فكرة أنّ العلاقات الاجتماعيّة علاقات طبيعية من نوع معيّن، وإنّه يعتقد إنّه ليس هناك تنافر مطلق بين العقل وعالم الطبيعة التجريبي، أو بين الفرد والمجتمع: لو كانت التجربة غريبة كلّيّاً على ما هو عقلي لما أمكن للعقل أن يُطَبَّق عليها؛ مثلما لو كانت الطبيعة النفسية للفرد لا تتأثر بالحياة الاجتماعيّة لكان المجتمع مستحيلًا (Durkheim, 1967 : pp.29-35).

وتمتدُ الجذور الأولى للتصور إلى الفلسفة التي استخدمت في البحث عن أدوات وشروط المعرفة (الابستمولوجيا)، فالفلاسفة آنذاك قد تناولوا مفهوم التصوّر، واعتبروه إدراكًا للعالم الخارجي، إذ تساءلوا عن مصداقية الصور التي يستقبلها الإنسان فيما إذا كانت مطابقة للحقيقة الخارجية أو لا. ألا تتشوه تلك الصور بسبب أحكامنا؟ ألا تكون مجرد تخيلات؟ لقد أرقت هذه المشكلة الفلاسفة من "أرسطو "إلى "هيدجر" .

فقد اهتمت الفلسفة الألمانية بموضوع التّصوّرات بدايةً من "وولف إلى هايدغير إلى شوبنهاور" الذي ألّف كتاباً بعنوان "العالم كإرادة وتصور" وضمّنه في الفصل الأوّل: العالم هو ما أتصوره؛ فهذا الافتراض هو حقيقة لكل كائن حي، والأفضل عند الإنسان لوحده، فيحدث أن يتحول إلى معرفة مجردة وتأملية .(Schopenhauer, 2018 : p. 125)

فالتصوّر عند أرسطو تعبير عن تعريف الشيء، فهو يعبّر عن ماهية الشيء في الذهن دون الوصول إلى الواقع، لأنّ الواقع هو الفرد، فالتصوّر مجرد إعادة بناء للواقع ترد في الذهن كثرة التمثّلات الحسيّة إلى وحدة المعنى، فمنطق التصوّر لا يهتم لا بالتكوين النّفسيّ للتصوّر، ولا بقيمته الموضوعية، بل موضوعه الصحة الذاتية للتصوّر.

أما النظرية المعرفية فترى أنّ فهم العالم المحيط بنا يعني إدراكه بواسطة التّصوّرات الذهنيّة والاجتماعيّة التي تشكّل مصطلحًا مركزيًّا يسمح بتفسير ميكانيزمات الذكاء والإيديولوجيّات والذهنيّات.

فعلم النفس المعرفي يُميّز بين معنيين لمفهوم التصوّر، الأوّل يتعلق بصيرورة التفسير، والثاني يتجه نحو إنتاج هذه الصيرورة، أي المعارف والمعتقدات، كما أنّه يوجد أنواع عديدة للتصوّر (فالصور العقلية والمفاهيم والتصوّرات مرتبطة بالفعل والصور العقلية) تأخذ بعين الاعتبار العوامل الخاصة للمدركات الحسيّة من شكل ولون وحجم الموضوع، كما أنّ التّصوّرات مرتبطة جدًّا باللّغة المختلفة من شخص لآخر، كما أنّها مرتبطة بالفعل المتعلق بالمعارف التي يمتلكها الفرد والطريقة التي يقدم بها نشاطه : (Moscovici, 1976 .p 4)

ويعرّف "فرويد" التصوّر بأنّه " العملية التي بواسطتها تتحول الحالة العضوية الأساسيّة التي تميز الغريزة إلى تعبير نفسي، وكلّ هذا كفيل له (أي للفرد) بإنتاج التصوّر ". ينشأ التصوّر نتيجة انفصال الأنا عن الهو، هذا ما يعرف عند التحليليين بالفردنة، وظهور العلاقة الموضوعية التي يربطها الطفل مع المحيط الذي يعيش فيه، كما يمر التصوّر بثلاث مراحل لكي يتشكّل انطلاقًا من الجسد إلى مرحلة بين الجسد والنفس إلى مرحلة النفس (بوصوفة وشرادي، ٢٠١٦).

يَتضح من خلال النظريّات الخاصّة بالتصوّرات الذهنيّة أنّ العلماء لم يجمعوا على تفسير واحد. ولم يصلوا إلى نظرية شاملة لمفهوم هذه التّصوّرات، حيث نجد أنّ المفهوم الفلسفي للتصوّر قد اعتمد بصورة خاصّة على التصوّر الذاتي للفرد عن هذه الظاهرة، باعتبار التصوّر (التّمثّل) هو الكيفيّة التي ينظّم بها الفرد فهمه للواقع والحقيقة التي تعكسها الصحة الذاتية للتصوّر. وتقترب مع "فرويد" في نظريته بأنّ التصوّر هو نتيجة انفصال الأنا عن الهو هذا ما يعرف عند التحليليين بالفردنة، وظهور العلاقة الموضوعية التي يربطها الطفل مع المحيط الذي يعيش فيه. لكنّ الباحثة تتبنى النظرية الاجتماعيّة في دراستها، لانها تنطلق من فكرة أنّ تصوّرات الفرد على علاقة وثيقة بقيم ومعتقدات وتصورات آراء ومفاهيم المجتمع الذي نشأ به الفرد وترعرع، حتى أصبحت مفاهيم المجتمع ثابتة بالنسبة إليه ومن الصعب تغييرها، مما يجعله يتبنى معتقداته وتصوراته نحو المواضيع المختلفة، وتختلف مع النظرية الفلسفية التي تجدها عبارة عن تأملات فلسفية لا ترتبط بالحياة الاجتماعيّة، لكنها تتفق معها في أن تمثّل الفرد لأيّ موضوع مرتبط أيضًا بصحته النفسية والعقلية، وتقترب أيضًا من النظرية المعرفية التي ترى أنّ التّصوّرات والمفاهيم مرتبطة بالفعل والصور العقلية المعتمدة على البنية المعرفية للفرد. إلّا أنّها تضيف عليها أنّ هذه الصور العقلية قد تمّ تبنيها من خلال البيئة التي يعيش فيها الفرد أوّلًا، وبتماهيه بفكر الجماعة التي ينتمي اليها؛ فالمجتمع هو منبت الصور العقلية والبنية المعرفية للأفراد.

## إجراءات الدّراسة:

### المنهجية:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفيّ التّحليليّ لتحقيق أهداف الدّراسة.

### عينة الدراسة : (عينة الحصص النسبية sample Quota)

قد تمّ اختيار العيّنة من خلال الاختيار بالتنسيب (الكوتا)، حسب مصادر النفوس في قضاء طرابلس. وتنقسم عينة الدراسة إلى عينة إستطلاعية وعينة الدراسة الفعلية.

**أ-العيّنة الاستطلاعية:** تم تطبيق الاختبار القبلي لأداة الدراسة على عينة إستطلاعية مكوّنة من ٤٠ شخص من مجتمع الدراسة أي المجتمع الطرابلسي للتأكد من جودة الأداة وهي الإستبيان المُعدّ من قبل الباحثة، ولفحص خصائصه السّيكومتريّة، وقد تمّ التّأكّد من صدقه وثباته. وهو عبارة عن اختبار أوّليّ يطبّق على

عدد من الأفراد الذين تنطبق عليهم شروط مجتمع الدّراسة، لكي يتمّ تجريب الأداة المستخدمة وفحص جودتها ومدى فهم أسئلة الاستبيان من قبل المستجوبين.

**ب- العيّنة الفعلية:** تكوّنت العينة الفعليّة للدّراسة من ٦٠٠ شخص من المجتمع الطرابلسي، تراوحت أعمارهم بين (٢٠ – ٧٠) عامًا. تمّ اختيارهم حسب توزيعهم في مناطق قضاء طرابلس، بحسب نسبة عدد السكان في كل منطقة منها.

**أدوات الدّراسة:** استخدمت الدّراسة الأدوات الآتية:

٣- المقابلة والملاحظة.

٤- إستمارة البيانات الشّخصيّة من إعداد الباحثة تضمّنت العمر والجنس والدّخل الشّهريّ لتحديد المستوى الاقتصاديّ، والمستوى التّعليميّ.

٥- مقياس التصوّرات الذهنيّة حول العلاج النّفسيّ وهو عبارة عن استبيان لديه خمسة أبعاد ويتألّف من ٥٨ فقرة، يتمّ الإجابة عنه من خلال اختيار واحدة من أربعة بدائل تتراوح بين موافق كليًّا وغير موافق كليًّا. وقد تمّ حساب معامل الثّبات بطريقة التّجزئة النّصفيّة (Split Half Method) وبإستخدام معادلة ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha) حيث بلغت قيمة معامل الثبات الكلية بهذه الطريقة (٠.٨٣) وهو معامل مرتفع. كما تمّ حساب الصّدق البنائي بحساب معاملات الارتباط بين درجة كلّ فقرة (بند) مع الدرجة الكلية للمقياس الذي تنتمي إليه، وذلك من خلال احتساب معامل الارتباط "سبيرمان" ومستوى الدلالة الإحصائيّة لكل بند مع الدرجة الكلية للمقياس وقد بلغت معامل الصّدق (٠.٧٨) وهو معامل مرتفع، ممّا يؤكد ثبات وصدق الأداة.

**حدود الدّراسة:**

طُبقت الدّراسة ميدانيًّا بين عامي ٢٠٢٣ – ٢٠٢٤ على عينة مؤلّفة من (٦٠٠) شخص من أفراد المجتمع الطّرابلسي البالغ عددهم ٨٥٠ ألف نسمة موزعين على مختلف بلدات قضاء طرابلس.

**الأساليب الإحصائيّة:**

أبرز الأساليب الإحصائيّة المستخدمة في تحليل بيانات الدّراسة كالآتي:

١- التّكرارات والنّسب المئويّة.

٢- المتوسطات الحسابيّة والإنحرافات المعياريّة.

٣- معامل ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha).

٤- اختبار معامل الارتباط سبيرمان (Spearman).

٥- اختبار "ت" (T – Test) للعينات المستقلة لاحتساب الفروق ذات الدّلالة.

٦- اختبار تحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA).

## نتائج الدّراسة:

### النتائج المتعلقة بالفرضيّة الرّئيسيّة:

تنصّ هذه الفرضيّة على أنّه: " يوجد تصوّرات ذهنيّة سلبيّة (معتقدات خاطئة) حول العلاج النّفسيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلسيّ ".

وللتّحقّق من صحّة هذه الفرضيّة تمّ في البداية حساب التكررات والنسب المئويّة لإجابات أفراد عينة الدّراسة على فقرات مقياس التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ بأبعاده الخمسة. ومن خلال النتائج تبيّن أنّ إجابات أفراد العينة أي المجتمع الطرابلسي على فقرات المقياس التّي تحمل تصورّات ذهنيّة سلبيّة حول العلاج النّفسّيّ كانت نسبتها مرتفعة، وهي أعلى بشكلٍ ملحوظ مقارنة بالفقرات التي تحمل تصورّات ذهنيّة إيجابيّة. وهو ما يدلّ على وجود تصوّرات ذهنيّة سلبيّة (معتقدات خاطئة) حول العلاج النّفسيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلسيّ، ويؤكّد صحّة الفرضيّة الرّئيسيّة.

### النّتائج المتعلقة بالفرضيّة الإجرائيّة الأولى:

تنصّ هذه الفرضيّة على أنّه: " توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر المستوى الاقتصاديّ ".

لدراسة الفروق بين التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ وفقًا لمتغيّر المستوى الاقتصاديّ لدى أفراد المجتمع الطرابلسي تمّ اختبار تحليل التّباين الأحادي (One-Way ANOVA)، وقد جاءت النتائج كما يوضحه الجدول رقم (١).

**جدول رقم (١)**

**اختبار تحليل التّباين ANOVA للتّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ وفقًا للمستوى الاقتصاديّ لدى أفراد العينة**

| المقياس | المستوى الاقتصادي | العدد | المتوسّط الحسابي | الانحراف المعياري | الدلالة الإحصائيّة |
|---|---|---|---|---|---|
| التّصوّرات الذهنية حول العلاج النفسي | متدنٍ | 273 | 2.91 | 0.30 | 0.007 |
| | متوسط | 245 | 2.92 | 0.36 | |
| | مرتفع | 82 | 3.1 | 0.29 | |

يوضّح الجدول رقم (١) أنّ قيمة الدلالة الإحصائيّة تساوي 0.007 وهي أصغر من مستوى المعنوية ($P \leq 0.05$)، ممّا يعني أنّ هناك فروقًا ذات دلالة إحصائيّة تبعًا لمتغيّر المستوى الاقتصادي، وبالتالي نقبل الفرضيّة القائلة بوجود فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر المستوى الاقتصاديّ. وبالنظر إلى المتوسّطات الحسابية نلاحظ أنّ متوسّط التّصوّرات الذهنية حول العلاج النّفسّيّ يرتفع لدى المستطلعين بارتفاع مستواهم الاقتصادي. إذ يساوي متوسّط تصوّرات المستطلعين ذوي المستوى الاقتصاديّ المتدنّي (2.91) ويرتفع ليصبح (3.1) لدى المستطلعين ذوي المستوى الاقتصادي المرتفع. وبذلك تكون قد تأكّدت صحّة الفرضيّة الإجرائيّة الأولى.

**النّتائج المتعلقة بالفرضيّة الإجرائيّة الثّانية:**

تنصّ هذه الفرضيّة على أنّه: " توجد فروق دالّة إحصائيًّا في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر المستوى التعليمي للأفراد ".

لدراسة الفروق بين التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ وفقًا لمتغيّر المستوى التعليمي لدى أفراد المجتمع الطرابلسي تمّ اختبار تحليل التّباين الأحادي (One-Way ANOVA)، وقد جاءت النتائج كما يبينه الجدول رقم (٢).

**جدول رقم (٢)**

**اختبار تحليل التّباين ANOVA للتّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ وفقًا للمستوى التّعليميّ لأفراد عينة الدراسة**

| المقياس | المستوى التعليمي | العدد | المتوسّط الحسابي | الانحراف المعياري | الدلالة الإحصائيّة |
|---|---|---|---|---|---|
| التّصوّرات الذهنية حول العلاج النفسي | أمّي | 6 | 2.16 | 0.15 | 0.000 |
| | ابتدائي | 62 | 2.43 | 0.30 | |
| | متوسط | 88 | 2.73 | 0.35 | |
| | ثانوي | 89 | 2.92 | 0.21 | |
| | جامعي | 268 | 3.07 | 0.20 | |
| | دراسات عليا | 87 | 3.12 | 0.21 | |

يوضّح الجدول رقم (٢) أنّ قيمة الدلالة الإحصائيّة تساوي 0.000 وهي أصغر من مستوى المعنوية ($P \leq 0.05$)، ممّا يعني أنّ هناك فروقًا دالّة إحصائيًّا تبعًا لمتغيّر المستوى التّعليمي، وبالتالي نقبل الفرضيّة القائلة بوجود فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر المستوى التعليمي للأفراد. وبالنظر إلى المتوسّطات الحسابية نلاحظ أنّ متوسّط التّصوّرات الذهنية حول العلاج النّفسّيّ يرتفع لدى المستطلعين بارتفاع مستواهم التعليمي. إذ يساوي متوسّط تصوّرات المستطلعين ذوي المستوى التّعليميّ المتدنّي (أميّ) (2.16) ويرتفع تدريجيًّا ليصبح (3.12) لدى المستطلعين ذوي المستوى التّعليميّ المرتفع (دراسات عليا). وبذلك تكون قد تأكّدت صحّة الفرضيّة الإجرائيّة الثّانية. ويمكن تفسير ذلك بأنّه كلما ارتفع المستوى التعليميّ للفرد أصبحت تصوّراته الذهنية أكثر إيجابيّة فيما يخصّ العلاج النّفسيّ، ممّا يعني أن المستوى التعليمي يؤثّر في تصوّرات أفراد المجتمع الطرابلسي حول العلاج النّفسيّ، إذ نجد أنّه كلما ارتفع المستوى التّعليميّ للفرد أصبح أكثر تقبّلًا وانفتاحًا من غير المتعلمين.

**النّتائج المتعلقة بالفرضيّة الإجرائيّة الثّالثة:**

تنصّ هذه الفرضيّة على أنّه: " توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر الجنس (ذكور، إناث) ".

لدراســة الفروق بين التّصــوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفســيّ وفقًا لمتغيّر الجنس لدى أفراد المجتمع الطرابلســي تمّ اختبار "ت" (T – Test) للعينات المســتقلة لاحتســاب الفروق ذات الدّلالة، وقد جاءت النتائج كما يوضحه الجدول رقم (٣).

**جدول رقم (٣)**

**اختبار اختبار "ت" (T – Test) للتّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ وفقًا لمتغير الجنس**

| المقياس | الجنس | العدد | المتوسّط الحسابي | الانحراف المعياري | الدلالة الإحصائيّة |
|---|---|---|---|---|---|
| التّصوّرات الذهنية حول العلاج النفسي | إناث | 286 | 3.10 | 0.38 | 0.000 |
| | ذكور | 314 | 2.80 | 0.22 | |

يوضّح الجدول رقم (٣) أنّ قيمة الدلالة الإحصائيّة تساوي 0.000 وهي أصغر من مستوى المعنوية ($P \leq 0.05$)، ممّا يعني أنّ هناك فروقًا ذات دلالة إحصائيّة تبعًا لمتغيّر الجنس، وبالتالي نقبل الفرضيّة التي تنصّ على وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر الجنس (ذكور، إناث). ويُلاحظ من الجدول أعلاه أنّ المتوسّطات الحسابية للتّصوّرات الذهنية حول العلاج النّفسّيّ للإناث أعلى منها لدى الذكور، إذ يساوي متوسّط تصوّرات المستطلعين الإناث (3.10) في مقابل (2.80) للذكور. وبذلك تكون قد تأكّدت صحّة الفرضيّة الإجرائيّة الثّالثة القائلة بوجود فروق دالة إحصائيًّا في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر الجنس، وقد أظهرت النّتائج أنّ الفروق لصالح الإناث، إذ إنّ الإناث أكثر إيجابيّة وانفتاحًا من الذكور في تقبّل فكرة اللّجوء للعلاج النّفسّيّ.

**النّتائج المتعلقة بالفرضيّة الإجرائيّة الرّابعة:**

تنصّ هذه الفرضيّة على أنّه: " توجد فروق دالّة إحصائيًّا في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر العمر ".

لدراســة الفروق بين التّصــوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفســيّ وفقًا لمتغيّر العمر لدى أفراد المجتمع الطرابلسي تمّ اختبار تحليل التّباين الأحادي (One-Way ANOVA)، وقد جاءت النتائج كما يبينه الجدول رقم (٤).

**جدول رقم (٤)**

**اختبار تحليل التّباين ANOVA للتّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ وفقًا لمتغير عمر أفراد عينة الدراسة**

| المقياس | العمر | العدد | المتوسّط الحسابي | الانحراف المعياري | الدلالة الإحصائيّة |
|---|---|---|---|---|---|
| التّصوّرات الذهنية حول العلاج النفسي | 18 حتى 20 عامًا | 62 | 2.84 | 0.327 | 0.000 |
| | 20 حتى 25 عامًا | 105 | 2.97 | 0.316 | |
| | 26 حتى 40 عامًا | 202 | 3.04 | 0.228 | |
| | 41 حتى 64 عامًا | 184 | 2.93 | 0.351 | |
| | 64 عامًا وما فوق | 47 | 2.52 | 0.325 | |

يوضّح الجدول رقم (٤) أنّ قيمة الدلالة الإحصائيّة تساوي 0.000 وهي أصغر من مستوى المعنوية ($P \leq 0.05$)، ممّا يعني أنّ هناك فروقًا دالّة إحصائيًّا تبعًا لمتغيّر العمر، وبالتالي نقبل الفرضيّة القائلة بوجود فروق دالّة إحصائيًّا في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر العمر. ونلاحظ من الجدول أعلاه أنّ المتوسّط الحسابي للتّصوّرات الذهنية حول العلاج النّفسّيّ هو الأعلى لدى الفئة العمريّة من ٢٦ حتى ٤٠ عامًا إذ يساوي (3.04) وبذلك تكون قد تأكّدت صحّة الفرضيّة الإجرائيّة الرّابعة.

**النّتائج المتعلقة بالفرضيّة الإجرائيّة الخامسة:**

تنصّ هذه الفرضيّة على أنّه: " توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر الدين ".

لدراسة الفروق بين التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ وفقًا لمتغيّر الدّين لدى أفراد المجتمع الطرابلسي تمّ اختبار تحليل التّباين الأحادي (One-Way ANOVA)، وقد جاءت النتائج كما يوضحه الجدول رقم (٥).

**جدول رقم (٥)**

**اختبار تحليل التّباين ANOVA للتّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ وفقًا لمتغيّر الدّين**

| المقياس | الديانة | العدد | المتوسّط الحسابي | الانحراف المعياري | الدلالة الإحصائيّة |
|---|---|---|---|---|---|
| التّصوّرات الذهنية حول العلاج النفسي | مسلم | 536 | 2.90 | 0.33 | 0.000 |
| | مسيحي | 59 | 3.2 | 0.23 | |
| | غير ذلك | 5 | 3.18 | 0.24 | |

يوضّح الجدول رقم (٥) أنّ قيمة الدلالة الإحصائيّة تساوي 0.000 وهي أصغر من مستوى المعنوية ($P \leq 0.05$)، ممّا يدلّ على أنّ هناك فروقًا ذات دلالة إحصائيّة تبعًا لمتغيّر الديانة، وبالتالي نقبل الفرضيّة القائلة بوجود فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلسي تُعزى لمتغيّر الدّين. وبالنظر إلى المتوسّطات الحسابية نلاحظ أنّ متوسّط التّصوّرات الذهنية حول العلاج النّفسّيّ لدى المستطلعين من الديانة المسيحية أعلى منه لدى المستطلعين من الدّيانة الإسلاميّة إذ يساوي (3.20) للمسيحيين في مقابل (2.90) للمسلمين. وبذلك تكون قد تأكّدت صحّة الفرضيّة الإجرائيّة الخامسة بوجود فروق دالة إحصائيًّا في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلسي تبعًا لمتغيّر الديانة، وقد أظهرت النّتائج أنّ الفروق لصالح الدّيانة المسيحيّة.

ختاماً، لقد ساهمت نتائج هذه الدّراسة في الإجابة عن تساؤلاتها حول وجود تصوّرات ذهنيّة سلبيّة (معتقدات خاطئة) حول العلاج النّفسيّ لدى أفراد المجتمع الطرابلسيّ. وقد تمّ اثبات صحّة الفرضيّات وأظهرت النّتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ تُعزى لمتغيّر المستوى الاقتصاديّ. وأشارت إلى وجود فروق دالّة إحصائيًّا في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ تُعزى لمتغيّر المستوى التعليمي لأفراد العينة. كما بيّنت النّتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائيّة في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ تُعزى لمتغيّر الجنس (ذكور، إناث)، وفروق تُعزى لمتغيّر العمر وأيضًا فروق تُعزى لمتغيّر الدّيانة.

بناءً على ما سبق نجد أنّ التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسيّ لدى أفراد المجتمع الطّرابلسيّ تتأثّر بالعوامل الديموغرافيّة كالمستوى الاقتصاديّ والمستوى التّعليميّ والجنس والعمر والدّيانة. إذ ما زال المجتمع الطرابلسي رغم التّطوّر العلميّ والانفتاح في مرحلة يمكن تسميتها بالانتقالية، وهي مرحلة غالبًا ما تتميّز بالتذبذب والتردّد بين التعلّق بالماضي وأفكاره ومعتقداته وتصوّراته الاجتماعيّة، وبين تقبّل الجديد

والتّخلّص من الوصم المرتبط بالمرض والعلاج النّفسيّ والاقتناع بأهميّة الصّحّة النّفسيّة وبأنّ المرض النّفسّيّ كأي مرض جسديّ يستدعي التدخّل والعلاج.

## التّوصيات:

في ضوء النّتائج الّتي خلُصت إليها الدّراسة الحالية، توصي الباحثة بالآتي:

- العمل على نشر الوعي بأهميّة الصّحّة النّفسيّة من خلال إقامة ندوات علميّة توعويّة في المؤسّسات التّعليميّة والتّربويّة والاجتماعيّة، تُساهم في تسليط الضّوء على أهميّة العلاج النّفسيّ، ما يُساعد في التّخلّص من المعتقدات الخاطئة والتّصوّرات الذّهنيّة السلبيّة حول العلاج النّفسّيّ.
- تسليط الضوء على أنواع الإضطرابات النفسيّة والأمراض العقلية والفرق بين الطبيب والمعالج النّفسّيّ ومتى يتطلب الأمر اللجوء لأحدهما.
- حث المدارس الرسمية والمؤسسات الرعائية على توظيف اختصاصيين نفسيين لمتابعة التلاميذ نفسّيًّا خلال مسيرة تطورهم ولكي تصبح الثقافة النّفسيّة ثقافة سائدة في المجتمع تبدأ مع الناشئة وتنتقل إلى الأهل وبالتالي للمجتمع.
- تعزيز دور العلاج النّفسّيّ من خلال جعله ثقافة سائدة في المجتمع وتسليط الضوء على الأمراض السيكوسوماتية (النّفس–جسديّة)، أي الأمراض الجسديّة التي يكون منشأها نفسي وليس لها أي أساس عضويّ.
- تقديم برامج توعويّة من خلال إعلام نفسّيّ عبر البرامج التلفزيونية ومختلف وسائل التواصل الاجتماعي يهدف لرفع الوعي بأهميّة العلاج النّفسّيّ، ويسعى إلى تغيير نظرة المجتمع للمرض النّفسيّ باعتباره كأي مرض عضوي آخر يحتاج إلى علاج ومتابعة، لما له من أثر في الصّحّة النّفسيّة والجسديّة لأفراد المجتمع.

كذلك تقترح الباحثة إجراء المزيد من الدّراسات المستقبليّة المماثلة في مناطق مختلفة من لبنان للتعرّف إلى التّقارب والاختلاف في التّصوّرات الذّهنيّة حول العلاج النّفسّيّ بين مختلف المناطق في لبنان.

## قائمة المصادر والمراجع:


- بوصوفة، عبد الوهاب وشرادي، نادية. (٢٠١٦). التصورات النفسية: تشكلها واستحضارها من منظور تحليلي. مجلة آفاق لعلم الاجتماع. الجزائر. المجلد ٦، العدد ٢، ص ص ٧١ – ٨٥.
- بوعافية، إيمان و دراجي، سارة. (٢٠٢١)، التصورات الاجتماعية للفصام لدى طلبة علم النفس– دراسة ميدانية. رسالة ماجستير منشورة. جامعة قالما– ٨ ماي ١٩٤٥. الجزائر.
- دوركهايم، إميل. (١٩٨٢). في تقسيم العمل الاجتماعيّ. ترجمة حافظ الجمالي، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت.
- دوركهايم إيميل.(١٨٩٧). الانتحار. ترجمة حسن عودة عام ٢٠١١، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق.
- ذبيان، زينة (٢٠١٦)، التّصوّرات في النظرة الاجتماعيّة المصابين بمرض نفسي لدى القاطنين في الشوف. رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة اللبنانية، بيروت.
- سلوم، توفيق عبدالله. (٢٠١٩). الاتجاه من ارتياد العيادات النّفسيّة لدى طلبة الجامعة اللبنانية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. المجلد ٣٢، العدد ١٢٠. ص ص ٩٣ – ١٢٢.
- عبد القادر، سيدي عابد (٢٠٢٢) التّصوّرات الاجتماعيّة للعلاج لدى المصابين بالسحر مقاربة نفس– أنثروبولوجية. المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة، الجزائر. المجلد ١٤، العدد ٢، ص ص ١٤٧ – ١٥٦.
- غانم، ابتسام وشلابي، زهير. (٢٠٢٢). التّصوّرات الاجتماعيّة لدور الأخصّائيّ النّفسيّ الإكلينيكي لدى عيّنة من الطلبة الجامعيين. مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، الجزائر، المجلد الثامن، العدد ٢، ص ص ٣٤٨ – ٣٦٨.
- يونس، ليليان. (٢٠٠٦). موقف المجتمع اللبناني من العلاج النّفسيّ. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة اللبنانية، بيروت.


# References:


- Durkheim, Emile. (1967). Sociologie et Philosophie Paris, Presses Universitaire de France ; Bibliothèque de Philosophie, paris, PUF.
- Herzlich, Claudine. (1972). Santé et maladie : Analyse d’une représentation sociale psychologie, paris.
- Jodelet, Denise. (2003). Les représentations sociales. Sociologie d'aujourd'hui. Presses Universitaires de France (PUF).
- Moscovici, Serge. (1976). La psychanalyse Son image et son public. Ed-PUF. Paris.
- Schopenhauer, Arthur. (2018). The World as Will and Representation. Editors and translators: Judith Norman, Alistair Welchman, Christopher Janaway. Cambridge University Press.

## ملحق رقم (١)

## مقياس التصوّرات الذهنيّة حول العلاج النفسيّ

عزيزي/تي المستجيب/ة فيما يلي قائمة مكوّنة من (٥٨) عبارة تُجيب عن خمسة أبعاد، هذه العبارات قد تتوافق مع تصوّراتك وآراءك الشّخصيّة أو قد لا تتوافق. إقرأ كلّاً منها بعنايّة وحدّد درجة توافقها مع رأيك بوضع علامة (X) تحت واحدة من البدائل الأربعة الموجودة أمام كلّ عبارة.

علماً بأنّه لا يوجد إجابة صحيحة وأخرى خاطئة، فالإجابة الصّحيحة هي التّي تعبّر عن وجهة نظرك وتعكس بدقّة رأيك الشّخصّيّ.

| فقرات المقياس | غير موافق كليًّا | موافق كثيرًا | موافق إلى حدٍ ما | موافق كليًّا |
|---|---|---|---|---|
| **البُعد الأول: ماذا تعني لك الصحة العقلية/النفسيّة؟** | | | | |
| إنها أمر بالغ الأهمية | | | | |
| تعني السعادة والفرح | | | | |
| تعني القدرة على التفكير الواضح | | | | |
| تعني القدرة على التفكير الإيجابي | | | | |
| تعني القدرة على النوم | | | | |
| تعني عدم الحاجة للذهاب الى طبيب أو نفسيّ | | | | |
| أعرف ماذا تعني ولكن يصعب شرحها | | | | |
| تعني القدرة على الذهاب الى العمل | | | | |
| **البُعد الثاني: ماذا يعني لك المرض العقلي / النفسيّ؟** | | | | |
| المريض العقلي لديه خلل في منطقة الدماغ | | | | |
| ابتلاء وعقاب من عند الله | | | | |
| المرض العقلي حالة ينصح أن يقوم الطبيب النفسيّ بمعالجتها | | | | |
| المريض العقلي مصاب بمسّ من الجن والسحر | | | | |
| المرض العقلي هو عدم قدرة المريض على إدارة أموره اليومية ويستدعي دخوله إلى المستشفى. | | | | |
| المرض النفسيّ هو حالة من الحزن وعدم توفر أصدقاء. | | | | |
| يُعاني المريض النفسيّ من بعض الضغوطات | | | | |
| المرض النفسيّ هو حالة من عدم التركيز الجيد | | | | |
| حالة نفسية غير مستقرة تنعكس سلباً على الحالة الجسدية والعكس صحيح . | | | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| المرض النفسي ممكن أن يتطور إلى مرض عقلي | | | | |
| المرض النفسيّ هو حالة موجودة منذ الولادة | | | | |
| يعني ضعف الإيمان والبعد عن الله | | | | |
| **البُعد الثالث: ما هو العلاج النفسيّ ؟** | | | | |
| العلاج النفسي يمنح المريض الدعم النفسي | | | | |
| العلاج النفسي إستشارة عند الطبيب النفسي | | | | |
| العلاج النفسي بالرقية والأدعية عند رجل دين | | | | |
| العلاج النفسي من خلال التقرب إلى الله | | | | |
| العلاج النفسي بزيارة أحد العرافين كي يفك عنه مس السحر والجن | | | | |
| العلاج النفسي بالجلسات النفسية عند المعالج النفسي | | | | |
| يمنح المريض الشعور بالراحة والإسترخاء العلاج النفسي | | | | |
| العلاج النفسي يساعد المريض على التخلص من الأفكار السلبية | | | | |
| العلاج النفسي للمريض العقلي لأن له الحقّ في العلاج والرعاية | | | | |
| من الصعب علي تقبل العلاج النفسي حتى لايقال عني (مجنون) | | | | |
| العلاج النفسي هو فقط لحل الأزمات الشديدة المزمنة | | | | |
| دراسة العلاج والطب النفسيّ مضيعة للوقت وهدر للجهد | | | | |
| العلاج النفسي لا بد منه كي لا ينقل المريض العدوى إلى غيره | | | | |
| أعتقد بخطورة الأدوية العلاجية التي يصفها أطباء النفس والأعصاب | | | | |
| لا أؤمن بفاعلية العلاج النفسي فهي مجرد كلام | | | | |
| ما يخيفني من مراجعة الطبيب النفسيّ هو نظرة النّاس لي عندما يعرفون ذلك | | | | |
| العلاج النفسي بالرقية وقراءة الادعية | | | | |
| لا أعتقد بجدوى العلاج النفسي | | | | |
| العلاج النفسي هو بالتقرّب من الله | | | | |
| لا بد من العلاج النفسي حتى لا يتطور إلى مرض عقلي | | | | |
| جلسات العلاج النفسي مكلفة جدا" | | | | |
| العلاج النفسيّ حاجة ضرورية في حالة المرض العقلي/ النفسي | | | | |
| **البُعد الرّابع: هل تنصح أحد المصابين بمرض عقلي/نفسي باستشارة طبيب أو معالج نفسي؟** | | | | |
| لا أنصح بذلك لأنّ أصدقائه سوف يتهمونه بالجنون | | | | |
| أنصحه بالرقية الشرعية عند أحد رجال الدين | | | | |
| أنصحه بشراء دواء للإكتئاب | | | | |
| أنصحه بالذهاب إلى عيادة الطبيب النفسي | | | | |
| أنصحه بالتقرب إلى الله | | | | |
| لا جدوى من العلاج النفسي | | | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| لا بد من العلاج النفسي لإعادة التوازن النفسي للمريض. | | | | |
| أنصحه بالذهاب الى معالج نفسي حتى لا يتطور الى مرض عقلي | | | | |
| **البُعد الخامس: كيف تتصرف عندما تلتقي بمريض عقلي/ نفسي؟** | | | | |
| أحاول الابتعاد | | | | |
| أنظر إلى الآخرين ليتوجهوا نحوي | | | | |
| أشعر بالضيق والإشمئزاز | | | | |
| أحاول مساعدته | | | | |
| أخاف من الإصابة بالعدوى | | | | |
| أخاف منه | | | | |
| أتكلّم معه وأحاول أن أفهم ما يريد | | | | |
| أسخر منه | | | | |

# رقابة الهيئات المستقلة على الموازنة الاتحاديّة: هيئة النّزاهة والكسب غير المشروع أنموذجًا

# Supervision of Independent Bodies on the Federal Budget: The Integrity and Anti-Corruption Commission as a Model

**ستار جبار حمد الزكيطى** *

**أ. د. علي زعلان** **

**Sattar Jabbar Hamad Al_Zigetee**
**Prof. Dr. Ali Zaalan**

**الملخّص:**

تعتبر الموازنة العامة عملًا هامًّا جدًّا في الدولة حيث انها تحقق أهداف الدولة العديدة خاصة في مجالات التنمية، والموازنة العامة في الدولة الاتحادية تأتي تعبيرا عن البرامج المالية للاتحاد الفيدرالي التي تتميز بها عن الدول غير الاتحادية من حيث توزيع الثروات والموارد المالية على الوحدات المكونة للاتحاد الفيدرالي، ومن هنا تعد الموازنة العامة الاتحادية أداة رئيسية لتحقيق انجازات الأداء المالي العام، كما أنها الوسيلة التي تستعملها السلطة التشريعية الاتحادية للاستدلال على كفاءة أجهزتها التشريعية والتنفيذية والرقابية.

وتستخدم الدول الاتحادية معايير رقابية مختلفة لتحقيق غاياتها، وتتمثل رقابتها برقابة تشريعية ومالية وادارية، وهذه الأخيرة تمارسها عبر الأفراد والمؤسسات الإدارية، وهنا حيث تتمحور دراستنا، فمن بين أدوات الرقابة الإدارية على الموازنة الإتحادية نجد رقابة الهيئات والأجهزة المستقلة على الموازنة ونخص بالدراسة رقابة هيئة النزاهة، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة لتكون إضافة متواضعة ضمن الأبحاث التي تناولت موضوع الرقابة وخاصة أن بعض هذه الهيئات كمكاتب التفتيش العام قد توقفت في العراق، إذ لا نرى بأن رقابة هذه الأجهزة وبخاصة هيئة النزاهة على درجة كبيرة من الأهمية وخاصة بعد الأرقام التي تقدمها خلال تقاريرها وخاصة في مجال الفساد.

ومن هذه النقطة صغنا إشكالية دراستنا حول استفسار متعلق بمدى استطاعة هذه الأجهزة وخاصة هيئة النزاهة تحقيق الرقابة الفعالة وبعض الأسئلة الفرعية التي دارت في فلكها، وبالاعتماد على مناهج البحث التاريخي والتحليلي الوصفي

* باحث دكتوراه، كلّية الحقوق، قسم القانون العام/ الجامعة الإسلاميّة في لبنان.
Email: sattarjabbar636@gmail.com
* PhD researcher in Faculty of Law, Department of Public law/ Islamic University of Lebanon.
** أستاذ دكتور، عميد جامعة بابل سابقًا، عميد جامعة الحر حاليًا.
Email: dr.alizalan@alsafwa.edu.iq
* Professor Doctor, former Dean of the University of Babylon, currently Dean of Al-Hurr University.

والقانوني المقارن مع بعض الدول الاتحادية كإنكلترا والولايات المتحدة الاميركية وبعض القوانين الرئيسية كقانون الهيئة رقم ٣٠ لسنة ٢٠١١ وتعديلاتها. وقد قسمنا دراستنا لمطلبين بحثنا في الأول منه الإطار النظري للموازنة العامة في الدول الاتحادية، بحثنا في الموازنة ومضمون رقابة الهيئات المستقلة ورقابة هيئة النزاهة في العراق على الموازنة، وخصّصنا المطلب الثاني لرقابة بعض الهيئات المشابهة في الدول المقارنة، وانتهينا بفقرة تبحث في عيوب هذه الرقابة، وخلصنا في نهاية البحث لخاتمة تضمنت نتائج الدراسة وبعض المقترحات، وكان من بين ما توصلنا إليه أنّ مضمون رقابة الهيئات المستقلة تشمل رقابة قضائية واجارية واستشارية بالإضافة إلى التقارير، كما وجدنا في الإحصاءات الأخيرة لسنة ٢٠٢٣ أنّ الهيئة أنجزت من الشكاوى والإخباريات نسبة ٧٩٪ تقريبًا، وأنجزت من التقارير ما وصل إلى ٩٦٪ بشكل تقريبي كما أنّها حقّقت في العديد من قضايا الفساد عبر تلقي الشكاوى وإعادة الأموال. واقترحنا أن تكون هيئة النزاهة في العراق على غرار مكتب المراقب المحاسب العام في أميركا حيث يتمتع المكتب برقابة سابقة وأخرى لاحقة والتحقيقات تستمر حتى بعد إنجاز الموازنة وليس فقط رقابة تخصص أثناء تنفيذ الموازنة، كما نوصي بإعادة تفعيل مكاتب المفتشين العامين أو تجهيز شيء بما يشابه تلك المكاتب.

**الكلمات المفتاحيّة: رقابة، موازنة عامة، الدول الاتحادية، هيئات مستقلة، هيئة النزاهة، الكسب غير المشروع.**

## Abstract:

The general budget is crucial in any state as it helps achieve multiple national goals, especially in development areas. In a federal state, the general budget reflects the financial programs of the federal union, differing from non-federal states in the distribution of funds and financial resources among its constituent units. Hence, the federal budget serves as a key tool for achieving overall financial performance and is used by the federal legislative authority to assess the effectiveness of its legislative, executive, and supervisory bodies.

Federal states employ different supervisory standards to achieve their goals. The supervisory role involves legislative, financial, and administrative controls, with administrative supervision implemented by individuals and administrative bodies. Our study focuses on this topic, particularly examining the administrative supervision of the federal budget, including scrutiny by independent bodies and agencies, with particular interest in the supervision conducted by the Integrity Commission. This study is crucial as it modestly contributes to research on supervision, especially since some of these bodies, such as the Inspector General's Office, have ceased functions in Iraq. It does not appear that the supervision of these agencies, especially the Integrity Commission, holds great significance, specifically given the figures presented in their reports, especially in the field of corruption.

Henceforth, we focused on the problematic aspect of this study concerning inquiries related to the extent of these agencies' ability, especially the Integrity Commission, to achieve effective supervision and some subsidiary questions within its scope. Relying on historical, descriptive analytical research methods, and comparative legal analysis with federal countries like England and the United States of America, and key laws such as Law No. 30 of 2011 and its amendments, we divided our study into two parts. In the first part, we examined the theoretical framework of the federal general budget, our study of the budget, and the supervision by independent bodies

and the Integrity Commission on the budget in Iraq. In the second part, we examined supervision conducted by some similar agencies in comparative countries and concluded with a paragraph examining the flaws in this supervision. Finally, we concluded our study with a comprehensive summary of findings and proposals.
Among our findings was that the content of supervision by independent bodies includes judicial, financial, and advisory aspects, in addition to reports. According to the latest statistics for the year 2023, the Integrity Commission resolved approximately 79% of complaints and reports and achieved about 96% completion of reports. It also succeeded in addressing numerous corruption cases through receiving complaints and recovering funds. We proposed that the Integrity Commission in Iraq be modeled after the Inspector General's Office in the United States, where the office exercises both prior and subsequent supervision, and investigations continue even after budget completion, not just focusing on supervision during budget execution. Additionally, we suggest reactivating Offices of Inspector Generals or establishing similar entities.

**Keywords: Supervision, General Budget, Federal States, Independent Bodies, Integrity Commission, Illegal Gains.**

## المقدّمة:

تعد الموازنة العامة عملًا حقيقيًّا للأهداف المحددة للسياسة الاقتصادية والمالية للدولة والتي تعبر عن نشاطات الدولة واتجاهاتها في جميع الحقول، واليوم بالطبع تزايدات هذه الحقول والمجالات وتشعبت في مختلف المجالالت السياسية والإدراية والبشرية وغيرها، إذ تعد بمثابة ترجمة للأهداف التي تعمل الدولة على تحقيقها، وتحدد على ضوء هذه الأهداف شروط الإنفاق والجباية وفقًا للقوانين التي تقرها السلطة التشريعية في الدولة، والتي بدورها تؤثر في توجيه الاقتصاد العام (الشعراوي، ٢٠٠٧: ١٥٤ – ١٥٥).

أما الموازنة العامة في الدول الاتحادية، فتعبر عن البرنامج أو الخطة المالية للاتحاد الفيدرالي لتحقيق أهدافها المختلفة، وأما اختلاف الموازنة العامة في الاتحادات الفيدرالية عن غيرها من الدول الموحدة، فيكون من خلال دورها في توزيع الثروات والموارد المالية على الوحدات المكونة للاتحاد الفيدرالي، فضلاً عن إدارة الاختلال في التوازن المالي الأفقي والعمودي، ومصادر الإيرادات والنفقات في كل من الوحدات المكونة للاتحاد الفيدرالي، ودرجة الاستقلال المالي للوحدات المكونة، أو حجم التدخل من قبل الحكومة الاتحادية في إدارة النظم المالية لهذه الوحدات. وتعد الموازنة العامة للدولة الاتحادية الأداة الرئيسة في التحقق من إنجازات الأداء المالي العام، والوسيلة التي تستخدمها السلطة التشريعية الاتحادية، للاستدلال على كفاءة أجهزتها سواء التشريعية أم التنفيذية والرقابية من خلال النظر إلى تفصيلات هذه الموازنة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

من هنا كانت للدول الاتحادية معايير رقابية مختلفة عن باقي الدول لتحقيق هذه الغايات، وتمثلت الرقابة بالرقابة التشريعية، من قبل البرلمان، ورقابة إدارية، من قبل الأفراد والمؤسسات والهيئات الإدارية، ورقابة مالية عبر أجهزة التفتيش المالية، ودراستنا هنا تتمحور حول الرقابة الإدارية وبالأخص رقابة الهيئات والأجهزة المستقلة على الموازنة العامة وذلك في الدول الاتحادية.

**١- مشكلة الدراسة:**

انطلقنا في دراستنا من تساؤل رئيس هو: "إلى أي مدى استطاعت الأجهزة والهيئات المستقلة الإدارية في الدول الاتحادية تحقيق رقابة فعالة على الموازنة العامة؟" وبالطبع تتفرع بعض أسئلة الدراسة عن التساؤل الرئيس وتدور حول المفاهيم النظرية وخاصة المتعلقة بالموازنة العامة في الدول الاتحادية.

**٢- أهمية الدراسة:**

وتأتي أهمية الدراسة في أنّ الرقابة على الموازنة العامة تعد أبرز التحديات التي تواجهها الدول الاتحادية وخاصة العراق*، وهي تؤثر على نجاح هذه الدول واستمرارها، فنجد بعض الدول نهضت من بعد حروب كبرى وتحولت لدول كبرى (ألمانيا وسويسرا والولايات المتحدة الاميركية وروسيا)، أو ناجحة (اليابان ماليزيا)، أو اقتصادية ذات جذب قوي (الإمارات العربية المتحدة)، بينما لا تزال بعض الدول تواجهة صعوبات عديدة في هذا المضمار، كالعراق، وخاصة من حيث رقابة الاجهزة والهيئات المستقلة، بالتالي جاءت أهمية الدراسة العملية كونها إضافة متواضعة ضمن الأبحاث التي تناولت موضوع الرقابة على الموازنة والإيرادات في العراق وذلك بمقارنتها ببعض التجارب الدولية الناجحة في هذا الإطار للوقف على العقبات التي تحول دون نجاحها في العراق.

**٣- مناهج البحث:**

اتبعنا خلال الدراسة بداية المنهج التاريخي لبيان تطور الموازنة العامة الاتحادية تاريخيًا، وأيضًا المنهج التحليلي والوصفي لوصف الحالة ومناقشتها، والمنهج القانوني المقارن وخاصة بين العراق وبعض الدول الاتحادية خاصةً بريطانيا وأمريكا، وبعض القوانين الرئيسية كقانون الهيئة رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١.

* تبنى النظام العراقي نظام الاتحاد المركزي الفردالي بعد العام ٢٠٠٣ حيث صدر قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية (٢٠٠٤) والذي تبنى النظام كنظام دستوري في العراق لاول مرة في تاريخه السياسي، ثم صدر دستور عام ٢٠٠٥ الذي نص في مادته الاولى "جمهورية العراق دولة اتحادية واحدة مستقلة..".

**٤- نطاق البحث:**

تدور دراستنا حول الهيئات المستقلة في العراق والتركيز كان على هيئة النزاهة في العراق، وبعض الهيئات المماثلة في بعض الدول الاتحادية مثل المراقب العام في إنكلترا، والمراقب المحاسب العام في الولايات المتحدة الامريكية، بالتالي كانت الرقابة على الموازنات الاتحادية.

**٥- أهداف البحث:**

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- بيان دور الهيئات المستقلة، وخاصة هيئة النزاهة في الرقابة على الموازنة العامّة الاتحادية، تحديدًا في العراق.
- بيان دور كلًّا من المراقب العام والمراقب المحاسب العام في الرقابة على الموازنة العامة الاتحادية في كل من إنكلترا والولايات المتحدة الأميركية.

**٦- خطة البحث:**

لغرض الإحاطة بالدراسة قمنا بتقسيمها وفق مطلبين:

المطلب الأول: الإطار النظري للموازنة العامة في الدّول الاتحادية.

المطلب الثاني: رقابة الهيئات المستقلة في بعض الدول الاتحادية المقارنة.

## المطلب الأول: الإطار النظري للموازنة العامة في الدول الاتحادية

لم تكتفِ أغلب الدول بالرقابة التقليدية التي تضطلع بها السلطتين التشريعية والتنفيذية، إنّما أوجدت هيئات رقابية مستقلة تقوم بالرقابة على الموازنة العامة للدولة من جوانب عدة، وقد شكلت الدول طرقًا مختلفة في تنظيم أجهزتها الرقابية المستقلة فبعضها نظمها في شكل إدارات حكومية، كما هو الحال عليه في الدول الأنجلوسكسونية كالمملكة المتحدة، في حين أخذ البعض الآخر بالمحاكم القضائية كما هو عليه الحال في النظام اللاتيني، فقد حرصت أغلب البلدان على أن يقوم بالرقابة أجهزة فنية مستقلة تُعنى بالجانب المالي وتستطيع الرقابة على صرف الموازنة في الجوانب المالية الصحيحة بشكل يحقق أهداف الدولة في التنمية، ولكي نوضح ذلك سيتوجب علينا بداية تعريف الموازنة العامة في الدول الاتحادية وتطورها ثم بيان رقابة الهيئات المستقلة ومضمونها على الموزانة العامة. أخيرًا، في نهاية المطلب سنتطرق لدراسة رقابة الهيئات في العراق قبل الانتقال والخوض في دراسة رقابة الهيئات في الدول الاتحادية المقارنة، لذا سنقوم بتقسيم

هذا المطلب كما يلي:

**الفرع الأول: الموازنة العامة في الدول الاتحادية:**

سنبحث هنا بداية في التطور التاريخي للموازنة العامة في الدول الاتحادية؛ ثم نتطرق إلى تعريفها كما يلي:

**أولاً: التطور التاريخي للموازنة العامة الاتحادية:**

لم تنشأ الموازنة العامة بمفهومها العلمي المعاصر إلا بعد نشوء المجتمع وتطوره، فعندما كان المجتمع يعيش حياة قبلية بدائية لم يكن للموازنة أي دور، يذكر، ولكن بعدما انتظم المجتمع بشكله الحديث، وظهر مفهوم الدولة، التي تسير أمورها الحكومة عن طريق صرف النفقات والتفكير بمصادر الإيرادات اللازمة لتغطيتها، زاد الاهتمام بالموازنة بشكل كبير (آل علي، ٢٠٠٢: ٣١٩).

وتعد الموازنة العامة في الوقت الحالي ضرورة لا غنى عنها لكل دولة من دول العالم أيًّا كان نظامها السياسي وشكل الحكومة الموجودة فيها، وتعد الموازنة الأداة التي تسير الوزارات والمصالح والمؤسسات التي من دونها يصعب أن تسير سيرًا منتظمًا، ويصعب أيضًا على الدولة القيام بالوظائف الموكلة إليها (عصفور، ٢٠٠٨: ١٥).

وتختلف الموازنة العامة في الدول العادية عنها في الدول الاتحادية، والعراق منها، حيث شكّل شيوع النظام الفيدرالي والاتحادي في العديد من دول العالم، وما أفرزته من معطيات ونتائج سواء في مجال الاستقرار وتوافر الأمن أو في مجال التنمية بكل جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، عوامل شجعت على الأخذ بهذا الشكل من التنظيم للدولة. وبسبب اختلاف أوضاع البلدان التي اعتمدت النظام الاتحادي في جوانب التكوين العرقي أو الديني أو بسبب الجوانب الاقتصادية والثروات، فقد تباينت أشكال هذه الفيدراليات وأسس إقامتها، وأنماط ممارسة السلطة فيها، تبعًا لأوضاع تلك البلدان.

تاريخيًا تعد الولايات المتحدة الأمريكية قد حققت نجاحًا متميزًا في تأسيس نظام اتحادي استوعب المستويات المتعددة من السلطة، وكان ذلك على أثر قيام الثورة الأميركية، ونتيجة لذلك أصبح العالم مقبلًا على تحولات واسعة في نطاق النظم والسلطات السياسية، حيث أقامت الولايات المتحدة المستقلة حديثًا الكونفدرالية عام ١٧٨١، لكن جوانب النقص فيها أدت، في العام ١٧٨٩ إلى تحولها على أثر مؤتمر فيلادلفيا عام ١٧٨٧ إلى صياغة أول دستور فيدرالي حديث. وفي أوروبا حولت سويسرا نظامها الكونفدرالي إلى نظام فيدرالي في العام ١٨٤٨ (خضر، ٢٠١٨: ١).

أصبحت كندا ثالث دولة اتحادية حديثة في العام ١٨٧٦، وكما تم في العام ١٨٧١ توسيع فيدرالية

شمال ألمانيا التي كانت قد تأسست في العام ١٨٦٧ لتضم الولايات الألمانية الجنوبية، وأصبحت أستراليا في عام ١٩٠١ دولة فيدرالية كاملة، بجانب ذلك تبنت بعض جمهوريات أميركا اللاتينية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، أنظمة فيدرالية في محاولة لتقليد فيدرالية الولايات المتحدة الأمريكية.

تطورت الاتحادات الفيدرالية في العالم وأخذت به الكثير من الدول، حيث أن إسبانيا بموجب دستور ١٩٧٨ أصبحت نظامًا فيدراليًا، بلجيكا حولت دستورها ليصبح فيدراليًا بالكامل في عام ١٩٩٣، وجنوب أفريقيا أقرت بها في عام ١٩٩٦.

لقد دخل العراق في القرن الحادي والعشرين ضمن الدول الاتحادية، عندما أقر الدستور الدائم لجمهورية العراق في عام ٢٠٠٥، وبحسب ما نصت المادة (١) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥على أن: (جمهورية العراق دولة اتحادية واحدة مستقلة، ذات سيادة كاملة، نظام الحكم فيها نظام، جمهوري، نيابي، ديمقراطي، وهذا الدستور ضامن لوحدة العراق)*.

تختلف النظم المالية في الدول الاتحادية بتعدد الدول التي أخذت بها، وعليه لا يوجد نظام واحد بمقدوره التحكم وتنظيم العلاقات المالية بين المستويات الحكومية المتعددة، بصورة عمودية أو أفقية (بين الولايات أو الأقاليم الفيدرالية)، وإنما عولجت كل مشكلة وفقًا لمنظور خاص حدد في دستور تلك الدول أو قوانينها. واحدة من المعضلات التي واجهت، وما تزال تواجه، البلدان التي اتخذت من الفيدرالية شكلًا للدولة هي تمركز الثروات في أقاليم من الدولة وافتقار أقاليم أخرى لها، ما يجعل من الاختلاف في مستوى التطور الاقتصادي بين أقاليم الدولة الفيدرالية أمرًا واردًا، فضلًا عن كل ما يترتب على ذلك من تعزيز مكانة دور الأقاليم الغنية في مراكز صنع القرار.

ومرتكز تنظيم الاتحاد الفيدرالي يتجسد بمنح الأقاليم بعضًا من الاستقلال المالي، كجزء من الشخصية المعنوية لها ضمن مفهوم الدولة المركبة، الذي يرتكز على إعداد الموازنة لتمويل جزء منها عن طريق إيرادات الضرائب المباشرة وغير المباشرة، والرسوم وإيرادات الأملاك العامة والخدمات التي تقدم للمواطنين، وإيرادات المعاملات التجارية والمصرفية ضمن حدود الإقليم، فضلًا عن المنح والمساعدات التي تقدمها الحكومة الاتحادية.

وطبعاً هذا لا يعني بطبيعة الحال الاستقلال المالي التام بحيث يعطيها السلطة الكاملة لإقرار موازنتها، من دون الرجوع إلى مصادقة السلطة الاتحادية التنفيذية والتشريعية بهدف توحيد موازنات الأقاليم في الموازنة الاتحادية، وتأمين سبل تمويلها على وفق الموارد المالية المتاحة والمخطط لتوفرها، ومن دون

* المادة الأولى من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ النافذ.

ذلك سوف تظهر حالات اختلال في إعداد الموازنات بشقيها الاتحادية والأقاليم، لاسيّما في مجال عجز الإيرادات المتحققة عن تغطية النفقات المخططة، وهو ما يؤدي إلى إرباك عمل السلطات التنفيذية في الحكومة الاتحادية وفي حكومات الأقاليم.

**ثانيًا: تعريف الموازنة العامة الاتحادية:**

تمثل الموازنة العامة للدول الوثيقة الأساسية لدراسة المالية العامة في أية دولة من الدول، سواء كانت دولة بسيطة أم اتحادية، إذ أنها تشمل مختلف بنود الإنفاق العام وكيفية توزيع موارد الدولة على كافة المستويات، فضلًا عن أنها تبين لنا كيفية حصول الدولة على مختلف الإيرادات العامة التي تمول بها الإنفاق. لذلك للموازنة العامة الاتحادية دور رئيس ومهم جداً في مالية الدول الاتحادية، فبموجب قانون الموازنة العامة، تقدر الإيرادات وتفصل كيفية توزيعها وإنفاقها على المستويين الاتحادي والإقليمي. كما أن الدول الاتحادية تتميز عن الدول البسيطة، بوجود عدة موازنات فيها على قدر الأقاليم، والوحدات المكونة للاتحاد الفيدرالي. وتستند الموازنات الاقليمية على الحصة المحددة لكل إقليم ضمن الموازنة العامة الاتحادية. وهذه الموازنات الإقليمية تأخذ نفس الإجراءات المتبعة عادة، في إعداد الموازنات العامة الاتحادية، وتستند في ذلك على التشريع الإقليمي في الإعداد والإجازة.

**فقهًا**؛ عرفت الموازنة العامة بأنها: "وثيقة تم التصديق عليها من السلطة التشريعية المختصة لتحديد نفقات الدولة وإيراداتها أثناء فترة زمنية معينة" (مصطفى، د.ت.: ٧٥)، كما تعرف على أنّها: "جرد النفقات والإيرادات المزمع تحقيقها خلال مدة معينة من طرف شخص أو مجموعة أشخاص وهي تعني بالنسبة للدولة إجمالي الحسابات التي ترسم لسنة واحدة الموارد والأعباء الدائمة (الجنابي، ٢٠٠٣: ٢٧١).

وعرف البعض الموازنة العامة الاتحادية، أنّها " تشريع مالي تضعه الحكومة الاتحادية، تقدر فيه النفقات والجباية تحت اسم مشروع الموازنة العامة يتم إقراره في البرلمان الاتحادي يجيز للحكومة الاتحادية الجباية والإنفاق. وهذا بمجموعه يكون متلائمًا مع السياسة المالية للدولة بفرعيها الانفاقي والإيرادي (الجنابي، ٢٠٠٧: ١٠٤).

**من خلال ما سبق** نلاحظ أن البعض ركز على الجانب المالي أو المحاسبي، والبعض ركز على الجانب التشريعي، واهتم آخرون بالأهداف التي تحققها الدولة من خلال الموازنة العامة، أو من حيث الطبيعة المالية للموازنة العامة.

**تشريعياً**؛ اختلف تعريف الموازنة العامة للدولة في القوانين المالية لدول العالم المختلفة وكما يأتي:

**عرفها التشريع الروسي** بأنّها "الخطة المالية الرئيسية لتكوين الصندوق المركزي العام للدولة واستخدامة

من الموارد النقدية للدولة الروسية الاتحادية". كما **عرفها القانون الامريكي** بأنّها "صك تقدر فيه نفقات السنة التالية وواردتها بموجب القوانين المعمول بها عند التقديم واقتراحات الجباية المعروضة فيها". كما **عرفت وزارة المالية الاتحادية في دولة الإمارات العربية المتحدة** الميزانية العامة هي "البرنامج المالي للحكومة الاتحادية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال التوزيع الأمثل والاستخدام الكفء للموارد، في إطار الاستراتيجية الاتحادية، على المصروفات المتوقع إنفاقها بواسطة الجهات الاتحادية خلال سنة مالية مقبلة على أن يراعى توازنها إيرادًا ومصروفًا" (الموقع الإلكتروني لوزارة المالية في الإمارات العربية المتحدة).

أخيرًا؛ عرفها قانون أصول المحاسبات رقم ٢٨ لسنة ١٩٤٠ المعدل في العراق بأنّها: "الجداول المتضمنة تخمين الواردات والمصروفات لسنة مالية واحدة تعين في قانون الميزانية (الشعراوي، ٢٠٠٧: ١٥٣ ؛ سلوم، ٢٠٠٧: ٩٦).

ووفقاً لما سبق نستنتج؛ أنه بشكل عام ترتكز الموازنة العامة الاتحادية على ركيزتين اساسيتين، هما التوقع والإجازة، فالتوقع هو بيانات لتوقعات ما تنفقه وتحصله السلطة التنفيذية في المركز والوحدات المكونة للاتحاد الفيدرالي، من ايرادات خلال فترة قادمة تقدر بسنة، وهي تقدير احتمالي للنفقات والإيرادات قابلة للزيادة أو النقصان، أمّا الاجازة فيقصد بها التصديق من قبل السلطة التشريعية أو المخولة بالتشريع، على مشروع الموازنة العامة الذي تقدمه الحكومة، وتعتبر الإجازة شرطا أساسيًا لنفاذ مشروع الموازنة العامة ويصبح المشروع بعد الإجازة قانونًا، يتيح للحكومة إنفاق المصروفات وتحصيل الإيرادات.

ومن التعاريف السابقة يمكن استخلاص تعريف للموازنة العامة على أنها: "أحد الأدوات الهامة لسياسة الدولة التي تستخدمها لتنفيذ اختياراتها، وتتضمن تقديرات للنفقات والإيرادات العامة لسنة قادمة، اذ تحتاج إلى إجازة وموافقة أعلى سلطة تشريعية لصدورها بقانون ملزم للسلطة التنفيذية، وكذلك تعد خطة مالية عاكسة لأهداف الدولة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي ترغب الدولة في تحقيقها".

**الفرع الثاني: مفهوم رقابة الهيئات المستقلة على الموازنة العامة:**

لعل زيادة الحاجات العامة وتشعبها وكثرة المسؤوليات والالتزامات الملقاة على عاتق الدولة الحديثة هي ما يبرر تدخلها المتزايد لتأدية وظائفها، اتساع نطاق عملها هذا أدى إلى إضافة نفقات وايردات جديدة لموازنة الدولة، هذا الأمر أدى إلى ضرورة وجود رقابة تفصيلية وفعالة ومستقلة لضمان حسن استعمال الأموال العامة، فوجدت أجهزة وهيئات مستقلة للرقابة بوصفها وسيلة من وسائل الحماية بمعناها الواسع. وتتحقق الرقابة المستقلة على الموازنة العامة عندما يعهد أمر تنفيذها إلى هيئة فنية متخصصة ينشؤها

القانون ويحدد نظامها ويمنحها الشخصية المعنوية واستقلالًا حقيقيًّا في تصريف شؤونها الإدارية والمالية (الجنابي، ٢٠١٥: ١٨٣).

وجاءت التشريعات الرقابية والمالية خالية من بيان المراد بمفهوم الرقابة المستقلة لهذه الهيئات، ولكن فقهًا ذهب أحد الفقهاء إلى أنّها " الرقابة التي تقوم بها هيئة مستقلة عن السلطة التنفيذية غير متأثرة بكل من السلطتين التشريعية والتنفيذية تتولى رقابة تنفيذ الموازنة العامة وتعرض نتائجها على السلطة التشريعية التي يعود إليها كلمة الفصل في الموضوع" (عواضة، ١٩٩٥: ٢٧٦).

ويرى البعض بأنّها "رقابة هيئات ينشؤها القانون ويحدد نظامها بحيث لا يجوز للسلطة التنفيذية أن تعدل هذا النظام بإرادتها المنفردة ويمنحها الشخصية المعنوية واستقلالًا حقيقيًّا في تصريف شؤونها الإدارية والمالية" (القاضي، ١٩٨٠: ٣١٣).

نرى من التعريف الأول بأنه عرف الرقابة بتكوين عناصرها فبين بأنها هيئات مستقلة تمارس رقابة إدارية. وهي رقابة أثناء تنفيذ الموازنة ولكن كلمة الفصل في النهاية تعود إلى السلطة التشريعية. في حين ركز التعريف الثاني على الجانب التشريعي لهذه الرقابة والهيئات. وركز كلا التعريفين على الجانب الاستقلالي الضروري لممارسة هذه الهيئات لعملها.

ونرى بأن رقابة الهيئات المستقلة هي عبارة عن مهمة إشراف ومراجعة من جهات إدارية نشأت بقانون ومستقلة عن السلطتين التشريعية والتنفيذية بغرض معرفة كيفية سير الأعمال ومراجعتها بحسب الأهداف الموضوعة لها.

وتتمتع هذه الهيئات في الحقيقة باختصاصات واسعة منها ما هو إداري ومنها ما هو قضائي لتتمكن من التدقيق في الحسابات العامة من خلال مراجعة مستندات التحصيل والصرف لكشف ما قد يشوبها من مخالفات وأخطاء تنحرف بتنفيذ الموازنة العامة عن المسار الذي أقرّه البرلمان أو قد تكون مخالفة للقوانين واللوائح الخاصة بتحصيل الإيرادات وكيفية إنفاقها ثم تضع تقريرًا مفصلًا عن رقابتها حتى تتمكن السلطة التشريعية ورئيس الدولة من الاطلاع على كيفية سير تنفيذ الموازنة وما قد شابها من انحراف عن الخط المرسوم لها (عطية، ٢٩٦٩: ٥١٤).

وتمتد رقابة هذه الهيئات إلى تقويم أداء ومستوى كفاءة الجهات القائمة على التنفيذ فضلًا عن أن الهيئات المستقلة تضطلع ايضا بدور استشاري هام، لذا فإننا سنبين مضمون رقابة هذه الهيئات من خلال الاختصاصات والصلاحيات الممنوحة لها:

١- **الاختصاص القضائي:** منحت التشريعات المختلفة لهيئات الرقابة على الموازنة العامة صلاحيات

قضائية للتحقيق في المخالفات المتعلقة بالتنفيذ وتوقيع الجزاءات المناسبة على مرتكبي المخالفات المالية من محاسبين عموميين وغيرهم من ذوي الاختصاص في تنفيذ الموازنة العامة من آمرين بالصرف ومحصلين وتكون العقوبة في العادة إمّا بالتعويض أو بالغرامة أو الاثنين معًا، وفي حالة ارتكاب جرائم مالية فإن هذه الهيئات تحيل مرتكبيها إلى المحاكم المختصة (شكري، د.ت. : ٧٨).

٢- **الاختصاص الإداري:** حيث تقوم هذه الهيئات بالنظر في القضايا الخاصة بالتنفيذ وتصدر قرارات إدارية للفصل في التظلمات التي تقدمها أجهزة الدولة المختلفة عن طريق مفوض الحكومة ضد آمري الصرف والمحاسبين وغيرهم من محصلي الإيرادات في حالة ارتكاب بعضهم الأخطاء أو الانحرافات عن مسار التنفيذ.

٣- **الاختصاص الاستشاري:** تمارس الهيئات المستقلة وظائف استشارية مختلفة يمكن إجمالها بالآتي (العمري، ١٩٨٨: ٤٣٦):

أ- إبداء الرأي في التشريعات المالية والحسابية إذ تبدي هذه الهيئات رأيها في القوانين واللوائح الخاصة بالجباية بالانفاق من تلقاء نفسها أو بناءً على طلب من السلطة الرئاسية في الدولة، كما يجوز لهذه الهيئات أن تقدم الاقتراحات اللازمة لتعديل بعض التشريعات المالية إذا رأت أن ذلك يخدم متطلبات تنفيذ الموازنة العامة بصورة أفضل وأكثر اقتصادًا وعليها في المقابل تبرير اقتراحاتها.

ب- إبداء الرأي في المواضيع التي تطلبها السلطة التنفيذية.

٤- **التقارير التي تصدر عن الهيئات الرقابية المستقلة:** حيث تقدم أجهزة أو هيئات الرقابة تقارير سنوية أو فصلية، فضلًا عن تقاريرها الخاصّة الموجهة إلى سلطات أو جهات مختلفة في الدولة على النحو الآتي (الجنابي، ٢٠١٥: ١٨٨):

أ- هيئات تقدم تقاريرها إلى رئيس الدولة والبرلمان كديوان الرقابة المالية في العراق* .

ب- هيئات تقدم تقاريرها إلى كل من البرلمان ورئيس الدولة ووزير المالية وباقي الوزراء كالجهاز المركزي للمحاسبات في مصر*.

ج- هيئات تقدم تقاريرها إلى كل من رئيس الدولة ومجلس الوزراء ووزير المالية والوزراء المختصين كمحكمة

* انظر المادة (٢٨/اولا-أ) من قانون ديوان الرقابة المالية في العراق رقم (٣١) لسنة ٢٠١١.

* هو هيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية عامة تتبع رئيس الجمهورية وتهدف اساسا الى تحقيق الرقابة على اموال الدولة واموال الاسخاص العامة الاخرى كما تعاون مجلس الشعب في القيام بمهامه في هذه الرقابة. انظر المادة (١) من القانون قانون الجهاز المركزي للمحاسبات المصري رقم (١٤٤) لسنة ١٩٨٨، معدلة بالقانون رقم (١٥٧) لسنة ١٩٩٨، الجريدة الرسمية، العدد٢٤/تابع أ في ١٩٩٨/٦/١١. وفيما يخص بارسال التقارير انظر م(١٨) من القانون ذاته.

المحاسبات في فرنسا (الساطي، ١٩٨٦: ٦١)*.

وعليه؛ نلاحظ أن مضمون رقابة الهيئات المستقلة متنوع، فهو يشمل رقابة قضائية واخرى ادارية إلى جانب الدور الاستشاري الهام الذي تضطلع به هذه الهيئات ولا ننسى تقديم التقارير السنوية والفصلية، وينتج عن هذه الرقابة اصدار احكام تتضمن عقوبات مختلفة إلى جانب الملاحظات والاستشارات المتعلقة بتنفيذ الموازنة العامة في تقارير متعددة تنشرها عن طريق وسائل النشر الرسمية (شكري، د.ت.: ٨١٠).

**تاريخيًا؛** ظهرت في فرنسا أوائل هذه الهيئات الرقابية في عهد الملك سانت لويس سميت غرفة المحاسبة أهمها في باريس سنة ١٢٥٦ إلى أن وصلت إلى محكمة المحاسبات، وفي بريطانيا أنشأت هيئة الرقابة المالية عام ١٨٦٦، وفي الولايات المتحدة صدر قانون إجراءات الموازنة والمحاسبة سنة ١٩٥٠، وفي العراق أنشأ أول جهاز رقابي سمي ديوان مراقب الحسابات العام سنة ١٩٢٧ ثم تطور الحال بإنشاء ديوان الرقابة المالية سنة ١٩٦٨ وختم التطور بصدور قانون جديد لهذا الديوان سنة ٢٠١١ وتعديلاته، وفي سوريا إنشاء ديوان المحاسبات سنة ١٩٣٨ وتطور ليحمل اسم الجهاز المركزي للرقابة المالية في سنة ١٩٦٧ وفي مصر أنشئ ديوان المحاسبات سنة ١٩٤٢ تطور ليكون الجهاز المركزي للمحاسبات سنة ١٩٦٤ وفي لبنان أنشئ ديوان المحاسبة سنة ١٩٥١ وعدل سنة ١٩٥٩، وفي الأردن أنشأت دائرة تحقيق وتدقيق الحسابات سنة ١٩٣١ وأصبحت ديوان المحاسبة في سنة ١٩٥٩(الزهاوي، ٢٠١٤: ٦٨).

**الفرع الثالث: رقابة الهيئات المستقلة في العراق:**

جاء ذكر الهيئات المستقلة في الفصل السابع من دستور ٢٠٠٥ بنص المادتين (١٠٢) و(١٠٣) وورد ذكر هيئة النزاهة في المادة (١٠٢) وديوان الرقابة المالية في المادة (١٠٣) وهما تعدان جهتان رقابيتان مستقلتان تخضعان لرقابة مجلس النواب حسب نص نفس المادتين أنفتي الذكر، لذلك سنستعرض رقابة ديوان الرقابة المالية حسب أسبقية الوجود وسعة التطبيق فديوان الرقابة المالية موجود في العراق منذ عام ١٩٢٧ بموجب القانون رقم (١٧) لسنة ١٩٢٧ باسم ديوان مراقب الحسابات العام بينما تأسست هيئة النزاهة بعد العام ٢٠٠٣ بموجب أمر سلطة الائتلاف رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٤.

لم يعرف النظام الرقابي المالي في العراق قبل عام ٢٠٠٣ غير رقابة ديوان الرقابة المالية، وأنشأت هيئة النزاهة والكسب غير المشروع في العراق بالأمر الصادر من سلطة الائتلاف المؤقتة رقم ٥٥ لسنة ٢٠٠٤ وأشار لها نص المادة (١٠٢) من دستور عام ٢٠١١ النافذ كإحدى الهيئات المستقلة التي تخضع

*هي محكمة ادارية يتم تنظيمها على نسق المحاكم القضائية حيث تتكون من عدد من القضاة غير اقبلين للعزل يتم تعيينهم بمرسوم صادر عن رئيس الجمهورية وتتشكل من دوائر عدة يرأس كل منها مستشار ويعمل بها عدد من المحاسبين يقومون بتحضير التقارير الفنية وترفع تقاريرها الى البرلمان والحكومة وتنشرها في الجريدة الرسمية.

لرقابة مجلس النواب، وأحال النص الدستوري تنظيم أعمالها بقانون، وفعلا صدر القانون رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١، وحددت كل التشريعات السابقة وظيفتها ومهمتها بالمساهمة في مكافحة الفساد الذي استشرى بعد العام ٢٠٠٣ ومحاربته بوسائل قانونية ووسائل إعلامية وتربوية وتثقيفية مختلفة.وفيما يلي نبين مهام وواجبات هذه الهيئة ووسائلها:

**أولاً: مهام وواجبات هيئة النزاهة والكسب غير المشروع**

اختص القسم الرابع من قانون الهيئة رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١ بتحديد اختصاصاتها وواجباتها في المادة (٣) من القانون أنف الذكر والتي يمكن حصرها بما يأتي (الجنابي، ٢٠١٥: ٢١٩):

– التحقيق في قضايا الفساد المالي والإداري المشكوك فيها طبقا لإحكام قانونها بواسطة محققين، تحت إشراف قاضي التحقيق المختص وفقًا لأحكام قانون أصول المحاكمات الجزائية، التي يمارسها موظفو ومنتسبو الدولة كقبول الهدايا والرشاوي واستخدام أساليب المحسوبية والمنسوبية والتمييز في التعامل مع المراجعين على أساس عرقي أو طائفي أو قبلي، أو استخدام الأموال العامة لغير الأغراض المخصصة لها واستغلال السلطة والنفوذ الرسمي لتحقيق مآرب شخصية وإحالتها إلى المحاكم المختصة لاتخاذ الإجراءات الجنائية بحقها.

– توظف الهيئة مدقق محاسبات مالية ومحققين من الدرجة الأولى ويخول المحقق من الدرجة الأولى بموجبه ممارسة الصلاحيات المكفولة في القانون العراقي لمحقق المحكمة، وله أن يمارس تلك الصلاحيات في أي منطقة في العراق، وعلى القاضي أن يتعامل مع اي استمارة أو طلب ام اقتراح أو معلومات أو استمارة طلب أو التماس يرد له من محقق من الدرجة الأولى بنفس الطريقة التي يتعامل بها مع كل ما يرد له من محقق المحكمة.

– تصدر الهيئة لوائح تنظيمية ملزمة تقتضي من المسؤولين الكبار في الدولة الكشف عن مصالحهم المالية وتكون لهذه النواتج قوة القانون وفعاليته وتعدل من وقت لآخر وفقًا لما تراه المفوضية مناسبًا لتحقيق الأغراض المنشودة منها.

– تصدر الهيئة قواعد السلوك لتوضيح معايير السلوك الأخلاقي التي يجب أن يلتزم بها موظفو الحكومة العراقية والتشديد عليها وتتشاور الهيئة مع المركز الوطني للاستشارات وتطوير الإدارة الحكومية أثناء مراجعتها لقواعد السلوك.

– للهيئة أن تقترح تشريعات قانونية إضافية أو تعديل تشريعات نافذة على مجلس النواب لغرض القضاء

على الفساد وتنمية ثقافة النزاهة والخضوع للمحاسبة.

– وللهيئة إعداد برامج عامة للتثقيف والتوعية لموظفي الحكومة وعقد ندوات شعبية واسعة لتثقيف الجماهير على كيفية المطالبة بحكومة عادلة ونزيهة تخضع للمحاسبة.

**ثانياً: الوسائل التي تتبعها هيئة النزاهة والكسب غير المشروع في الرقابة:**

هناك العديد من الوسائل التي تمارسها هيئة النزاهة والكسب غير المشروع من أجل مباشرتها لاختصاصها وتحقيق أهدافها، كان من بينها التقارير التي يرفعها المفتش العام إلى الهيئة* والتي الغيت بموجب قانون* ، أمّا الوسائل الأخرى فهي:

١- **الشكاوى والإخباريات:**

تنظر هيئة النزاهة والكسب غير المشروع بجميع الشكاوى والإخباريات التي ترد إليها من المواطنين، أما مباشرة من المواطنين أو من قبل الموظفين الحكوميين، عن أية قضية تتعلق بالفساد المالي والإداري، أو عن طريق وسائل الاعلام المختلفة، اضافة إلى البلاغات التي تتلقاها من ديوان الرقابة المالية في حالة اكتشاف مخالفة مالية أو وجود أسباب معقولة أو أمور مالية غير نظامية، أو في حالة وجود خلافات بين ديوان الرقابة المالية وإحدى الوزارات أو أي كيان حكومي آخر، فللديوان مفاتحة الهيئة مباشرة من أجل مباشرة التحقيقات (أحمد، ٢٠١٦: ٨١).

وفي تقرير نصف السنوي الصادر عن هيئة النزاهة لعام ٢٠٢٣ نجد أنه قد بلغ عدد الإخبارات المسجلة خلال النصف الأول (١-٦) لسنة ٢٠٢٣ (١٣٥٠١) إخبارًا، أنجز منها (٧٣٨٧) إخبارًا اي بلغت نسبة الإخبارات المنجزة (٥٤.٧١٪)، بينما بلغت الإخبارات المدورة من العام الماضي (٢٠٢٢) (٦٤٩٣) اخبارا، وباضافتها تكون الهيئة قد عملت على الإخبارات المنفذة لسنة ٢٠٢٣ والإخبارات المدورة عن السنة السابقة (١٩٩٩٤) إخبارًا أنجز منها (١٠٧٣٧) بنسبة إنجاز بلغت (٥٣.٧٪) (**التقرير نصف السنوي لهيئة النزاهة الاتحادية للمدة (١/٢-٢٠٢٣/٦/٣٠)**: ١٥).

أما في التقرير السنوي لعام ٢٠٢٣ فقد بلغ عدد الإخبارات المسجلة (٢٤٨٤٧) إخبارًا أنجز منها (١٨٨٦٨) بنسبة بلغت (٧٥.٩٤٪) وباضافة الإخبارات المدورة وعددها (١٠١٩٦) إخبارًا تكون الهيئة قد عملت على (٣٥٠٤٣) إخبارًا أنجز منها (٢٧٧١١) إخبارًا بنسبة بلغت ٧٩.٠٨٪ ونلاحظ أنها نسبة أعلى

*هناك نوعان من التقارير يقوم مكتب المفتش العام بإعدادها، التقارير العادية عن الحالات التي تعرض امامه، والتقرير النهائي السنوي، وقد أشار القسم الثالث من الامر رقم (٥٧) لسنة (٢٠٠٤) اليها. أمّا النوع الثاني من التقارير، فهو التقرير النهائي السنوي، حيث يقوم مكتب المفتش العام في نهاية كل سنة مالية بإعداد تقريره السنوي، الذي يتضمن مجمل نشاطات المفتش العام خلال تلك السنة، فضلاً عن ذلك تتضمن تقارير المراجعة والتدقيق المالي، ويتم رفع هذا التقرير إلى هيئة النزاهة، انظر: القسم التاسع من الامر رقم (٥٧) لسنة (٢٠٠٤).

*تضمن صدور قانون حل مكاتب المفتشين العموميين رقم ٢٤ لسنة ٢٠١٩، انظر جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤٥٦٠، بتاريخ ٢٠١٩/١٠/٢٨.

مما أنجز في التقرير نصف السنوي **(التقرير نصف السنوي لهيئة النزاهة الاتحادية للمدة (١/٢-٢٠٢٣/٦/٣٠)**: ١٥).

وقد بلغ عدد الإخبارات والقضايا الجزائية التي طلب إعداد تقارير تدقيق مالي بصددها خلال النصف الأول من عام ٢٠٢٣ (٣٤٨) إخبارًا وقضية جزائية كما هو مبين في الجدول الآتي:

| المصدر | العدد الكلي | المنجز | قيد الإنجاز | نسبة الإنجاز |
|---|---|---|---|---|
| الإخبارات | ٢٦٢ | ٢٣٦ | ٢٦ | ٪٩١.٦٧ |
| القضايا الجزائية | ٨٦ | ٨٣ | ٣ | |
| المجموع | ٣٤٨ | ٣١٩ | ٢٩ | |

**المصدر: التقرير نصف السنوي لهيئة النزاهة الاتحادية العراقية للمدة (١/٢-٢٠٢٣/٦/٣٠)**: ١٦.

في حين أن تقرير السنة ٢٠٢٣ كاملة جاءت مرتفعة عن تقرير نصف السنة بالشكل الآتي:

| المصدر | العدد الكلي | المنجز | قيد نجاز | نسبة الإنجاز |
|---|---|---|---|---|
| الإخبارات | ٥٧٩٨ | ٥٥٢٩ | ٢٦٩ | ٪٩٥.٧٥ |
| القضايا الجزائية | ١٨٣٣ | ١٧٧٨ | ٥٥ | |
| المجموع | ٧٦٣١ | ٧٣٠٧ | ٣٢٤ | |

المصدر: التقرير السنوي لهيئة النزاهة الاتحادية العراقية لسنة ٢٠٢٣: ٣٤.

**٢- التحقيق في قضايا الفساد (العكيلي، www.nazaha.iq/search_web/law/2.pdf)**:

قد منح القانون هيئة النزاهة والكسب غير المشروع سلطة التحقيق في القضايا المتعلقة بالفساد، وإحالتها إلى المحاكم المختصة لاتخاذ الإجراءات الجزائية بشأنها* . ويتميز اختصاص هيئة النزاهة في مجال التحقيق الجزائي بأنه استثنائي ومشترك وحصري، يعتبر اختصاص الهيئة استثنائياً لأنه جاء استثناءً من القواعد العامة، فينبغي حصره بأضيق نطاق، إذ يدخل الاختصاص في تلقي الشكاوى والإخباريات وملاحقة الجرائم في الأصل في صميم عمل مراكز الشرطة ومحققي المحكمة تحت اشراف قاضي التحقيق ورقابة الادعاء العام، لذلك فإنّ اختصاص الهيئة يعتبر استثناءً من ذلك الأصل العام.

أما الاختصاص المشترك فهو اختصاص غير حصري للهيئة، بل أن الهيئة تشترك فيه مع الجهات الأخرى، التي يحددها القانون بسلطة تلقي الإخباريات والشكاوى والتحقيق فيها، فلا تنفرد الهيئة بهذا الاختصاص، فلا يمنع كون الدعوى من قضايا الفساد قيام قاضي التحقيق بإجراء التحقيق فيها، من دون

*المادة (٢١) خامساً، من قانون هيئة النزاهة رقم (٣٠) لسنة (٢٠١١).

أن يتوقف ذلك على أذن الهيئة أو موافقتها. ولهيئة النزاهة اختصاص حصري أي محدد بنص المادة الأولى من قانون هيئة النزاهة* ، فلا يجوز للهيئة مباشرة التحقيق في غير تلك الجرائم، وإلا خرجت من اختصاصها وتعدت على اختصاص غيرها من الجهات.

وتباشر الهيئة العليا لمكافحة الفساد برئاسة رئيس الهيئة وعضوية المديرين العامين لدائرتي التحقيقات والاسترداد في الهيئة مهمتها بإنجاز التحقيق في قضايا الفساد المهمة المودعة لدى ميدريات ومكاتب التحقيق في الهيئة التي تنطبق عليها معايير (حجم المال المختلس أو المهدور، خطورة منصب المتهم، حجم الضرر الواقع على المؤسسة أو المال العام) ضمن سقف زمني محدد وبأيسر الطرق وأسرعها قانونًا، وبالاطلاع على تقرير الهيئة النصف سنوي لعام ٢٠٢٣ لاحظنا الآتي (التقرير نصف السنوي لهيئة النزاهة الاتحادية العراقية للمدة (٢/١-٢٠٢٣/٦/٣٠): ٧):

- من حيث القضايا الجزائية والشكاوى والإخباريات: بلغ عدد القضايا الجزائية المقدمة (١٢٣) قضية، عدد القضايا المحالة إلى محكمة الموضوع (٢٣) قضية، عدد الإخباريات والشكاوى قيد التحري والمتابعة (٨) إخبارات.
- من حيث الأموال المعادة: بلغ مجموع الأموال المستردة (٣٨٢) مليار دينار عراقي، و(٩) عقارات بدون تحديد قيمتها، وعقار بقيمة (٥٠٠) ألف دولار أميركي، وسيارة مرسيدس (جي كلاس موديل ٢٠٢١)، أمّا الأموال التي مُنع هدرها فبلغت (٨٢) مليار و(٦٢٤) مليون دينار عراقي تقريبًا، و(١٢٥٠٠٠٠) مليون دولار أميركي، وقطعة ارض تبلغ مساحتها (٢٨٨٠) متر مربع ذات موقع مميز في محافظة الديوانية، ومنع الاستيلاء على عقار واحد، فضلا وضع اليد على (٧٠) الف إضبارة عقار في محافظة الأنبار.
- فيما يخص أوامر القبض، بلغت أوامر الاستقدام (٥٩) أمر نفذ منها (٤٥) فقط، بلغ عدد أوامر القبض القضائية (٦٩) نفذ منها (٢٢)، بلغ عدد عمليات الضبط بالجرم المشهود (١٠)، وأسفر تنفيذها عن ضبط أموال قيمتها (١٦٠٠) مليار وستمائة مليون دينار عراقي و(٦٠٠٠٠) ستون ألف دولار أميركي وموجودات ذهبية غير محددة القيمة.
- دوليًا بلغ عدد أوامر القبض الدولية للمتهمين الهاربين خارج العراق (١٠) أوامر، وعدد المساعدة القانونية

*المادة الأولى، من قانون هيئة النزاهة رقم (٣٠) لسنة (٢٠١١) تنص على :".... دعوى جزائية يجري التحقيق فيها بشأن جريمة من الجرائم المخلة بواجبات الوظيفة وهي الرشوة والاختلاس وتجاوز الموظفين حدود وظائفهم، وأية جريمة من الجرائم المنصوص عليها في المواد٢٣٣ و٢٣٤ و٢٧١ و٢٧٢ و٢٧٥ و٢٧٦ و٢٩٠ و٢٩٣ و٢٩٦ من قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل، وأي جريمة اخرى يتوفر فيها احد الظروف المشددة المنصوص عليها في الفقرات ٥ و٦ و٧ من المادة ١٣٥ من قانون العقوبات النافذ المعدلة بالقسم (٦) من القانون التنظيمي الصادر عن مجلس الحكم المنحل الملحق بأمر سلطة الائتلاف المنحلة المرقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٤.

المتعلقة بحجز الأموال المهربة خارج العراق (٣) طلبات، أمّا قيمة أموال الفساد المهبة خارج العراق فبلغت (٩٥٠٠٠٠٠) تسعة ملايين وخمسمائة ألف دولار أميركي وأربع عقارات.

كما أن الهيئة العامة للنزاهة في إقليم كوردستان العراق تمارس عملها ضمن حدود الإقليم، فقد أنشئت بموجب القانون رقم (٣) لسنة (٢٠١١)، وهي هيئة مستقلة ذات شخصية معنوية، تخضع لرقابة البرلمان الكوردستاني، ولها تخصيصات ضمن الموازنة العامة للإقليم* ، وتعمل الهيئة على تثبيت آلية فعالة لتكريس مبدأ سيادة القانون ومكافحة ظاهرة الفساد، ودعم مبدأ الشفافية وتعزيزه في مؤسسات الإقليم جميعها من خلال اتخاذ الإجراءات القانونية، واعتماد معايير موضوعية لتقويم الأداء وتطويره في الخدمة العامة، والقضاء على الروتين الإداري وتقويم السلوك الوظيفي*.

وتسري أحكامه على رؤساء السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية وأعضائها والعاملين فيها وأطراف القطاع الخاص المتعاقدة أشخاصاً وشركات مع الوزارات ومؤسسات ودوائر الإقليم كافة، والتنظيمات السياسية ومنظمات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية والدولية العاملة في الإقليم الاتحادات والجمعيات والنوادي فيما يتعلق بقانونية مصادر التمويل والتبرع، وأوجه الإنفاق وفقًا للقواعد المتبعة في الصرف، ومراعاة الأنظمة الداخلية الخاصة بها وعدم مخالفتها*. وبشكل عام تتطابق الإجراءات والأساليب الرقابية المتبعة في الهيئة العامة للنزاهة في إقليم كوردستان، مع هيئة النزاهة الاتحادية.

**٣- إصدار لوائح تنظيمية ملزمة:**

نصت اللائحة التنظيمية للهيئة رقم (١) لسنة ٢٠٠٥ التي تأتي تنفيذا لما جاء بالأمر (٥٥) لسنة ٢٠٠٤ "يقوم أول رئيس للمفوضية خلال (٣٠) يوما من توليه لمنصبه بإصدار لوائح تنظيمية تقتضي من الأشخاص الذين تسري وتنطبق عليهم هذه اللوائح أن يقوموا كحد أدنى بالكشف سنويا عن المعلومات المطلوبة وتقديمها على الإستمارة الملحقة بهذه الوثيقة، كذلك أكد هذا الطلب قانون هيئة النزاهة رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١ النافذ على الهيئة وجوب مراجعة التقارير التي يقدمها المسؤولين عن مصالحهم المالية وتدقيق المعلومات الواردة فيها والتحقيق فيها للتأكد من الامتثال" لمتطلبات الكشف عن المصالح المالية وبعكسه ترفع الهيئة امر من تحقق له كسبا غير مشروع إلى قاضي التحقيق الذي يقيم المكلف ضمن اختصاصه المكاني لينظر في تكليفه بإثبات مصادر مشروعة لهذا الكسب المتحقق في أمواله أو أموال زوجته وأموال

* المادة (٢) من قانون الهيئة العامة للنزاهة في اقليم كوردستان رقم (٣) لسنة (٢٠١١).
* المادة (٣) من القانون نفسه.
* المادة (٤) من قانون الهيئة العامة للنزاهة في اقليم كوردستان رقم (٣) لسنة (٢٠١١).

أولاده التابعين له خلال مدة لا تقل عن (٩٠) يومًا (الجنابي، ٢٠١٥: ٢٢٥).

## المطلب الثاني: رقابة الهيئات المستقلة في بعض الدول الاتحادية المقارنة:

تشكّل الرقابة اللاحقة للأجهزة المساندة للمؤسسة التشريعية مجالًا خصبًا لإعمال وتعزيز الرقابة السياسية لها على الأعمال الحكومية، فتقارير الأجهزة المحاسبية تُجلي حقيقة الإنفاق العام وسلامة الصرف، والمخالفات التي شابت تنفيذ المخصصات والاعتمادات المالية. ولبيان هذه الرقابة، سنبحث بداية في الرقابة من قبل هذه الهيئات في بعض دول المقارنة على الموازنة بشكل عام، ثم نخصص فرعًا لدراسة رقابة هذه الهيئات في كل من إنكلترا وأمريكا، ثم أخيرًا نبحث في عيوب هذه الرقابة كما يلي:

### الفرع الأول: رقابة الهيئات في الدول الاتحادية على الموازنة بشكل عام:

تمثل المحاسبة الحكومية جزءًا هامًا من نظام الرقابة الذي تعتمد عليه الإدارة المالية العامة في الدول الاتحادية، إذ إن النظام المحاسبي الكفوء يعتبر ضروريًا لتقديم البيانات الملائمة جميعها والموثوق فيها إلى مسؤولي هذه الإدارة لاستخدامها في أنشطتها بكفاءة وفعالية، وتعتبر الموازنة العامة للدولة أداة هامة في النظام الرقابي الحكومي، كما وتقوم المحاسبة الحكومية بالتركيز على بيان نتائج تنفيذ هذه الموازنة وتوفير المعلومات ضمن تقاريرها المختلفة بكل كفاءة وفعالية وتساعد البيانات المالية السلطة التشريعية في الرقابة على أنشطة الحكومة، الأمر الذي ساعد هذه السلطة على محاسبة الحكومة ومساءلتها عن أي تقصير (حجازي، ١٩٩٨: ٥).

ولتقارير الأجهزة المحاسبية بعد سياسي، يتمثل بالتحقق من الإنفاق الفعلي ومتابعة تنفيذ ما ورد في الموازنة العامة ورصد الانحرافات إن وجدت، وتزويد الهيئات التشريعية بالتقارير الدورية حولها، وهذا من شأنه تعزيز الرقابة السياسية على المؤسسة الحكومية. ونرى في هذا السياق إلى الضرورة القصوى لاستقلال المؤسسة المحاسبية ورئيسها من حيث طريقة التعيين والصلاحيات المناطة بها، وألا تخضع لأي مؤثرات حكومية لضمان قيامها بأعمالها على أكمل وجه، وبدون هذا الإستقلال فإن الدور المساند للمؤسسات التشريعية سيتضاءل.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الأجهزة هو المحاسب أو **المراقب العام في المملكة المتحدة**، وهي مؤسسة مهمة للغاية في العمل البرلماني البريطاني، وتتمثل مهام المحاسب العام بالمراجعة والتصديق على قائمة طويلة من الحسابات الحكومية ويقدم تقاريره إلى البرلمان، ومع ذلك فإن المحاسب العام يختص أيضًا بالتقويم المالي للاقتصاد البريطاني عموماً، وكفاءة استخدام موارده في الهيئات الإدارية جميعها، كما ويتصدى

المحاسب العام لأي موضوع ويجري تحقيقاً فيه ويصدر تقريرًا عنه إلى لجنة الإنفاق العام في مجلس العموم، ويتمتع المحاسب العام باستقلالية واسعة وهناك علاقة تساند بين المحاسب والمجلس (سيلك، والتر، ٢٠٠٤: ٧٥).

**وفي ألمانيا**، يتمتع أعضاء ديوان المحاسبة الاتحادي باستقلالية القضاء بموجب المادة ١٤٤ فقرة ٢ من القانون الأساسي لجمهورية ألمانيا الاتحادية، ويقوم بتدقيق الحسابات، وكذلك التأكد من الجدوى الاقتصادية للموازنة ونظاميتها وتدبيرها الاقتصادي، وعليه أن يقدم تقريره السنوي مباشرة إلى المجلس النيابي الاتحادي وإلى المجلس الاتحادي بالإضافة إلى الحكومة.

**أما في الولايات المتحدة**، فنجد أن قانون ضبط الميزانية والاحتجاز الصادر عام ١٩٧٤ قد أنشأ لجان موازنة في مجلسي النواب والشيوخ ومكتباً للموازنة في الكونجرس، وفضلاً عن ذلك فقد سمح القانون لمكتب المحاسبة الحكومي بسلطة أكبر لتقدير كيفية إنفاق الفرع التنفيذي للمخصصات المالية التي يحددها الكونجرس (Elowitz, 1992: 152).

وفي **الإمارات العربية المتحدة** نرى أن هذه الوظيفة موكولة لجهاز ديوان المحاسبة (النقبي، ٢٠١٦: ٥٢)*، حيث يقوم ديوان المحاسبة في سبيل تحقيق أهدافه بالرقابة المالية ورقابة الأداء على نتائج تنفيذ الميزانية العامة للدولة، بالإضافة إلى التحقق من كفاءة النظام المالي والمحاسبي المطبق في الجهات الخاضعة للرقابة آخذًا في الاعتبار بأفضل الممارسات والمعايير الدولية ذات الصلة، ويتولى الديوان المهام التالية: الرقابة المالية والقانونية، رقابة الأداء، التحقيق في المخالفات المالية ومتابعتها، الرقابة على نظم المعلومات (ديوان المحاسبة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٢٢: ص١٠).

ويمارس الديوان الرقابة على تنفيذ الموازنة العامة عبر التقارير، حيث يعد التقرير من أهم المخرجات المحسوسة للعمل الرقابي، فهو يمثل خلاصة العمل الذي يقوم به الجهاز الرقابي خلال عام إذا كان التقرير سنوياً، أو خلاصة العمل الفردي لحساب معين إذا كان التقرير خاصًا، والتقرير يمثل حصيلة الاستنتاجات والتوصيات والاقتراحات والمسؤوليات المترتبة على المخالفات التي يصل إليها الديوان، كما يبين أوجه القصور وعناصر الضعف للإدارات والجهات الخاضعة لسلطة الديوان وكيفية معالجة القضايا المختلفة، ولا يقل التقرير في أهميته عن العمل الرقابي بحد ذاته، إذ أن مجرد العمل والوصول إلى النتائج لا يكفي دون

*نص دستور الامارات العربية المتحدة لسنة ١٩٧٦ على ضرورة انشاء ديوان للمحاسبة على المستوى الاتحادي وبناء عليه صدر القانون الاتحادي رقم ٧ لسنة ١٩٧٦ متضمنا انشاء هذا الديوان الذي كفل له القانون جميع الضمانات اللازمة للمحافظة على استقلاله عن السلطة التنفيذية من النواحي الوظيفية والعضوية والمالية وعهد اليه بمهمة الرقابة المالية الخارجية والحقه بالمجلس الوطني الاتحادي الذي يمثل السلطة التشريعية في الدولة، وفي اطار عمليات الاصلاح التي قامت على الديوان صدر القانون الاتحادي رقم ٨ لسنة ٢٠١١ بإعادة تنظيم ديوان المحاسبة في دولة الامارات العربية المتحدة.

تعبير وصياغة الأفكار بموجب قالب مكتوب ولا يمكن أن يكون التقرير مكتملًا إلا إذا كان مدعمًا بأدلة الإثبات والبيانات الإحصائية (جابر، ٢٠٠٤: ١٨٠).

وينص القانون الاتحادي رقم ٧ لسنة ١٩٧٦ بأن "يضع رئيس الديوان تقريرًا سنويًّا عن كل حساب من الحسابات الختامية للجهات الخاضعة لرقابة الديوان تعرض فيه الملاحظات واوجه الخلاف التي تقع بين الديوان والجهة المعنية، ويقدم هذا التقرير قبل الموعد المقرر لاعتماد الحساب الختامي الذي يتعلق به ذلك التقرير إلى المجلس الوطني الاتحادي ويبلغ إلى كل من المجلس الأعلى للاتحاد ورئيس الدولة ومجلس الوزراء، واذا كان التقرير يتعلق بمؤسسة أو شركة وجب تبليغه أيضًا إلى إدارة المؤسسة وإلى الجمعية العمومية للشركة قبل انعقادها لإقرار الميزانية والحسابات الختامية بثلاثين يومًا[*].

كما نص القانون الاتحادي رقم (٨) لسنة ٢٠١١ على أنه "يضع الديوان نتائج رقابته على الجهات الخاضعة للرقابة في شكل تقارير تتضمن ملاحظاته وطلباته بشأنها ويبلغها إلى الجهات المعنية وذلك على النحو التالي: تقارير مبدئية بالنتائج التي أسفرت عنها عمليات الرقابة ويبلغها إلى الوزراء المختصين ورؤساء الجهات الخاضعة لرقابته.. وتقرير نهائي بنتائج مراجعة مشروع الحساب الختامي العام للدولة ومشروع قانون اعتماده تعرض فيه الملاحظات واوجه الخلاف التي تقع بين الديوان والجهة المعنية، ويتضمن رأي الديوان في المركز المالي الحقيقي للدولة ونتائج تقويم اداء الجهات الاتحادية التي تشملها الميزانية العامة للدولة، ويرسل هذا التقرير إلى وزارة المالية وذلك في موعد لا يتجاوز شهر من تاريخ ورود الحساب الختامي كاملا للديوان وترفع نسخة منه إلى كل من مجلس الوزراء والمجلس الوطني، بالاضافة إلى تقارير نهائية بنتائج تدقيق الميزانيات وتقارير سنوية وتقارير خاصة وغيرها"[*].

**الفرع الثاني: رقابة الهيئات في إنكلترا وأمريكا:**

وهنا سنبحث في رقابة كلا من رقابة المراقب العام في إنكلترا ومكتب المراقب ثم نبحث في عيوب هذه الرقابة كما يلي:

**أولًا: المراقب العام في إنكلترا:**

يعد المراقب العام في المملكة المتحدة نموذجا فريدًا لدور هيئات الرقابة المستقلة في الدول الأنكلوسكسونية وقبل الدخول في بيان صلاحيات واختصاصات المراقب العام نود الإشارة إلى أن الجهة الرئيسية المكلفة بمراقبة استخدام الاعتمادات المقررة وفحص جميع حسابات الحكومة هي لجنة الحسابات

[*] نظر المادة (١٢) من القانون الاتحادي رقم ٧ لسنة ١٩٧٦.
[*] أنظر المادة (١٠) من القانون الاتحادي رقم ٨ لسنة ٢٠١١.

العامة وهي إحدى اللجان البرلمانية المتخصصة يتولى رئاستها أحد زعماء المعارضة ممن يتمتعون بدراية واسعة في الشؤون المالية والمحاسبية (شهاب، ١٩٨٨: ٣٨٢).

على أن اللجنة في اعلاه لا تمارس رقابتها منفردة أنما تستعين بموظف خاص يطلق عليه تسمية (المراقب المحاسب العام) وهو كما عرفه البعض من خاص يطلق عليه تسمية (المراقب المحاسب العام) ومن خلال التعريف الوارد في اعلاه يمكن تحديد أبرز صفات وخصائص المراقب العام في إنكلترا بالآتي (شباط، ١٩٩٧: ٣٦٢).

١-تمتع المراقب العام بالاستقلال التام في عمله.

٢-عدم خضوعه لأي من السلطتين التشريعية والتنفيذية كونه معين بإرادة ملكية ومكلف من البرلمان، وبالتالي فلا يتأتى للملك عزله من منصبة إلا بطلب من البرلمان عن طريق خطاب اتهام.

٣-يتصف المراقب المالي بصفتين فهو مراقب ومراجع في الوقت نفسه.

ومن الجدير الإشارة إلى أن المراقب العام يمارس رقابة سابقة على الصرف من جهة ولاحقة عليه من جهة اخرى، اذ تعرض عليه اوامر الصرف الصادرة عن الوزراء بعد أن يصادق عليها وزير المالية فيدققها ليرى مدى تطابقها للقوانين التي تحكمها فإذا وافق على اذن الصرف اعتاده إلى وزارة المالية التي ترسله بدورها إلى بنك إنكلترا (مستودع اموال الحكومة) الذي يخصص فيه حساب مستقل لاعتمادات الموازنة العامة لا يمكن السحب منه إلا بإذن المراقب العام، وفي هذه الحالة ينقل البنك المبالغ المسموح بصرفها إلى حساب مفتوح باسم المحاسب العام التابع لوزارة المالية والذي تسند إليه مهمة تنفيذ أوامر الصرف الجزئية الخاصة بالوزارات المختلفة في حدود المبلغ الذي وافق عليه المراقب العام (شباط، ١٩٩٧: ٣٦٣).

ويباشر المراقب العام رقابته على الإدارات الحكومية المختلفة من خلال موظفين تابعين لجهازه موزعين على هذه الإدارات مهمتهم مراجعة تفاصيل الإنفاق وعلى أساس مراجعتهم يصدر المراقب العام تقاريره التي يرسلها إلى مجلس العموم فتقوم (لجنة المحاسبات العامة) بفحصها، فضلًا عن ذلك فإن لدى المراقب العام صلاحية محاسبة موظفي الحكومة القائمين على الجباية (شهاب، ١٩٨٨: ٣٨٢).

وهكذا فإن الرقابة المستقلة في إنكلترا تجمع بين الرقابة التي يمارسها المراقب العام مباشرة والرقابة اللاحقة التي تمارسها (لجنة المحاسبات العامة)، فضلًا عن سلطة الإبراء والإدانة التي يتمتع بها ديوان المراقب العام.

**ثانيًا: مكتب المراقب المحاسب العام في الولايات المتحدة الأمريكية:**

تمارس الرقابة المالية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية هيئة أنشات بموجب قانون الموازنة الذي صدر في سنة (١٩٢١م) تسمى بمراقب المحاسب العام( http:www.gao.gov/ about/iudex.htm:)* ، وهي هيئة فنية متخصصة تتمتع بالاستقلالية عن الأجهزة التنفيذية وتتولى وظائف الرقابة المالية على أنشطة الحكومة نيابة عن الكونغرس*.

وقد زاد الاهتمام بالرقابة المالية في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة الأزمة الاقتصادية العالمية في عام (١٩٢٩م) وما بعدها حيث صدرت العديد من القوانين في مجال الرقابة، وهنا انبرى دور الهيئة عام (١٩٧٢م) عندما قامت بتدقيق وثائق فضيحة وترغيب وفي العام (١٩٨٦) عهدت الهيئة إلى فريق من المختصين بالتحقيقات للنظر في الدعاوى المحتملة في المخالفات الجرمية (قلعاوي، ٢٠٠٤: ٥٦).

لذا سنتناول هذا الموضوع في فقرتين نعرض في الأولى لتنظيم مكتب المراقب المحاسب العام، في حين نكرس الثانية لبيان وظائفه واختصاصاته وهو ما سنبحثه بالتفصيل وعلى النحو الآتي:

**١- تنظيم مكتب المراقب المحاسب العام:**

تعمل هيئة الرقابة المالية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة المراقب المحاسب العام ونائبة ويعين المراقب العام ونائبة من رئيس الجمهورية بعد ترشيح وموافقة مجلس الشيوخ ويمارس كل منها وظيفته لمدة خمس عشرة سنة ولا يعزلان خلال هذه المدة إلا بقرار مشترك من مجلس الشيوخ والنواب وإن لطول فترة تعيين المراقب العامة ونائبة ميزة الاستمرارية القيادية في هذه الهيئة والتي نادرًا ما تطبق في الدوائر الأخرى. ويرتبط بالمراقب العامة ثلاثة مكاتب هي مكتب تكافؤ الفرص، ومكتب العلاقات مع الكونكرس، فضلا عن مكتب المعلومات ويساعده في أداء مهماته كل من (قلعاوي، ٢٠٠٤: ٥٩):

أ- المجلس العام للمستشارين.

ب- مساعدين يتولى كل منهم نشاط معين وهم كل من (مساعد المراقب العام للبرامج الخاصة، مساعد المراقب العام لسياسة وتخطيط البرامج ومساعد المراقب العام للخدمات الإدارية).

في حين تتولى الرقابة على الأموال العامة تسعة أقسام يختص كل منها برقابة نشاط معين وهي (شمس الدين، ١٩٧٧: ٢٣٥):

- **قسم الموظفين الفيدراليين والأجور**: ويختص بمراجعة برامج أنشطة الحكومة في مجال إدارة الموظفين

* إذ يوفر مكتب المراقب المحاسب العام دعم ومساندة للكونكرس في مواجهة مسؤولياته الدستوري يوفر للكونكرس المعلومات السريعة والمهمة في مجالات متعددة منها الرقابة على الموازنة العامة للدولة.

* Report of the Committee Homeland Security and Governmental Affairs, United States Senate to accompanys. 237, Government Accountabtihy Office Improvement Act of 2011, p.2.

الفيدراليين.

- **قسم دراسات الإدارة العامة والإدارة المالية:** ويختص بالتعاون مع الحكومة في تحسين نظم الضرائب والموازنة ونظم المحاسبات كما يتولى تجهيز البيانات إلكترونيًا.
- **قسم الحكومة العامة:** ويخص بمراجعة عمليات حسابات الخزانة ووزارتي التجارة والعدل.
- **قسم الإمدادات الحربية:** ويخص بمراجعة برامج عمليات أنشطة الإمدادات الحربية والاتصالات.
- **قسم القوى العامة والرفاهية:** ويختص بمراجعة البرامج والعمليات الخاصة بالقوى العامة والصحة والتعليم وأمن وسلامة السلع الاستهلاكية.
- **قسم التوريدات ونظام الشراء:** ويختص بمراجعة سير التوريدات الخاصة بالحكومة الفيدرالية.
- **قسم الموارد والتنمية الاقتصادية:** ويختص بمراجعة العمليات الخاصة بالموارد والتنمية الاقتصادية في وزارات الزراعة والاسكان وتنمية البيئة والداخلية والنقل ووكالة الطاقة الذرية.
- **قسم النقل والمطالبات:** ويختص بمراجعة الحسابات المدفوعة مقابل نقل البضائع والأشخاص للحكومة وتسوية المدفوعات التي تدخل في اختصاص الهيئة وكذلك النظر في التفسيرات القانونية الخاصة بالقضايا التي تعرض على الهيئة بخصوص النقل.
- **قسم العمليات الميدانية:** يتولى عمليات المراجعة التي يكلف للقيام بها من الأقسام الأخرى.

**٢- وظائف المكتب واختصاصاته:**

تقوم هيئة الرقابة على الأموال العامة في الولايات المتحدة الأمريكية بتحديد شكل وأسلوب حسابات الإدارات وأصول مراقبتها وفحص المستندات والتحقق من تحصيل الواردات ودفع النفقات ومتابعة تنفيذ القوانين المالية والاقتصادية واقتراح النظم المحاسبية الكفيلة بزيادة كفاية الجهازين المالي والمحاسبي اذ يتمتع المراقب المحاسب العام بسلطات واسعة في هذا المجال (Elililly, 1977 – 1978: 5).

كما تقوم بتقديم المعلومات والبيانات التفصيلية الكافية للكونكرس لتمكينه من تحقيق رقابته التي يمارسها على برامج وأنشطة الحكومة الفيدرالية ومناقشة التخصيصات المالية التي تتقدم بها في اطار موازناتها وكذلك الحال في حالة الاختلاف في تفسير بنود الموازنة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، ويمتد اختصاص الهيئة إلى تقديم كفاية الإدارة وتحليل نتائج وفعالية البرامج والأنشطة التي تقوم بها الحكومة (قلعاوي، ٢٠٠٤: ٥٩).

وتمارس الهيئة نوعين من الرقابة هما:

**النوع الأول:** الرقابة السابقة تمارس الهيئة رقابة مستقلة على عمليات اخراج الأموال العامة حيث يجب اخذ موافقة مصلحة المحاسبة بعد أن يكون وزير المالي قد وقعها ويوقعها المحاسب العام وتمسك سجلات الحسابات للاعتمادات التي يكون قد اقرها الكونكرس للتأكد من تطبيق نص الدستور، بل لا يسحب مال الخزينة إلا بناء على اعتماد القانون كما يقتضي اخذ موافقة المحاسب العام قبل الآمرين بالصرف ورؤساء المصالح والمؤسسات العامة للتثبت من قانونية صرف كل مبلغ ومن توفر الاعتماد وقانونية العمليات المالية (العموري، ٢٠٠٥: ١٩٥).

**النوع الثاني:** الرقابة اللاحقة تقوم الهيئة بممارسة الرقابة من خلال فحص الحسابات بعد الصرف وتحديد المبلغ المسؤول عنه كل امر صرف لتقرر صحة الحسابات أو العكس، وتحصيل الأموال التي يمكن أن تترتب على ذمة المسؤولين عن الصرف ويمكن للمحاسب أن يقرر عدم اعتماد بعض المصروفات غير القانونية وقراره نافذ ونهائي بالنسبة للسلطة التنفيذية وليس لغير المحاكم أو الكونكرس الحق بإلغائه (قلعاوي، ٢٠٠٤: ٥٩).

كما تمارس الهيئة سلطة توجيهية عن طريق اقتراح شكل وأساليب النظم المالية والمحاسبية في الدولة وسلطة استشارية عن طريق إبداء الرأي في المسائل المالية المعروضة عليها، كما وتقوم بإعداد تقارير رقابة ومراجعة (Federal Document Clearing House, 2005: 1-20)*، وتقارير اقتراح تعديل التشريعات والأنظمة المالية والادارية كي تقدم إلى الكونغرس ولجانه المتخصصة، فضلًا عن تقارير أخرى ترسل إلى الأجهزة والوكالات الحكومية الفيدرالية في القضايا ذات الاهتمام في مراجعات أو توجيهات أو استشارات للمقارنة في تعديل التشريعات والأنظمة المالية والإدارية (العموري، ٢٠٠٥: ١٩٥).

ونجد الاختلاف بين الدول الاتحادية وخاصة الأنجلوسكسونية كما في النظام المتبع للهيئات المستقلة في الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا عن النظام اللاتيني كما في فرنسا ولبنان في النقاط الآتية:

- تعد محكمة المحاسبات الفرنسية وديوان المحاسبة اللبناني هيئة قضائية مستقلة مثلها مثل المحاكم العادية يقوم عليها قضاة يتمتعون بكافة مزايا القضاة العاديين وتتمثل الحكومة فيها من خلال النيابة العامة واحكام المحكمة قابلة للتنفيذ، بينما تعتمد النظم الأنكلوسكسونية على الرقابة الإدارية التي تمارسها هيئات تتبع السلطة التشريعية.

* من هذه التقارير التقرير الذي قدمه مكتب المراقب المحاسب العام حول صرف الولايات المتحدة لبلايين الدولارات على اعادة اعمار العراق رغم انشغالها في مواجهة المقاومة العراقية مما تطلب اعارة اهتمام كبير لصرف مبالغ كبيرة على توفير الامن عن طريق التعاقد مع الشركات الامنية الخاصة لتهيئة امنة لإعادة الاعمار اذ ايد التقرير ما قامت به الحكومة من اجراءات في هذا الصدد غير انه انتقد اعمال هذه الشركات لأنها لم تكن بالمستوى المطلوب مما يتطلب التدخل لتعديل العقود التي ابرمت معها.

- تقتصر رقابة محكمة المحاسبات الفرنسية وديوان المحاسبة اللبناني على المحاسبين العموميين ولا يمتد اختصاصها القضائي إلى الآمرين بالصرف والموظفين الإداريين في حين يشمل اختصاص هيئات الرقابة في الأنظمة الأنكلوسكسونية جميع القائمين بإدارة الأموال العامة.
- تمارس محكمة المحاسبات الفرنسية وديوان المحاسبة اللبناني رقابة مستنديه فقط على الحسابات العامة وكذلك الحال بالمراقب العام بإنكلترا، في حين يمارس مكتب المراقب العام في الولايات المتحدة الأمريكية الرقابة المستندية على الكفاءة والأداء.
- تتبع أجهزة الرقابة في الدول الأنكلوسكسونية السلطة التشريعية تبعية مباشرة في حين أن محكمة المحاسبات الفرنسية وديوان المحاسبة اللبناني يساعدان بالبرلمان في رقابة الأموال العامة إلا أنها تتخذ قراراتها بحق الحسابات والمحاسبين دون الرجوع إلى البرلمان.

أن الاختلافات أعلاه كما نرى تعود إلى الاختلاف بين النظم من الناحية الدستورية والقانونية والإدارية حيث يعتمد كل نظام أسلوب الرقابة الذي يتناسب مع أوضاعه العامة.

**الفرع الثالث: عيوب نظام هيئات الرقابة المستقلة:**

من الجدير بالذكر أن عوامل نجاح هيئات الرقابة المستقلة أن نشوءها في الغالب كان في الدول التي لها تقاليد برلمانية عريقة، فقد حقق مثلًا نظام الأمبودسمان في السويد قدرًا كبيرًا من النجاح جهازًا من أجهزة السلطة التشريعية وممثلًا بالبرلمان، حيث يستمد نفوذه الأدبي من سلطة البرلمان ويعمل على حماية مبدأ المشروعية ضمانًا لحقوق الأفراد وحرياتهم كما أنه ييسر على البرلمان مهمة الحصول على البيانات الدقيقة (Guillen, 1982: 312).

وعلى الرغم من كل المزايا التي امتاز بها نظام رقابة الهيئات المستقلة، وعلى الرغم ممّا حققه من حماية لحقوق الأفراد وحرياتهم واشعارهم بكرامتهم وإنسانيتهم وضمان احترام الإدارة لمبدأ المشروعية، يمكن أن تثور بعض الاعتراضات والمأخذ التي تسجل على تلك الأنظمة وهي اعتراضات لا بدّ أن تؤخذ في الحسبان عند التفكير في الأخذ بهذا النظام ومنها (مهنا، ١٩٥٧: ٣٠٢):

١- يرى البعض من الفقه (مهنا، ١٩٥٧: ٣٠٤)، أن نظام رقابة الهيئات المستقلة لا يصلح في الدول التي تعتمد أنظمة الحكم البرلمانية التي تجري دساتيرها على الاعتراف للمجالس النيابية بممارسة الرقابة على السلطة التنفيذية وأحيانًا القضائية فإن مثل هذه الأنظمة لا تستقيم إلا في مجتمع رأسمالي تبرز وأحيانًا التناقضات الاجتماعية بحيث تكون فكرة التوازن بين السلطات التي يقوم عليها هذا النظام بكل ما

تنطوي عليه من حقوق البرلمان في ممارسة الرقابة السياسية على الحكومة ومن حقوق الحكومة في مواجهة البرلمان تصل إلى حد الاعتراف لها بحلة والدعوة إلى انتخابات جديد، إذ إنّ هذه الفكرة ليست إلّا إحدى أدوات الدول الرأسمالية لحجب الصراع الطبقي ومنحه شكلًا دستوريًّا فنيًّا (بدوي، ٢٠١٦: ٢٩٢)، ولا نتفق مع هؤلاء حيث نرى بأن إنشاء الهيئات الرقابية المستقلة هو ليس مرتبط بالنظام الراسمالي بقدر ماهو الرغبة في ايجاد سلطات مستقلة متخصصة فنية لضمان سلامة الصرف وحماية المال العام ورفع مستوى شفافية المالية . كما يمكن الرد على النقد بوجود أنظمة الرقابة المستقلة في دول معروفة باشتراكيتها كهيئة الادعاء العام في الاتحاد السوفياتي السابق.

٢- إن في تعدد اجهزة الرقابة عرقلة لأعمال الأجهزة الإدارية خصوصًا الموظف الحكومي غير الكفوء الذي يميل عادة إلى الأحجام عن التصرف وتمتنع عن المبادأة اذا ما زادت الرقابة عليه، لذا يرى البعض من الفقهاء (الهادي، ١٩٦٤: ٦٧٤)، إن الأخذ بهذا النظام يؤدي إلى شل حركة الإدارة خاصة إذا ما حوصرت بأكثر من جهة رقابية.

٣- إن عمل هيئات الرقابة المستقلة هو أصلًا من واجبات وحقوق اعضاء البرلمان إلّا أنّه يمكن الرد على هذا النقد بأنه على الرغم مما قد تحققه متابعة البرلمان للشكاوى إلّا أنّه ما زالت بعيدة عن بلوغ أهدافها المتمثلة في تحقيق العدالة الكاملة بين مواطنيها، وذلك لأن أعضاء البرلمان لا يملكون الوسائل التي تمكنهم من دراسة الشكاوى التي تصلهم بنفس الكفاية التي تتميز بها هيئات الرقابة المستقلة لما تحتوبه من متخصصين متفرغين لهذا الغرض، كما أنها من جانب اخر ترفع العبء عن كاهل اعضاء البرلمان ليتفرغوا لغيرها من الأمور المتعلقة بالسياسة العامة والمصالح الوطنية.

٤- يرى البعض من الفقه (Crastey, 1969: 23)، إن انفراد شخص بمفرده أو مكتب به ثلاثة اشخاص بهذه السلطات الواسعة في الرقابة قد يؤدي إلى تجميد عملية الرقابة وإلى تركيز السلطات إلا أن هذا النقد مردود بعد أن اغلب المحاكم تتشكل من قاض منفرد (محاكم الجنح، البداءة...) باستثناء محاكم الجنايات التي تتشكل من ثلاثة قضاة ولم نلحظ اي تجميد لعملية القضاء أو تركيز للسلطات.

٥- حدت بعض الدول من سلطات هيئات الرقابة المستقلة واستبعدت من اختصاصاتها مراقبة القضاء احتراما لمبدا الفصل بين السلطات والتقاليد والمبادئ الدستورية التي لا تجيز التدخل في اعمال القضاء مما يستتبع عدم امكانية تدخلها في الدعاوى المرفوعة امام القضاء وإنما لها فقط أن تقدم المقترحات بشأن الموضوعات المتنازع عليها للإدارة التي اثيرت مسؤوليتها امام القضاء، كما ألزمت البعض الآخر من الدول هيئات الرقابة باحترام الأسرار الوظيفية والمهنية التي كانت قد اطلعت عليها من خلال

فحصها ودراستها للوثائق والسجلات الرسمية التي قدمت لها بناء على طلبها (بدوي، ٢٠١٦: ٣٠٣).

إلا أنه على الرغم من الانتقادات العديدة التي وجهت إلى هذا النظام فقد لاقى نجاحًا كبيرًا في معظم الدول التي أخذت به وبالأخص السويد التي تعد مهد هذه التجربة.

## الخاتمة:

ختامًا وجدنا أن الموازنة العامة هي أحد الأدوات الهامة لسياسة الدولة التي تستخدمها لتنفيذ اختياراتها، وتتضمن تقديرات للنفقات والإيرادات العامة لسنة قادمة، اذ تحتاج إلى إجازة وموافقة أعلى سلطة تشريعية لصدورها بقانون ملزم للسلطة التنفيذية، وكذلك تعد خطة مالية عاكسة لأهداف الدولة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي ترغب الدولة في تحقيقها، وتوصلنا لبعض النتائج الهامة كما نذيل البحث ببعض المقترحات التي نراها ضرورية:

### أولاً: النتائج:

١- توصلنا إلى أن مضمون رقابة الهيئات المستقلة متنوع، فهو يشمل رقابة قضائية واخرى ادارية إلى جانب الدور الاستشاري الهام الذي تضطلع به هذه الهيئات ولا ننسى تقديم التقارير السنوية والفصلية، وينتج عن هذه الرقابة اصدار احكام تتضمن عقوبات مختلفة إلى جانب الملاحظات والاستشارات المتعلقة بتنفيذ الموازنة العامة في تقارير متعددة تنشرها عن طريق وسائل النشر الرسمية.

٢- وجدنا أن هيئة النزاهة والكسب غير المشروع تقوم بالتحقيق في قضايا الفساد المالي والاداري المشكوك فيها طبقا لاحكام قانونها بواسطة محققين تحت اشراف قاضي التحقيق ووفقا لاحكام قانون اصول المحاكمات الجزائية، وتوظف مدققي حسابات مالية ومحققين لديهم صلاحيات مكفولة في القانون العراقي لمحقق المحكمة.

٣- وجدنا أن من بين الوسائل التي تعمل بها هيئة النزاهة هي الشكاوى والإخباريات ووجدنا أن نسبة انجاز هذه الإخباريات وصلت في سنة ٢٠٢٣ إلى ٧٩.٠٨٪ وهي نسبة جيدة، كما بلغت نسبة انجاز الإخباريات والقضايا الجزائية التي طلب اعداد تقارير تدقيق مالي بصددها في ذات العام٩٥.٧٥٪.

٤- تباشر هيئة النزاهة والكسب غير المشروع سلطاتها التحقيقية في قضايا الفساد عبر تلقي الشكاوي والإخباريات، واعادة الأموال (بلغت ٣٨٢مليار سنة ٢٠٢٣) والعقارات (اكثر من ١٠ عقارات/٢٠٢٣) بالإضافة إلى اوامر قبض واستقدام واوامر قبض دولية، وهذا يعني أن الهيئة تعمل بالشكل المطلوب منها ويبقى الباقي على السلطات المختصة بتنفيذ الجزاء.

٥- الرقابة المستقلة في إنكلترا تجمع بين الرقابة التي يمارسها المراقب العام مباشرة والرقابة اللاحقة التي تمارسها (لجنة المحاسبات العامة)، فضلا عن سلطة الإبراء والإدانة التي يتمتع بها ديوان المراقب العام.

٦- لاحظنا أن هيئة الرقابة عبر المراقب المحاسب العام في الولايات المتحدة الأميركية لديه نوعين من الرقابة؛ سابقة على عمليات اخراج الأموال العامة، ولاحقة تقوم بها الهيئة من خلال فحص الحسابات بعد الصرف، بينما كانت رقابة الهيئات في العراق عبارة عن رقابة ادارية اثناء تنفيذ الموازنة العامة.

٧- وجدنا الاختلاف بين رقابة الهيئة على الموازنة العامة في الموازنات الاتحادية عن العادية في كون أن لهذه الهيئات اختصاصات قضائية إلى جانب الإدارية والاستشارية على خلاف الموازنة في الدول غير الاتحادية التي تكون عبارة عن رقابة مستندية، كذلك فإن أجهزة الرقابة في الدول الاتحادية تتبع البرلمان تبعية مباشرة على خلاف الدول غير الاتحادية التي تستطيع اتخاذ قراراتها دون الرجوع إلى البرلمان.

## ثانيًا: المقترحات:

١- نتيجة لكثرة المعوقات والعقبات التي تواجه عملية تنفيذ الموازنة العامة في العراق فإننا نقترح على الدولة العراقية ضرورة إصلاح هذه العملية من خلال ضمان سلامة تحصيل الإيرادات العامة، وعدم إفساح المجال للتلاعب وإساءة استعمال الأموال العامة، وكذلك تمكين الهيئات والاجهزة المستقلة بصورة أكبر من ممارسة الرقابة، كذلك العمل بصورة مستمرة بين كل من السلطة التنفيذية والتشريعية على الحد من التجاوز على الاعتمادات المرصودة، والعمل على تهيئة كوادر مختصة بالشؤون المالية والمحاسبية على إدارة عملية تنفيذ الموازنة العامة، فضلًا عن العمل على الحد من الفساد المالي والإداري في مؤسسات الدولة.

٢- في ملاحظتنا بأن هيئة النزاهة تقوم بالتحقيق في قضايا الفساد عبر محققين ولكن تحت إشراف قاضي التحقيق المختص ووفقًا لقواعد قانون أصول المحاكمات الجزائية، ونرى أن هذا الأمر قد يعيق مسألة الاستقلالية لهذه الهيئات، كما يمكن أن تطول الإجراءات الروتينية والإدارية، خاصة وأن البعض منهم يحاول الهرب إلى الخارج أو يهرب الأموال اليها؛ فكيف تكون مستقلة وهي تعمل باشراف قاضي مختص ووفقًا لقانون أصول المحاكمات، ونقترح هنا أن يكون إشراف القاضي ضمن الإجراءات الإدارية فقط، وأن يعمل المحققون بطريقة أيسر وأسرع حفاظًا على المال العام.

٣- لاحظنا أن هيئة النزاهة والكسب غير المشروع قد أنجزت اغلب الأعمال المطلوب منها كمراجعات

الشكاوي والإخباريات واعداد تقارير التدقيق المالي وبنسبة عالية، كما أن لها دور في تنفيذ أوامر القبض وإعادة الأموال ولكن فعليًّا على أرض الواقع نجد بأن الأرقام كبيرة، وهذه الأرقام من المفروض أنها تؤدي إلى محاسبة المسؤولين، وبالتالي تشكل حالة ردع للبقية، ولكن لو أن الردع تحقق فعليا لما كانت هذه النسب كبيرة، ونحيل الأمر إلى أن اعمال العقوبات ربما لا يتم تنفيذها بالشكل المطلوب، وهنا نقترح أن تكون هناك الية لتنفيذ اعمال الهيئة والاحالة إلى القضاء بشكل مباشر مع الأخذ بعين الاعتبار تقارير الهيئة.

٤- نرجو إعادة تفعيل مكتب المفتش العام بالهيئة ولا نعرف الأسباب الحقيقة وراء الغائه رغم دوره الهام في قضايا الفساد في العراق، أو إنشاء مكتب بديل له يقوم بنفس مهامه.

٥- حبذا لو كانت رقابة هيئة النزاهة في العراق على غرار مكتب المراقب المحاسب العام في الولايات المتحدة، أي تقوم برقابة سابقة واخرى لاحقة، فتقوم ايضا بعمليات الملاحقة والتحقيقات حتى بعد انجاز الموازنة لمعرفة اين تصرف الأموال.

## المصادر والمراجع:


١- أحمد، دلاور أحمد. الرقابة الإدارية والمالية على الإدارة. دار الجامعة الجديدة. الإسكندرية. ٢٠١٦.

٢- آل علي، رضا صاحب أبو أحمد. المالية العامة. الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة. بدون طبعة. البصرة. ٢٠٠٢.

٣- بدوي، ثروت. القانون الإداري. دار النهضة العربية. القاهرة. ٢٠١٦.

٤- جابر، عبد الرؤوف. الرقابة المالية والمراقب المالي. دار النهضة العربية. بيروت. ٢٠٠٤.

٥- الجنابي، طاهر. دراسات في المالية العامة. مطبعة التعليم العالي. بغداد. ١٩٩٠.

٦- الجنابي، طاهر. علم المالية العامة والتشريع المالي. طبعة منقحة. المكتبة القانونية. بغداد. ٢٠٠٧.

٧- الجنابي، علي غني عباس. الرقابة على الموازنة العامة. منشورات الحلبي الحقوقية. بيروت. ٢٠١٥.

٨- حجازي، محمد احمد. المحاسبة الحكومية والإدارة المالية العامة. طبع خاص بالمؤلف. عمان. ١٩٩٨.

٩- خضر، أحمد نوح طه آل ملّا. توزيع الثروة في الاتحادات الفيدرالية العراق انموذجا. اطروحة دكتوراه. الجامعة الإسلامية في لبنان. بيروت. ٢٠١٨.

١٠- الزهاوي، سيروان عدنان ميرزا. الرقابة المالية على تنفيذ الموازنة العامة في القانون العراقي. ط٢. مجلس النواب الدائرة – الاعلامية. بغداد. ٢٠١٤.

١١- الساطي، طارق. رقابة ديوان المحاسبات على مشروعية تنفيذ النفقات العامة. دار الفكر العربي. القاهرة. ١٩٨٦.

١٢- سلوم، حسن عبد الكريم و المهايني، محمد خالد. "الموازنة العامة للدولة بين الإعداد والتنفيذ والرقابة". مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية. جامعة بغداد. بغداد، العدد٢٧. ٢٠٠٧.

١٣- سيلك، بول و والترز، رودري. كيف يعمل البرلمان. ترجمة: علي الصاوي. مكتبة الشروق الدولية. القاهرة. ٢٠٠٤.

١٤- شباط، يوسف. المالية العامة – الكتاب الثاني – موازنة الدولة. ط٢. منشورات جامعة دمشق. دمشق. ١٩٩٧.
١٥- الشعراوي، عايد فضل. السياسة المالية في دولة الخلافة. ط١. دار البشائر الإسلامية. بيروت. ٢٠٠٧.
١٦- شكري، فهمي محمود. الرقابة المالية العليا. دار مجدلاوي للطباعة والنشر. عمان. دون سنة نشر.
١٧- شمس الدين، عبد الأمير. الرقابة المالية على تنفيذ النفقات العمومية. مطابع جامعة القاهرة. القاهرة. ١٩٧٧.
١٨- شهاب، مجدي محمود. الاقتصاد المالي. الدار الجامعية. بيروت. ١٩٨٨.
١٩- عبد الهادي، حمدي امين. نظرية الكفاية في الوظيفة العامة. ج١. دار النهضة العربية. القاهرة. ١٩٦٦٤.
٢٠- عصفور، محمد شاكر. أصول الموازنة العامة. ط١. دار الميسرة للنشر والتوزيع. عمان. ٢٠٠٨.
٢١- عطية، محمود رياض. موجز في المالية العامة. دار المعارف. القاهرة. ١٩٦٩.
٢٢- العمري، هشام محمد صفوت. اقتصاديات المالية العامة والسياسية العامة. ج٢. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة بغداد. بغداد، ١٩٨٨.
٢٣- عواضة، حسن، وعبد الرؤوف قطيش. المالية العامة (الموازنة والضرائب والرسوم). دار الخلود. بيروت. ١٩٩٥.
٢٤- القاضي، عبد الحميد محمد. اقتصاديات المالية العامة. مطبعة الرشاد. الإسكندرية. ١٩٨٠.
٢٥- قلعاوي، غسان. رقابة الأداء وتطبيقاتها في الولايات المتحدة الأمريكية. دار كنعان لدراسات. دمشق. ٢٠٠٤.
٢٦- مصطفى، حسين. "المالية العامة". ديوان المطبوعات الجامعية. ساحة بن عكنون. الجزائر. بدن تاريخ.
٢٧- مهنا، محمد فؤاد. دروس في القانون الإداري: الرقابة القضائية على اعمال الإدارة. الدار المصرية. الإسكندرية. ١٩٥٧.
٢٨- ناشد، سوزي عدلي. الميزانية العامة. منشورات الحلبي الحقوقية. لبنان. ٢٠٠٣.
٢٩- النقبي، يوسف عبد الله سعيد. دور ديوان المحاسبة في مراقبة تنفيذ الموازنة في دولة الإمارات العربية المتحدة – دراسة مقارنة. رسالة ماجستير. جامعة بيروت العربية . بيروت. ٢٠١٦.
٣٠- جريدة الوقائع العراقية. العدد ٤٥٦٠. بتاريخ ٢٠١٩/١٠/٢٨.

**الدساتير:**

١- الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ النافذ.
٢- دستور الإمارات العربية المتحدة لسنة ١٩٧٦

**القوانين:**

١- القانون الاتحادي رقم ٧ لسنة ١٩٧٦.
٢- القانون الاتحادي رقم ٨ لسنة ٢٠١١ بإعادة تنظيم ديوان المحاسبة في دولة الإمارات العربية المتحدة.
٣- القانون قانون الجهاز المركزي للمحاسبات المصري رقم (١٤٤) لسنة ١٩٨٨.
٤- ديوان المحاسبة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٢٢.
٥- قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل.
٦- قانون الهيئة العامة للنزاهة في اقليم كوردستان رقم (٣) لسنة (٢٠١١).
٧- قانون حل مكاتب المفتشين العموميين رقم (٢٤) لسنة ٢٠١٩
٨- قانون ديوان الرقابة المالية في العراق رقم (٣١) لسنة ٢٠١١.
٩- قانون هيئة النزاهة رقم (٣٠) لسنة (٢٠١١).

١٠- نظام الاتحاد المركزي الفردالي بعد العام ٢٠٠٣

**References:**

1- Elowitz, L. Introduction to Government. Harper Collins Publishers. Inc.. 1992.
2- Federal Document Clearing House. Copy Right (c) 2005 cQ Trnscriptions. LLC. United States General Accounting Office. July 28. 2005. Rebuilding Iraq. Actions Need to Improve use of Private Security Providers..
3- H. Crastey :Ombudsman. job Belongs to Mps. Monterial star. 1969.
4- Plaintiff-Appellee. V. Elmer B .Stats. Com patroller Generl of the United Stats. and the United States. Defendands-Appellants. No. 77-1280. Lexisnexis. 1977-1978.
5- Undercort. Test Show Hubzone Program Remains Vulnerable to Fraud and Abuse. Washington. 2010

**التقارير:**

١- التقرير السنوي لهيئة النزاهة الاتحادية لسنة ٢٠٢٣، جمهورية العراق، هيئة النزاهة الاتحادية.

**الأوامر:**

١- أمر سلطة الائتلاف المنحلة المرقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٤.

**Repport:**

1- Report of the Committee Homeland Security and Governmental Affairs ,United States Senate to accompanys. 237, Government Accountabtihy Office Improvement Act of 2011.

**المواقع الإلكترونية**

1- http:www.gao.gov/ about/iudex.htm.٢٠٢٣/١١/١٤ : تاريخ الزيارة:
2- https://www.mof.gov.ae/Ar/budget/FedralBudgetPreparation/Pages/FrameAndSteps.aspx
٣- رحيم حسين العكيلي، حدود اختصاصات هيئة النزاهة في الاستعانة بالإجراءات الجزائية، منشور على موقع هيئة النزاهة الألكتروني: www.nazaha.iq/search_web/law/2.pdf تاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/١١/١٣.

# مكانة الأم في أحكام الحضانة لدى الطائفة الشيعية في لبنان وتأثيراتها على الأم وعلى معاش الأطفال

# The mother's position in custody rulings among the Shiite sect in Lebanon and its effects on the mother and the children's livelihood

**الباحثة أمل صفوان هواري***

**Amal Safwan Hawari***

**الملخّص:**

منح الدستور اللبناني لكل طائفة الحق باتباع نظام خاص للأحوال الشخصية، فاعتمدت كل منها معايير خاصة تتعلق بموضوع الحضانة. بدت الطائفة الشيعية أكثر تشددًا حيث اعتمدت سن القاصر معيارًا للحضانة، دون مراعاة مصلحة الطفل الفضلى والعوامل النفسية والاجتماعية، فجسدت أحكامها المتعلقة بالحضانة النظام البطريركي الذي يضطهد المرأة ويظلمها ويعتبرها غير مؤهلة للحضانة. وبرزت الحركات النسوية التي ناهضت هذا النظام وسعت إلى تطبيق سياسة رعائية تتلائم مع احتياجات الطفل وحق المرأة، تتحقق من خلال الحضانة المشتركة.

واستنادًا لهذه المعطيات يطرح البحث التساؤل الآتي:

ما هي مكانة الأم في أحكام الحضانة لدى الطائفة الشيعية في لبنان، وما هي انعكاسات تلك الأحكام على الأم وعلى معاش أطفالها؟

هدف هذا البحث إلى التعرف على أحكام الحضانة لدى الطائفة الشيعية في لبنان وتحديد مكانة الأم في تلك الأحكام. ودراسة تأثير أحكام الحضانة على الواقع النفسي والمجتمعي للأم وعلى مصلحة الأطفال وصحتهم النفسية والاجتماعية والتربوية والعلائقية، والسبل المثلى لتحقيق المواءمة بين قواعد الحضانة والمصلحة الفضلى للحاضن والمحضون.

اعتمدت الباحثة المنهج النوعي، بنمط استكشافي وصفي ذو طابع نسوي، وقد تم اختيار عينة مؤلفة من ثلاث فئات مستهدفة وهم ثمانية عشرة أم وقعن ضحية النظام البطريركي و ثمانية عشرة محام تم توكيلهم في قضايا موضوعها "الحضانة"، وثمانية

* باحثة دكتوراه، المعهد العالي لإعداد الدكتوراه – علوم الإنسان والمجتمع، جامعة القديس يوسف، بيروت.

Email: amal.hawari@net.usj.edu.lb

* PhD researcher in psychology at The EDSHS - Saint Joseph University in Beirut.

عشرة أخصائي في العمل الاجتماعي تم الاسترشاد بعملهم لنقل تجارب الأمهات، بالاعتماد على المقابلة شبه المنظمة بطريقة كرة الثلج ودراسة الوثائق والأحكام الصادرة عن المحكمة الجعفرية.

ونذكر هنا أن كل ذلك سيكون في سبيل لقاء الضوء على نهج المحكمة الجعفرية الذي يعكس عقلية ذكورية وعلى الواقع التي تعاني منه المرأة الشيعية وطفلها جراء تطبيق قوانين غير منصفة بحقهما. وجاءت النتائج لتبين أن هناك عدم انصاف للمرأة بأحكام الحضانة الصادرة عن المحكمة الجعفرية في لبنان، والإضرار بها من حيث منعها من حضانة طفلها.

**الكلمات المفاتيح: الحضانة، مصلحة الطفل الفضلى، مقاربة نسوية، نظام أبوي، الطائفة الشيعية.**

## Abstract:

The Lebanese Constitution has granted each sect the right to follow a specific personal status system, so each sect adopted its specific standards regarding the issue of custody. The Shiite sect seemed to be the extremist among these different sects as it adopted the age of the minor as a criterion for custody, without taking into account the best interest of the minor nor his/her psychological and social needs. The custody provisions within the mentioned sect embodies the patriarchal system that oppresses women and considers them unqualified for custody. Many Feminist movements that oppose this system have emerged and sought to implement a custody policy that satisfies the needs of the child, and guarantees the rights of women, and this was accomplished through joint custody.

Based on this introduction, the research question that arises is: Within the Shiite sect in Lebanon, what is the status of the mother when it is related to the custody provisions, and what are the impacts of such provisions on the mother and on her children's livelihood?

The purpose of this research is to identify the custody provisions among the Shiite sect in Lebanon and determine the mother's status within these provisions. It also aims to study the impact of custody provisions on the psychological and societal status of the mother as well as on the best interests of the children and on their psychological, social, educational, and relational health. Moreover, the study seeks to find the best ways to achieve harmony between the provisions of custody and the best interests of the custodian and the child in custody.

The researcher adopted a qualitative approach, in an exploratory, descriptive style with a feminist approach. The sample of the research consisted of 3 targeted categories: 18 mothers who were victims of the patriarchal system, 18 lawyers who were appointed cases of custody, and 18 social work specialists whose work was used as a guide to convey the mothers' experiences. Data was collected through relying on semi-structured snowball interview and through the analysis of documents and provisions issued by the Jaafari court.

This study is conducted to shed light on the approach that is applied by the Jaafari Court, which reflects a male mentality, and on the current suffering of the Shiite woman and her child as a result of the application of unfair laws against them. The results of the study showed that women in the Shiite sect suffered from unfair provisions of custody issued by the Jaafari Court in Lebanon, which prevent them from having custody of their children.

**Keywords: custody, the best interest of the child, a feminist approach, patriarchal system, the Shiite sect.**

## المقدمة:

بالارتكاز إلى الدستور اللبناني، تستقل كل طائفة في لبنان لا بل كل مذهب بنظام خاص للأحوال الشخصية، للمنتمين إلى تلك الطائفة أو ذاك المذهب ولكل طائفة ولكل مذهب محاكمه الخاصة وقضاته الذي يحكمون في المسائل الشخصية العائدة للأفراد الذين ينتمون للطائفة أو المذهب حصرًا (زهير شكر، ٢٠٠٦).

وسارت هذه القاعدة على مسألة الحضانة، كونها من تبعات الطلاق والتي غالبًا ما يتم اللجوء إلى المحاكم المختصة للفصل في الخلاف الناشئ حولها حسب ما تمليه القواعد والأنظمة. ومن خلال التمحيص في هذا الأمر بدى لنا أن الطائفة الشيعية من خلال المحاكم الجعفرية، الراعية للنظام الأبوي قد اعتمدت معايير للفصل في مسألة الحضانة، مستمدة من عقلية ذكورية تفضل الأب على الأم، سواء في تحديد الجهة الحاضنة، أو في الأسباب المعتمدة لإسقاط الحضانة عن الأم، ودون مراعاة العوامل النفسية والاجتماعية للأم وللطفل (الدحداح، ٢٠١٨). فالمعيار الأساسي لتحديد الجهة الحاضنة هو عمر الطفل، دون أي مراعاة لمصلحته الفضلى أو لحاجات نموه، ودون أي مراعاة لمشاعر الأمومة على حد سواء، فغالبًا ما كانت الأم الشيعية، تتنازل عن حقوقها المادية والشخصية والاجتماعية خوفًا من فقدان حقها بالحضانة، وخوفًا على مصلحة أبنائها. في حين أن الفصل في هذه المسألة الدقيقة يستوجب إجراء تقييم دقيق لقدرة الأبوين على رعاية أطفالهم عند تحديد الطرف الذي ستوكل إليه الحضانة (زلزل، ابراهيم، خليف، ٢٠٠٨).

وفي ظل ما لمسناه مع تصلب فقهي، وجمود على مستوى النظام، طرح المجتمع المدني بشكل عام والحركات النسوية المهتمة بقضايا المرأة ومحاربة أي نوع من أنواع العنف ضدها، مسألة الحضانة على طاولة النقاش، لأن هذه المسألة باتت مسألة أمن اجتماعي، ودار البحث حول التوجه الأمثل بما يؤمن حماية الطفل والأم من الضرر، وهذا ما ينسجم حتميًا مع الشرع (الخوري، ٢٠١٩).

## أولًا . الإشكالية:

سار اجتهاد المحاكم الجعفرية على اعتماد عمر المحضون المحدد سلفًا معيارًا لتحديد الجهة التي لها الحق بالحضانة دون الاكتراث لمكانة الأم في حياة الطفل، ودورها الهام في تربية الطفل ودون إيلاء مصلحته الفضلى العناية اللازمة. واللافت أن المحاكم تعاملت مع المرأة على أنها خصمًا وشكلت مسألة الحضانة وسيلة لابتزاز السلطة الذكورية للمرأة، حيث يستعمل الطفل أداة للضغط على المرأة والتأثير في

إرادتها، وإما للحصول على الطلاق بأفضل عرض وشروط مناسبة للرجل، وإما للحصول على تنازلات هامة من المرأة. كل ذلك عرّض ملايين الأمهات والأطفال لتداعيات نفسية واجتماعية ناجمة عن أحكام تلك المحاكم، وحيث ان المعيار العمري للحضانة هو تمييز يمسّ بحقوق الطفل، ويحرمه من حق معين على أساس عمره، علمًا أن تحديد الجهة الحاضنة يجب أن يبنى على أساس احتياجات الطفل ووضعه النفسي والاجتماعي، وليس على أساس سنه العددي. وحيث أن أحكام المحاكم الجعفرية في مسألة الحضانة، أصبحت فرصة لمعاقبة الوالدة المرأة، وبما أن معايير هامة متعلقة بمصلحة الطفل مغيّبة كليًّا عن تقدير المحاكم الجعفرية، وتأسيسًا على ما تقدم، فإننا نطرح سؤال البحث بالشكل الآتي:

ما هي مكانة الأم في أحكام الحضانة لدى الطائفة الشيعية في لبنان، وما هي انعكاسات تلك الأحكام على الأم وعلى معاش أطفالها؟

## ثانيًا. أهداف البحث:

بالارتكاز إلى ما قدمنا أعلاه، فإننا نسعى من خلال معالجة هذه الإشكالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

- دراسة القواعد التي تنظم مسألة الحضانة لدى الطائفة الشيعية في لبنان.
- تحديد مكانة الأم في أحكام الحضانة عند الطائفة الشيعية.
- إبراز أثر أحكام الحضانة على الواقع النفسي والاجتماعي للأم.
- بيان انعكاس أحكام الحضانة على مصلحة الأطفال وصحتهم النفسية، الاجتماعية، التربوية، العلائقية.
- إقتراح السبل المثلى التي يمكن من خلالها تأمين المواءمة بين قواعد الحضانة والمصلحة الفضلى للحاضن والمحضون.
- معالجة دور النسوية في حماية حق المرأة في الحضانة، مع التأكيد على ضرورة الحفاظ على مصلحة الطفل.

## ثالثًا. أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في:

. الكشف عن الآثار الناجمة عن جعل الطفل ميدانًا للصراع بين الأم والأب، وتبيان نتائج سيطرة النظام الأبوي على اجتهاد المحاكم الجعفرية المختصة بالفصل في الصراع حول الحضانة، والتبعات السلبية المدمرة لمصلحة الطفل على الصعيد النفسي والاجتماعي، لسبب إهمال مكانة الأم في حياة الطفل.

. طرح وتحليل الأفكار التي تتيح التعامل بشكل منصف وبناء مع قضية الحضانة، بما ينعكس إيجابًا على ضمان المصلحة الفضلى للطفل، وإبعاده عن أي ضرر، وبما يؤمّن ويحفظ حق الأم في رعايتها لطفلها.

. إدارة الحضانة بطريقة يكون الأساس فيها تحقيق مصلحة الطفل الفضلى، وإشباع حاجاته النفسية والتربوية والاجتماعية، من كلا الوالدين بأفضل مستوى ممكن، ووضع حد لمقاربة موضوع الحضانة من خلفية جندرية.

## رابعًا. الإطار المنهجي:

اشتمل الإطار المنهجي على القواعد التي تم اعتمادها والخطوات والمراحل التي تم اجتيازها لإنجاز البحث العلمي ونوردها على الشكل الاتي:

### ١. منهج البحث:

يندرج البحث ضمن فئة الأبحاث النوعية التي تعتمد المنهج الإستكشافي الوصفي الذي يرتكز على وصف الظواهر بشكل دقيق ومفصل، في سبيل توضيح البيانات المتعلقة بمسألة الحضانة وتوصيف واقعي للعوامل المرتبطة بها، (الزعبي، ٢٠١١) وللحصول على المعلومات المهمة المرتبطة بموضوع البحث الذي يدور حول تأثير أحكام الحضانة على الأم ومعاش أطفالها عند الطائفة الشيعية (خونده، ٢٠١٩ ).

ولقد اعتمدنا مقاربة منهجية نسوية نابعة من عدم الرضى بأسباب تحجيم دور المرأة وحرمانها من حق الحضانة. باعتبار أن هذه المقاربة سمة من سمات البحث النسوي الذي يدعو إلى زيادة الوعي الاجتماعي، والتطور والانفتاح.

### ٢. مجتمع البحث:

تكوّن مجتمع البحث من:

- الأمهات اللواتي حرمن حق الحضانة بموجب حكم صادر عن المحكمة الجعفرية، فهؤلاء الأمهات هن من أهم العناصر التي مكنتنا من الحصول على المعلومات الدقيقة والمطبقة في واقعنا الحالي.
- الأفراد والهيئات الداعمة لحق الأم في الحضانة كالمحامين والأخصائيين في العمل الاجتماعي الذين يهتمون بقضايا المرأة والطفل.

**٣ . عينة البحث:**

لقد تم اختيار عينة من ثمانية عشرة أم من الأمهات اللواتي وقعن ضحية النظام البطريركي، وثمانية عشرة محام تم توكيلهم في قضايا موضوعها "الحضانة"، وثمانية عشرة أخصائي في العمل الاجتماعي تم الاسترشاد بعملهم لنقل تجارب الأمهات المحرومات من أطفالهن بعد الانفصال الزوجي لمعرفة أثر حكم الحضانة على الأمهات والأطفال على حد سواء. وقد تم جمع العينات من خلال استعمال طريقة كرة الثلج.

وحيث أننا ما زلنا في مرحلة إعداد البحث، وفي طور فرز بيانات المقابلات مع العينة المحددة، وبما أن بيانات المقابلات لم تكتمل بعد، لذا فإن النتائج التي سنعلن عنها في هذا البحث، ستكون مقتصرة على النتائج التي استحصلنا عليها من خلال مقابلات إحدى فئات عينة البحث وهن "الأمهات".

**٤ . أدوات جمع المعلومات:**

اعتمدنا في بحثنا هذا كأدوات لجمع المعلومات على المقابلة شبه المنظمة مع الأمهات المعنيات، المحامين، والأخصائيين في العمل الاجتماعي، ودراسة الوثائق وتحليل الوقائع المتصلة بالبحث.

**٥ . معالجة المعلومات:**

إن الخطوات المعتمدة في معالجة المعلومات هي تخفيض البيانات من خلال اختيار أهمها واستبعاد ما دون ذلك ومن ثم عرضها، وبعدها تأتي مرحلة تفسير وتحليل النتائج بعد إجراء قراءة شاملة لكافة البيانات في سبيل الفهم الكلي لها، والتمكن من تقرير نتائج البحث الميداني.

## خامسًا. الإطار التحليلي:

انطلاقًا من السلبيات المدمرة لحالات الحضانة غير الموكلة للأم ومفاعيلها المترتبة على الأم والطفل، سواء النفسية أو الاجتماعية، ونظرًا لما ينجم عن إبعاد الطفل عن أمه من مخاطر، وحيث أن مكانة الأم في حياة الطفل لا يمكن المس بها، لما لها من دور في تنشئته على أسس سليمة في ممارستها وإعداده إعدادًا يؤهله لتحمل المسؤولية الاجتماعية، لذلك سار التفكير باتجاه حماية هذه المكانة، من خلال ترتيب يكفل حماية مصلحة الطفل الفضلى التي تتقاطع مع مصلحة الأم، وذلك بالارتكاز إلى معايير

موضوعية في تحديد الجهة الحاضنة، ومقاربة نسوية تعتمد على تزييل العوائق التي تحول دون منح الأم حق الحضانة.

وفي ما يلي سننطلق من تحديد مفهوم الحضانة وأشكالها، المبنية على معايير تحمي مصلحة الطفل، وصولًا إلى المقاربة النسوية للحضانة:

**١. مفهوم الحضانة وأشكالها:**

تعرّف الحضانة بأنّها: إلزام شرعي وقانوني بتدبير شؤون الطفل ورعايته جسميًّا وروحيًّا وعلميًّا ممن له الحق في ذلك شرعًا (لشهب، ٢٠٠٤).

وقد تم تصنيف أشكال الحضانة بالاستناد إلى معيار مصلحة الطفل الفضلى، الذي يجب مراعاته عملًا بأحكام اتفاقية حقوق الطفل (المادة ٣، اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة، ١٩٨٩)، وبالتالي فإن تحديد الجهة التي ستوكل الحضانة، سيكون مبنيًا على تقييم حقيقي لقدرة الأم أو الأب على أداء الواجبات الملقاة على عاتقهما لناحية الاهتمام بالطفل.

وهذه الأشكال هي على النحو الآتي:

**أ . الحضانة المنفردة:**

تقرر الحضانة المنفردة لأحد الوالدين سواء الأم أو الأب، عند فشل أحدهما في الوفاء بالتزاماته تجاه المحضون. تبنى هذه الحضانة على أساس مصلحة الطفل الفضلى (Lebrun, 2010).

إن سحب الحضانة من أحد الطرفين قد يكون بصورة جزئية أو سحب كامل للحضانة.

وتقرير الحضانة المنفردة يكون بإحدى الوسيلتين:

- **عن طريق القضاء:** تتجلى هذه الصورة بطلب يتقدم به الوالد او الوالدة أمام القاضي المختص يشرح فيه عدم أهلية الطرف الأخر لاحتضان الولد وأن مصلحته الفضلى تقضي أن يحكم له القاضي بالحضانة (Fossier et Gratadour, 2008) .
- **عن طريق الاتفاق الودي:** تتجلى هذه الصورة بوجود اتفاق ودي بين الوالدين يضمن احترام مصلحة الطفل الفضلى ويعرض هذا الاتفاق على القاضي لأخذ الموافقة(Fossier et Gratadour, 2008) .

**ب . الحضانة المشتركة:**

تنظم هذه الحضانة بموجب حكم قضائي يرتكز إلى معيار مصلحة الطفل الفضلى، فيقضي بمنح كلا الأبوين حق الحضانة بما تمثله من إشراف على الطفل وتربيته ورعايته والاهتمام به، فيجري تنظيم إقامة الطفل في منزلي والديه اللذين يكونا مسؤولين عنه ( غونو، ٢٠٠١).

ووفقًا لاتفاقية حقوق الطفل فإن الحضانة المشتركة هي من أفضل الخطوات والحلول التي تخفف من المشاكل بين الوالدين وتجلب نتائج إيجابية في تربية الطفل، وقضت المادة ١٨ " ... إن كلا الوالدين يتحملان مسؤوليات مشتركة عن تربية الطفل ونموه. وتقع على عاتق الوالدين المسؤولية الأولية عن تربية الطفل ونموه. وتكون مصالح الطفل الفضلى موضع اهتمامهم الأساسي". (المادة ١٨، اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة، ١٩٨٩، منشور على الموقع الالكتروني https://www.unicef.org/ar/).

وإضافة إلى مصلحة الطفل، يرتكز الحكم القضائي إلى الركائز الآتية:

- استقرار الطفل الذي يتحقق إما من خلال الحفاظ على العلاقة مع الشخص الذي اعتنى أكثر بالطفل منذ ولادته، وإما من خلال الحفاظ على الاتصال المتكرر بين الطفل ووالديه رغم الفراق. كما تأخذ المحكمة في الاعتبار إمكانية الطفل في الحفاظ على تواصله مع أشقائه.
- أهلية الوالدين: أي القدرة العقلية والبدنية للوالدين على رعاية الطفل.
- التفاهم بين الوالدين: يأخذ القاضي بعين الاعتبار قدرة الوالدين على التواصل والتفاهم حول الشؤون المتعلقة بطفلهم، وعدم وجود خلافات من أجل إنشاء الحضانة المشتركة.
- المسافة الجغرافية المتقاربة.
- رغبة الطفل عند بلوغه السن والنضج اللازمين: إن لرأي الطفل ورغبته أثرًا هامًّا عندما يتراوح عمره بين ٨ و١١ عامًا، إلا أن هذه الرغبة لا تكون حاسمة، ولكن عندما يبلغ الطفل سن ال ١٢ عامًا يصبح رأيه أمرًا مفصليًّا وحاسمًا في تحديد الجهة التي توكل لها الحضانة. (Reinthman, sand date d'edition)

بناءً على ما بيّنا أعلاه من أشكال مختلفة للحضانة، يتضح لنا أن القاضي يعتمد معاييرًا موضوعية، غايتها القصوى تحقيق مصلحة الطفل الفضلى، موليًا الأهمية الكبرى لرأي الطفل، ومرتكزًا على القدرة الحقيقية للأهل على الإهتمام به وتنشئته تنشئة سليمة (Verdier et Sellenet, 2013).

وإذ يبدو أن الحضانة المشتركة تعطي فرصة للطفل للعيش مع أمه وتحقق له ظروفًا ملائمة لنموه النفسي والجسدي، وتعيد تعزيز مكانة الأم في حياة الطفل ومعاشه، وتشكل حالة من الاعتراف بحقوق المرأة وحقوق الطفل بما برفع الضرر عن الأم والطفل معًا.

**٢ . معايير الحضانة:**

من المتفق عليه أنّ الحضانة هي حفظ المحضون وتربيته وصونه، لذلك فإن تحديد الجهة الحاضنة يجب أن يتم بالارتكاز إلى ما يصب في مصلحة المحضون التي لا يمكن أن تتحقّق إلّا من خلال العناية به، وتاليًا فإن تدخل القاضي في هذه المسألة يجب يسهم في توفير البيئة الصالحة لتنشئة الطفل وتحقيق كل ما من شأنه أن يعود بالنفع عليه، ومن ذلك تقرير من هو مؤهل للحضانة (الوردي، ٢٠١٩).

والمعايير التي يعتمدها القاضي هي:

- عمر الطفل.

وإذ يبين لنا الجدول الآتي الأهمية التي تعطى لرأي الطفل حسب عمره.

| عمر الطفل | التعويل على رأي الطفل |
|---|---|
| سن صغير | يمكن أخذ رأي الطفل في الاعتبار ولكن في أغلب الأحيان يقرر القاضي بالارتكاز لمصلحة الطفل الفضلى. |
| من ٨ إلى ١١ سنة | رأي الطفل يحظى بتقدير كبير. |
| ١٢ سنة وما فوق | رأي الطفل حاسم إلى حد كبير. |

- احتياجات الطفل وقدرة الوالدين الصحية والعقلية على تلبية هذه الاحتياجات.
- رأي الطفل وعلاقته بوالديه وبأفراد أسرته خاصةً الأخوة والأخوات.
- استقرار الطفل.
- العادات المعيشية للوالدين ومدى تأثيرها على الطفل (Verdier et Sellenet, 2013) .
- عدم رغبة الطفل في رؤية أحد والديه، مع الإشارة إلى أن مشاعر الطفل قد تكون مضطربة نتيجة لتعرضه لضغوطات معينة، ما يدفع بالطفل إلى رفض أحد والديه، وفي هذه الحالة يقع على عاتق الوالدين تشجيع الاتصال بين الطفل والوالد الآخر؛ وإذا تفاقمت المشكلة يجب عدم إهمال هذا الموضوع واللجوء إلى متخصصين لمعالجة هذه المشكلة (Summa, 2015) .

**٣ . المقاربة النسوية لموضوع الحضانة:**

النسوية هي منظومة فكرية مناهضة للعنف ضد المرأة، حاربت الظلم اللاحق بها، وسعت للدفاع عن حقوق المرأة واهتماماتها وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل والقضاء على التمييز الجنسي (عيساوي، ٢٠٠٢).

واجهت النسوية النظام الأبوي الذي كرس امتيازًا للآباء في حضانة الأطفال والوصاية عليهم، ومنحهم السلطة بصورة منفردة فيما يتعلق بشؤون الطفل الشخصية، مثل الملكية والسكن والسفر والتعليم والزواج، ولعبت دورًا في سبيل تحويل حضانة القاصر من حق للأب من منطلق "ملكية"، إلى حق للأم من منطلق رعائي (Jaspard, 2005) . واعتبر النسويون أنّ المنطق يقضي إعطاء حق الحضانة للأم لأنها تلعب دور الراعي، وصولًا إلى الحضانة المشتركة التي تضمن مصلحة الطفل الفضلى ( Fransson, Hjern & Bergström, 2018).

ومن هذا المنطلق، كان للنسوية نظرتها الخاصة حول العوامل التي تحول دون منح الأم حق الحضانة، وموقفها الخاص من النصوص القانونية التي ترعى هذه المسألة، ورغم محاولة البعض محاربة النسوية باسم الدين، الا انها لم تتوان عن محاربة النظام البطريركي الذي قسم الأدوار بين الرجل والمرأة من منطلق جندري، وصولًا لتحقيق للمساواة بين الجنسين، وإعادة النظر في الأدوار بعيدًا عن الأفكار البالية، وتقرير نمطًا من الحضانة المشتركة، يؤمن حق الأم بممارسة أمومتها ويرعى مصلحة الطفل الفضلى.

**أ. النظرة النسوية للعوامل التي تعيق منح الحضانة للأم:**

كما ذكرنا سابقًا ان المحاكم الجعفرية كرست النظام الابوي الذي اتبع قاعدة هرمية ترأسها الرجل وهو رب الأسرة الذي تتركز السلطة بيده، مع تهميش لمكانة المرأة في الأسرة ما أدى إلى حرمان الأم من حق الحضانة (زلزل، إبراهيم، خليفة، ٢٠٠٨) إلا أن النسوية رفضت هذه التراتبية ونادت بتطبيق المساواة، معتبرة أن مبررات تعزيز سلطة الأب على الأم داخل الأسرة، والتي تمثلت بنقص أهلية المرأة، وأن الرجل هو المكون القادر على الحفاظ على تماسك الأسرة ، عبارة عن ذرائع واهية تعكس الاعتداء على حقوق المرأة وتنتهك كرامتها الإنسانية وموقعها في الأسرة (Jaspard, 2005) .

وعلى هذا الأساس طالبت النسوية بتطبيق الشراكة في الأسرة والإقرار بالأهلية القانونية للمرأة، وأكدت على ان معيار الحضانة ليس الجنس، لأن الأم والأب مسؤولين على قدم المساواة عن تربية الطفل ما يستدعي مجاراة التطور الإجتماعي، وتعديل القوانين بالشكل الذي يضع حدا" للعنف الممنهج ضد المرأة، وإقرار نفس الحقوق الشخصية للأم والأب ومن ضمنها حق الأم بحضانة أطفالها (هيسي، بايير، ليفي، ٢٠١٥).

**ب . تقييم النسوية للنصوص القانونية التي ترعى الحضانة وتطبيقها:**

رأى النسويون أن الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة واتفاقية حقوق الطفل وغيرها من الاتفاقيات، ذات أهمية كبرى كونها تصب في خانة المساواة بين الجنسين في موضوع الحضانة، بإعتبار أن إعطاء الأم حق الحضانة نابع من الدور الطبيعي للمرأة وهو الدور الرعائي، وبالمقابل، دعت النسوية القضاة إلى إستبعاد تطبيق الأنظمة والقوانين التي تعامل الأفراد المتشابهين بصيغة تمييزية مبنية على اعتبارات جنسية (عيساوي، ٢٠٠٢).

**ج . النسوية والقيم الدينية المرتبطة بالحضانة:**

في بداية الأمر، تعرضت النسوية لتحديات من قبل بعض المفكرين الاسلامين لأنها تنادي بتحرر المرأة (علي، ٢٠١٠). وفي مرحلة لاحقة برز تيار فكري جديد إعتبر أن الدين الإسلامي هو دين المساواة إلا أن النظام الذكوري حوّل الرسالة الروحية للاسلام إلى أداة لاضطهاد النساء، ما خلق معاناة للمرأة من ظلم قاتم (صالح، ٢٠٠٠).

وإنطلاقًا من هذه المعطيات، فإن النسوية تتقاطع مع القيم الدينية وتفسيراتها المعتدلة كونهما يكرسان صون المرأة وحماية حقوقها ويؤكدنا على مكانتها في الأسر، انطلاقًا من دورها الرعائي (سيوطي، ٢٠٢١).

لذا فمن الضروري إعادة قراءة النصوص الدينية وتفسيرها بعيدًا عن الذكورية وأفكار المجتمع الأبوي السائدة، والتأكيد على حق الأم في حضانة أطفالها بدون أي تمييز بينها وبينها وبين الأب، وخاصة مع انتفاء أي نص ديني يحرم حضانة الأم لأطفال، بل على العكس حرم إضرار المرأة بحرمانها من حضانة مولدها.

**د . مناهضة النسوية للنظام الأبوي البطريركي لناحية الحضانة:**

من الثابت أنّ النظام البطريركي قام على مبدأ تفضيل الأب على الأم في تحديد الجهة التي لها حق الحضانة، ورسخ الولاية الذكورية التي تعنى برعاية شؤون الطفل الشخصية مثل الزواج والتعليم والانضباط وكذلك المعاملات القانونية المتعلقة بممتلكاته أو جواز سفره والسفر.

لذا رفضت النسوية هذا النظام الذي أدى إلى واقع ذكوري يقمع المرأة ويهمشها ويخضعها بشكل تام لإرادة الرجل، وسعت إلى إحياء النظام الأمومي الذي يستند على قيم مستمدة من الدور الرعائي للأم ويكرس حقها في حضانة أطفالها، فالأم والأب ضروريان في حياة الطفل، حيث يستمد الحنان فمن عاطفة الأمومة، ويستمد من والده القوة (Toledo, De Loreto, Farias, 2019).

**هـ . تقسيم الأدوار من منطلق جندري:**

ارتكز النظام الذكوري على مجموعة من الأفكار وضعت المرأة في مكانة دنيا، واللافت أنه ربط العقل بالذكر والمادة بالمرأة، وصنفت المرأة على أنها ضعيفة في تكوينها ككل وبخاصةً في قدراتها العقلية (الرحب، دون ذكر تاريخ النشر).

كما تميز هذا النظام بتقسيم الأدوار، بالإستناد إلى النوع الإجتماعي، على الشكل الآتي:

- الدور الإنجابي، وهو دور محصور بالمرأة.
- الدور الإنتاجي: وهو الدور الذي تتركز به عملية صنع القرار، والسيطرة على مصادر القوة داخل المجتمع، وهو دور محصور بالرجل.

وبالنسبة لموقف النسوية من هذا التقسيم، فقد اعتبرت أن حصر دور المرأة في الانجاب هو إهانة لها وهو صورة من صور قمعها واضطهادها (أبو حسين، ٢٠٢١). كما أن استبعاد المرأة من المجال الانتاجي العام وحصر دورها في النطاق الأسري، أدى إلى غياب الأصوات النسائية التى تمتلك القدرة في نقل احتياجات المرأة إلى المجتمع، مما ساعد على إصدار قرارات لا تراعي حقوق المرأة، ما استتبع زيادة في القمع والخضوع لسلطة الرجل في ظل الأنظمة الذكورية.

وعليه، رأى النسويون أن هناك حاجة ملحة إلى التغلب على فكرة النوع الإجتماعي وتقسيم الأدوار من منطلق جندري، وخاصة أن التنوع الجنسي هو معطى طبيعي، وكلا الجنسين مكملان لبعضهما البعض، وبالتالي فلا مانع من منح الأم حضانة أطفالها، بإعتبار أن هدف الحضانة يجب أن يكون حماية مصلحة الطفل الفضلى التي تتقاطع مع مصلحة الأم (Toledo, De Loreto, Farias, 2019).

**و. النظرة النسوية للحضانة المشتركة:**

في ظل ما سعت إليه النسوية من تحقيق للمساواة بين الجنسين، وإعادة صياغة للأدوار العائلية ولدور المرأة في المجال العام (Fineman, 2001)، لذا أجمع النسويين على أن الحضانة المشتركة هي الخيار الأفضل للأطفال بعد حدوث واقعة انفصال الوالدين. وقد ارتكز على الاجماع على ركيزتين أساسيتين هما مصلحة الطفل الفضلى والمساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات المتصلة بموضوع الحضانة، حيث يمنح حق حضانة الاطفال للأم والأب دون أي تمييز بينهما، على أن هذا الحق، سيقابله مجموعة من الموجبات التي ستلقى على عاتق الوالدين تجاه المحضون (Stier & Epstein, 2000).

كما استند هذا التوجه على أن مصلحة الطفل الفضلى هي مصلحة متوازية مع مصلحة الأم أيضًا، ومن

وجهة نظر النسوية فإن للحضانة المشتركة إيجابيات رئيسية هي:

- خلق بيئة صالحة لنمو الطفل وتنشئته ورعايته نفسيًا وجسديًا.
- إشباع الحاجات النفسية عند الطفل، التي يستمدها من أمه ومن أبيه في آن معًا.
- مساعدة الأم المطلقة على تنظيم حياتها والحد من المشاعر السلبية.
- تحسين العلاقة بين الأسرة رغم الإنفصال، وهو هدف نسوي أيضًا.
- تحقيق التوازن في تحمل نفقات الحضانة والمصاريف اللازمة.
- التخفيف من الضغط النفسي الذي قد يتعرض له الطفل، نتيجة لوضعه أمام الخيار الصعب، حين يفرض عليه الاختيار بين أمه أو أبيه، وبالتالي ينظر إلى الطفل على أنه موضوع حقوق وواجبات وليس موضوعًا للنزاع بين الوالدين.
- تمتع الأطفال في ظل الحضانة المشتركة بالصحة العقلية والبدنية، أكثر من الأطفال الذين يعيشون في الغالب مع أحد الوالدين فقط (Fransson, Hjern & Bergström, 2018).
- خلق وضع مريح لكل من الأطفال، والأمهات والآباء قادر على تصحيح الخلل السابق الذي حرم الأمهات ولمئات السنين من حق الحضانة لأسباب متنوعة، سواء لدينها أو لزواجها من رجل آخر.

وتزامنًا مع تلك الإيجابيات فإنّ الحضانة المشتركة تؤكد على أن المرأة هي كيان قائم بحد ذاته، لديها الأهلية وتتمتع بمقومات وامتيازات عقلية وفكرية وقدرة بدنية تسمح لها بأن تكون طرفًا منتجًا وفعالًا في المجالين العام والخاص، وبالتالي فإن المرأة قادرة على المشاركة والمساهمة في النشاطات الاجتماعية وقادرة على ممارسة دورها الأمومي والرعائي والأسري، وذلك هو هدف نسوي بامتياز (Fineman, 2001) .

## سادسًا. عرض النتائج الأولية الخاصة بالأمهات وتحليلها:

من خلال المقابلات التي أجريت مع الأمهات، تمّ التوصل إلى النتائج الأولية التالية:

١ . أفضت النتائج الأولية إلى أن للطلاق عند الطائفة الشيعية تداعيات مختلفة على الأم والأب والطفل، وذلك استنادًا إلى أقوال الأمهات.

بحسب الأمهات إن الطلاق هو تجربة مؤلمة ومحورية في حياة المرأة، وله تداعيات بالنسبة للمرأة كونه يجعلها الحلقة الأضعف، وقد يعاني الزوجين صعوبات اجتماعية بعد الطلاق، وقد تتأثر العلاقة بينهما

بالتوتر والصراع. كما ويواجه الطفل، تحديات نفسية واجتماعية كبيرة، مثل فقدان الاستقرار، وتغيرات البيئة، وانعكاس للصراع بين الوالدين عليه.

٢ . أظهرت النتائج الأولية أن الطلاق هو عبارة عن ظلم وإذلال وتشريد للأم، وقد تضطر لتقديم التنازلات لتحصل على الطلاق. فتبعًا لأقوال الأمهات المستجيبات، قد يتعرض النساء بسبب أحكام المحكمة الجعفرية لظلم من خلال القرارات القضائية التي تعكس انحيازًا لناحية الرجال، ما يجعل المرأة ضحية للنظام المطبق من المحكمة، وقد ينتج عن ذلك تشريد الأم وحرمانها من أطفالها، وخاصة عندما تجبر على الانفصال عن العائلة والأطفال بسبب قرارات المحكمة الجعفرية، مما يؤدي إلى عزلها وتعريضها للذلّ.

**٣ .** أن الأم تضطر إلى التنازل عن حقوقها المالية في سبيل الطلاق، وحقوقها القانونية في سبيل الحضانة.

**٤ .** أشارت الأمهات إلى ظلم القوانين، فبالنسبة لهن، إن قانون الأحوال الشخصية في لبنان يُعتبر واحدًا من أبرز الأمثلة على الظلم وعدم المساواة التي قد تفرضها الأنظمة والقوانين التي تستند إلى الطابع الطائفي. على الرغم من التزام لبنان بالاتفاقيات الدولية والإقليمية التي تعنى بحقوق الإنسان وحقوق الطفل، إلا أن هذه قوانين لا تزال تفرض قيودًا تمييزية وظالمة على الأمهات والأطفال.

٥ . اعتبرت الأمهات المشاركات، أن نظام الأحوال الشخصية في لبنان هو ضرورة لحماية الأم والطفل، لكن تطبيق هذا النظام يأتي عكس ذلك ولا يحمي الأمهات ولا أطفالهن. لذلك يجب تعديل نظام الأحوال الشخصية لأنه ظالم ويعكس عقلية ذكورية بامتياز.

٦ . ترى الأمهات أنّ القضاة الجعفريين الذين يطبقون القانون، يفترض أن يتحلوا بالعدالة والإنسانية، إلا أنهم يعتبروا المرأة كائنًا تسيره العواطف، وغالبًا ما تغلب العواطف لدى المرأة على المنطق وتسيطر على قراراتها، لذلك لا يسمح لها بأخذ القرارات فيما يتعلق بالطلاق والحضانة.

وفي هذا السياق، أكدت الأمهات أن على القضاة أن يديروا العدالة بناءً على مبادئ العدالة الإنسانية والقوانين المعترف بها في المجتمعات التي يخدمونها، لكن للأسف هناك غياب لقانون أحوال شخصية واضح في لبنان يحمي المرأة والطفل.

٧ . أن هذه القوانين هي قوانين قائمة على الذكورية، حيث رأى بعضهن أن قانون الأحوال الشخصية في لبنان يعكس بشكل كبير النمط الاجتماعي الذكوري الذي يعتمده المجتمع. فهو لا يزال يميل إلى تفضيل الرجل كوصي، الآمر في الأسرة وحامل المسؤولية الرئيسية عن القرارات العائلية سواء خلال الزواج أو بعد

الطلاق. وحتى في حالات الطلاق، قد يظل الرجل مسؤولًا عن تقديم الدعم المالي للأطفال والزوجة، مما يعكس استمرارية دوره القيادي والاعتماد عليه في مجال الدعم المالي والرعاية داخل الأسرة.

٨. إن نظام الأحوال الشخصية يحتاج إلى التطوير والتعديل، فبحسب رأي الامهات، فإنه من المعيب أن تظل قوانين الأحوال الشخصية في لبنان متأخرة وغير متوافقة مع مبادئ حقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين. لذلك، تتطلب الحاجة إلى إصلاحات لمواكبة التطورات في المجتمع وضمان توافقه مع القيم والاحتياجات والتطلعات الاجتماعية في كل فترة زمنية لتحقيق العدالة.

٩ . أشارت النتائج الأولية أيضًا إلى أن منح حق الحضانة للأب فقط، هو انتهاك لحقوق الأم والطفل، حيث تعتبر الأمهات المستجيبات، أنّ حضانة الأب بعد الطلاق لا تُلبي مصلحة الطفل بالكامل، خاصة أن الطفل بحاجة إلى رعاية واهتمام وإشباع إحتياجات نفسية وإجتماعية من قبل كلا الوالدين.

١٠ . إن إعطاء الأم حق المشاهدة لساعات محددة (من ٢٤ إلى ٤٨ ساعة)، غير كاف، إذ أكدت الأمهات أن الأب يتحكم بتحديد ساعات المشاهدة مما يعني أن الأم لا تتلقى الوقت الكافي لتكوين علاقة قوية ومستقرة مع الطفل. بالنسبة لهن يجب على الأب تحديد ساعات المشاهدة للأم بشكل مرن ومن الضروري مراعاة مصلحة الطفل في هذا السياق.

١١. طبقًا لوجهة نظر الأمهات، إن لمنح حق الحضانة إلى الأب فقط، آثارًا سلبية على المستوى النفسي والجسدي والاجتماعي للطفل، فقد يعاني الولد من التوتر النفسي والقلق نتيجة لانفصاله عن أمه وفقدان الاتصال القريب بها، وقد يؤثر هذا الأمر على صحته العقلية، ما يزيد المشاكل في التكيف مع الوضع الجديد بما في ذلك التأثيرات الاجتماعية بين حرمان وإهمال وفقدان الأسرة.

١٢ . إن الأطفال يعانون من آثار المشاكل الزوجية بين الطرفين، والتي خلقت لديهم شعورًا بالإهمال والحرمان بسبب جو الأسرة المشحون، واستنادًا إلى الأمهات فإنهن يحاولن قدر المستطاع عدم تعريض أطفالهن لتلك المشاكل، ومن المؤكد أن هذه المعاناة تزيد في حالات الحضانة غير الموكلة للأم.

## توصيات ومقترحات:

- تعديل نظام الأحوال الشخصية لدى الطائفة الشيعية لتصبح عادلة ومنصفة للأمهات، ولتكون الضمانة الحقيقية لحماية حقوق الأطفال والأمهات.
- توفير الحماية القانونية للأمهات والأطفال من خلال قوانين تحد من الانتهاكات وتلغي التمييز الذين يتعرضون له بسبب نظام الأحوال الشخصية الحالي.
- تعزيز العدالة في المحاكم الجعفرية من خلال تدريب القضاة الجعفريين وتوجيهم باتجاه الفهم الصحيح لمفهوم الحضانة وذلك في سبيل تطبيق العدالة والمساواة في الملفات المتعلقة بالطلاق والحضانة واتخاذ القرارات المبنية على مصلحة الطفل الفضلى والأم.
- إعادة النظر في قوانين الحضانة بحيث تهدف إلى تأمين احتياجات الطفل والأم وتأكد على تكوين علاقة مستقرة بين الأم والطفل.
- حماية حقوق الأم المالية وعدم إجبارها على التنازل عن تلك الحقوق مقابل الحصول على حق الحضانة.
- رفع الوعي المجتمعي حول أهمية المساواة بين الرجل والمرأة وخاصة" في نظام الأحوال الشخصية والقضاء على العقلية الذكورية المسيطرة.

## المصادر والمراجع العربية:


١ –إبراهيم موسى، كمال. (٢٠٠٣). العلاقات الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس. (ط٢). دار القلم، الكويت. ص ٣١٤.

٢ –أبو حسين، سلمى. (٢٠٢١) قراءة في المدرسة النسوية وتياراتها، المركز العربي للبحوث والدراسات، https://musawasyr.org/ar/ تاريخ زيارة الموقع: ٢٢–٤–٢٠٢٢.

٣ –الدحداح، خليل. (٢٠١٨). الأحوال الشخصية من زاوية قوانين الزواج ومفاعليها لدى مختلف الطوائف في لبنان. منشورات المركز الدولي، ص ٨٢ وص ٨.

٤ –الرحب، أميه. (بلا سنة نشر) الموجات النسوية، في الفكر الغربي، موقع مجلة الثوره الالكترونية، تاريخ زيارة الموقع: ٢١–٤–٢٠٢٢. http://www.thara-sy.com/thara/modules/news/article.php?storyid=1517

٥ –الوردي، سعيد. (٢٠١٩). الحضانة وأشكالاتها العلمية. (ط١). الرباط. ص ٢١.

٦ –الزعبي، علي. الوادي، محمود. (٢٠١١). أساليب البحث العلمي: مدخل منهجي تطبيقي. دار المنهل.

٧ –الموسوي، فاطمة. البنّا، سارة. (٢٠٢٠). تعديل سن الحضانة لدى الطوائف في لبنان: المنظّمات النسائية اللبنانية في مقابل المؤسسات الدينيةّ قراءة في مقاربة مسائل الأحوال الشخصية وفي حراك الجمعيات النسائية والمدنية تجاه المحاكم الشرعية https://bit.ly/3hr8UDu ، تاريخ زيارة الموقع ٢٨–٣–٢٠٢٢.

٨ –الخوري، سناء، (٢٠١٩). مقال بعنوان "حضانة الأطفال في لبنان: محنة أمهات باسم الشرع بغياب قانون مدني، https://www.bbc.com/arabic/middleeast-49179584 . تاريخ زيارة الموقع ٢٨–٩–٢٠٢١.

٩ –برو، حسن، (٢٠٢٠). موجز قوانين الأحوال الشخصية للطوائف المعترف بها في لبنان. منشورات صادر الحقوقية. ص٥٦ و ص ٤٦.

١٠ –خونده، همام. (٢٠١٩). منهجية البحث العلمي، خطوات البحث. الخطوة السادسة. جامعة دمشق. ص ٤.

١١ –زلزل، ماري روز. ابراهيم، غادة. خليف، ندى. (٢٠٠٨) دراسة بعنوان "العنف القانوني ضد المرأة في لبنان، قوانين الأحوال الشخصية والعقوبات، منشور على الموقع الالكتروني. https://www.rdflwomen.org/archives/121. ،تاريخ زيارة الموقع ١٩–٩–٢٠٢١

١٢ –سيوطي، أشرف. (٢٠٢١). النسوية والذكورية من منظور إسلامي. دار اللؤلؤة للتوزيع والنشر، مصر. ص ١١٨.

١٣ –شكر، زهير. (٢٠٠٦). الوسيط في القانون الدستوري اللبناني، نشأة ومسار النظام السياسي والدستوري، المؤسسات الدستورية. (المجلد الثاني). ص ١١٣٩.

١٤ –صالح، اماني. (٢٠٠٠). نحو منظور اسلامي للمعرفة النسوية، المرأة والحضارة . http://www.aswic.org/content/periodicals/DR.AMANI-3.pdf

١٥ –عيساوي، ناديا. (٢٠٠٢). دراسة بعنوان "تيارات الحركة النسوية ومذاهبها، منشور في مجلة الحوار المتمدن"، العدد-٨٥ http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=1065 ، تاريخ زيارة الموقع: ٢١–٤–٢٠٢٢.

١٦ –غونو، مارجوري. (٢٠٠١). آثار الحضانة القانونية المشتركة على الأمهات والآباء والأطفال، مع التحكم في العوامل التي تهيئ لقرار قانوني وحيد للأم مقابل حكم قانوني مشترك. القانون والسلوك البشري. ص ٢٥–٤٣.

١٧ –فضل الله، محمد حسين. (٢٠٢١). فقه الحضانة، بحث فقهي استدلالي. (ط١). دار الملاك. ص ٨. ص ٩.

١٨ –كرامة، لمى. (٢٠١٦) الطفل العنصر المغيب في قضية الحضانة، المفكرة القانونية https://legal-agenda تاريخ زيارة الموقع: ٤–١٢–٢٠٢١.

١٩ –لشهب، بويكر. (٢٠٠٤). الحضانة والرضاع بين الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية، دراسة مقارنة. مجلة المعيار. (العدد ٩). جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر. ص ٤٨٠.

٢٠– هيسي، شارلين. بايير. ليفي، باتريشا. (٢٠١٥). مدخل إلى البحث النسوي ممارسة وتطبيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة. ص ١٠٢.

**الوثائق:**

اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة (١٩٨٩) https://www.unicef.org/ar/.

## References :

Book:

1. Brice Lebrun, Pierre. (2010). L'autorité parentale en clair. Ellipses Marketing, P50
2. Fossier, Thierry. Gratadour, Hélène. (2008). L'autorité parentale, ESF Editeur - Édition : 3e édition P56.
3. Reithmann, Annie. L'autorité parentale et la loi, Laurent Delprat, P63 – P122.
4. Summa, Francine. (2015). La loi autorité parentale et intérêt de l'enfant. Editions L'Harmattan. P190 – P197
5. Verdier, Pierre. Sellenet, Catherine. (2013). La nouvelle autorité parentale et les actions de soutien à la parentalité. Berger-Levrault. P160 - P158 .

Journal Article:

1. Fransson, Emma. Hjern, Anders. Bergström, Malin. (2018).What can we say regarding shared parentingarrangements for Swedish children? Journal of Divorce & Remarriage. 55(5). 349- 358.j
2. Stier, Haya, Lewin-Epstein, Noah. (2000). Women's part-time employment and gender inequality in the family. *Journal of Family Issues, 21*(3), 390-410.

Journal Article with Digital Object Identifier (DOI):

1. Fineman,Martha. (2001). *Fatherhood, Feminism and Family Law*, 32. McGeorge L. Review. 103. https://scholarlycommons.pacific.edu/mlr/vol32/iss4/3, Site Visit Date; 11-05-2022
2. Toledo,Roseline. De Loreto, Maria. Farias, Rita. (2019). Social Representations of Gender and Its Reflections on Family Law, With Focus on the Child's Custody. International Journal of Latest Research in Humanities and Social Science (IJLRHSS), Volume 02 www.ijlrhss.com. P. 34-45.

# باب اللّغة

# والأدب والشّعر

**جميع ما ورد في هذا العدد من مادّة علميّة تعبّر عن آراء أصحابها**

# يا دمع

الكاتب والشّاعر البروفسور محمد توفيق أبو علي*

**يا دمع قل كيف استطعتَ سبيلا وإلام تبقى في الجفون خليلا**

**تعبتْ محاجرُ خبّأت أحلامها خافت عليها النّدب والتّعويلا**

**صرنا كخيل أُثخنت أظلافها وبدا لها صوت الأنين صهيلا**

**أو مثل سيفٍ دميةٍ يلهو به طفلٌ يرى ذاك الحفيف صليلا**

**أو مثل حرف مهمل في معجم ورآه جمهور النّحاة دخيلا**

**فمتى الصّهيل يؤوب من ترحاله ومتى خيولٌ تُستعاد خيولا؟**

*عميد كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة/ الجامعة اللبنانيّة سابقًا.
الأمين العام إتحاد الكتّاب اللّبنانيّين سابقًا.
Email: abouali1117@hotmail.com

**ومتى يعود إلى السّيوف صليلها**

**ويعود برّاقُ السّيوف صقيلا؟**

**ومتى يفكّ الحرفُ حُبْسَة نطقهِ**

**ويميط عن سرّ الكلام سدولا؟**

**نبكي فلسطين الجريح كأنّما**

**أمست ببال العالمين طلولا**

**وكأنّها نؤيٌ لسيل دموعنا**

**وعكاظُ شعرٍ في المواسم قيلا**

**دمهمْ يرتّل ما تيسّر من ضحًى**

**إصحاحَ نورٍ للنّهار دليلا**

**يصّاعدون إلى التّراب، كبِيعةٍ**

**تُعلي الأذان ببهوها تهليلا**

**تُعليه زيتونًا وتينَ قيامةٍ**

**جَرَسًا ينبّه في الفلاة نخيلا**

**ويقيم للجرح الشّريد مثابةً**

**لتكون ظلًّا في الهجير ظليلا**

**نضبت ينابيع الهوى، وتهجّدت**

**بدعائها وجْدَ القلوب هطولا**

**فمتى الهطول يزفّ غيث بشارةٍ**

**يهمي فيشفي للعطاش غليلا**

**يا دمعُ ما أحلاكَ زيتًا دافقًا**

**يروي لقنديل الرّجاء فتيلا**

**ويصوغ من ألق المواجع معجمًا**

**للنّور يُقرأ بُكْرةً وأصيلا**

موقع المجلّة الإلكترونيّ
www.diaalfekr.com
https://ojs.diaalfekr.com
مركز المجلّة: بيروت ـ لبنان
هاتف 00961 70 820078
البريد الإلكتروني : rsj@diaalfekr.com - diaalfekr.sj.lb@hotmail.com